جمهورية العراق
ديوان الوقف السني
دائرة البحوث والدراسات

الموسوعة الاسلامية (٣٧)

نظرات في
سيرة سيد السادات
سيدنا محمد بن عبد الله
صلى الله عليه وعلى آله ومن والاه

جمع واعداد
عدنان أحمد ياسين الفلاحي

١٤٣٤هـ الطبعة الأولى ٢٠١٣م

دائرة البحوث والدراسات

الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية

برقـــــــــم ٣٨٣
لســـــــــنة ٢٠١٣

جميع مطبوعات الدائرة محكمة علمياً

الآراء التي في هذا المطبوع
تعبر عن رأي كاتبها

٢٣٩
ف ٧٢٦
الفلاحي، عدنان أحمد ياسين.
نظرات في سيرة سيد السادات سيدنا محمد بن عبد الله. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.- بغداد: ديوان الوقف السني، ٢٠١٣,
٣٧٣ص، ٢٥سم. (الموسوعة الاسلامية، ٣٧)
١. الاسلام- تاريخ أ- العنوان ب-السلسلة

العراق – بغداد – سبع ابكار – ديوان الوقف السني
E.mail: www.sunniaffairs.gov.iq
صندوق البريد – ٠٠٥٣٨ باب المعظم

((رواه مسلم ١/١٨٩ برقم ١٩٩)

الإهداء

إلى أبي ... وسيدي
الذي زرع فيّ أول بذرة للحب ، ووجّه حبي نحو المحبوب الأجلّ
والى كل قلب نوّره الله بحب خير خلقه ، الحبيب الأعظم والأكرم
أهدي كتابي
عسى أن يجمعنا الله عز وجل في زمرة المحبين من أهل رضوانه
معتذراً عن كل تقصير ...
فالحبيب أكبر من أن تجمع شمائله

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين... الذي لم يتخذ ولدا، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له وليٌّ من الذل، كما يحب ربنا ويرضى وينبغي له، حمدا يفضل سائر المحامد كفضل ربنا على جميع خلقه.

واصلي واسلم على سيد الأولين والآخرين، إمام الأنبياء والمرسلين، المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الطاهرين وصحبه الميامين وأحبائه إلى يوم الدين، رضوان الله تعالى علينا وعليهم أجمعين .

فهذه محاولة بسيطة للتحليق في حياة الحبيب المصطفىﷺ آملاً أن ننتفع بها جميعا.

عسى أن يجعلها المولى الرحيم في ميزان حسناتنا وحسنات من قرأهاانه هو الوهاب الكريم

عدنان احمد ياسين ألفلاحي

بغداد

رمضان المبارك

١٤٣٠ ـ ٢٠٠٩

لماذا الاهتمام بالسيرة النبوية

تكتسب دراسة السيرة النبوية المشرفة أهميتها من أهمية صاحب السيرة العطرة عليه أفضل الصلاة وأتم السلام والذي أمر الله سبحانه وتعالى بالاقتداء به امتثالا لقوله ﷻ ((**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**))[1] مما يستلزم متابعة وبحثاً يوصل لمعرفة أدق تفاصيل ومراحل الحياة الإنسانية للنبي الكريم ﷺ ليتسنى أخذ العبر منها والتأسي بها والاحتكام إليها في بحر المشاكل المتلاطم لحياتنا اليومية، وحتى نعرض أنفسنا وسلوكنا على سيرة النبي الأكمل ﷺ لتكون نوراً يضيء لنا دروب الحياة عسى أن يفتح لنا باب القبول والدخول في زمرة ((**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**))[2]، ومن الذين ترفرف فوقهم راية السعد والفرح

---

(١) الاحزاب، ٢١ .

(٢) النساء، ١٣ .

المستديم من أهل الرضوان الأكبر والعفو الأشمل (**الَّـذِينَ أَنْعَـمَ اللَّــهُ عَلَـيْهِمْ مِـنَ النَّبِيِّـينَ وَالصِّـدِّيقِينَ وَالشُّــهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ**) [1]

كمـا أن معرفــة تفاصــيل حيــاة النبــي ﷺ ومعرفــة الإعجاز فـي أخلاقـه ومـا يحملـه مـن رحمـة عظيمـة وصـدق كامل وكرم يحير العقول وقوة متناهية و رقة و رأفة و حنـان غامر فان هذه المعرفة ستقود إنشاء الله لمحبة النبي محبة منجيـة تـدخل صـاحبها فـي أهـل الإيمـان، فمحبتـه ﷺ بـاب الخير الموصل للإيمان فلقد جاء في صحيح البخاري ومسلم – كتـاب الإيمـان عـن أنـس أن النبـيﷺ قـال (**لا يــؤمن أحـدكم، حتـى أكـون أحـب إليـه مـن والـده وولـده والنـاس أجمعين**).

ومن ذا الذي يقترب من النبي ﷺ ولا يحبه ومن الذي يـتفحص أخـلاق النبـيﷺ ولا تغمـره أنـوار المحبـة ألمحمديـه

---

(١) النساء، ٦٩.

ويتيه قلبه في عوالم العشق الأسمى، إلا من لم ييسر للخير ولم يوفق للفوز .

أورد الإمام أحمد بن حنبل في مسنده والطبراني في المعجم الأوسط والبيهقي في سننه من حديث أبو عقيل زهرة بن معبد، عن جده عبد الله بن هشام، قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال: والله لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا نفسي، فقال النبيﷺ:

" **لا يؤمن أحدكم حتى أكون عنده أحب إليه من نفسه**"

فقال عمر: فلأنت الآن والله أحب إلي من نفسي، فقال رسول الله ﷺ: " **الآن يا عمر** "

وسيرة النبي ﷺ تمتاز عن باقي سير الأنبياء والمصلحين بميزات أشار إليها الدكتور مصطفى السباعي في مقدمة كتابه السيرة النبوية دروس وعبر من أن سيرة النبي محمد ﷺ أصح سيرة لتاريخ نبي مرسل أو عظيم أو مصلح فقد وصلت إلينا عن أصح الطرق العلمية وأقواها

ثبوتاً كالقرآن الكريم والسيرة النبوية والشعر العربي المعاصر لعهد الرسالة وكتب السيرة ... مما جعل السيرة النبوية صحيحة وبما لا يتطرق إليه الشك، خلاف سير رسل الله السابقين، فموسى عليه السلام قد اختلطت عندنا وقائع سيرته الصحيحة بما أدخل عليها اليهود من زيف، كما لا يمكن أن يركن إلى التوراة الحالية لنستخرج منها سيرة صادقة لموسى عليه السلام، فالكثيرين يجزمون بأن بعض أسفارها لم يكتب في حياة موسى عليه السلام ولا بعده بزمن قريب .

ومثل ذلك يقال عن سيرة عيسى عليه السلام فالأناجيل المعترف بها رسمياً لدى الكنائس المسيحية إنما أقرت في عهد متأخر عن السيد المسيح بمئات السنين ، وقد اختيرت من بين مئات الأناجيل التي كانت منتشرة بين أيدي المسيحيين. وبدون مسوغ علمي، كما إن الخلاف قد وقع بين النقاد الغربيين في أسماء بعض هؤلاء الكاتبين من يكونون؟ وفي أي عصر كانوا؟ وان كان هذا شأن سير

أصحاب الديانات المنتشرة في العالم، كان الشك أقوى في سيرة أصحاب الديانات والفلاسفة الآخرين .

وسبب آخر يدعو إلى اعتماد سيرة النبي ﷺ كونها واضحة كل الوضوح في جميع مراحلها منذ زواج أبيه عبد الله بأمه آمنة فولادته ﷺ، وطفولته، وشبابه، ومكسبه قبل النبوة، ورحلاته خارج مكة، إلى أن بعثه الله رسولاً كريماً، ثم نعرف بشكل أدق وأوضح وأكمل كل أحواله بعد ذلك سنة فسنة، مما يجعل سيرته ﷺ واضحة وضوحاً تاماً.

وهذا ما لم يتيسر مثله لباقي الرسل الذين لا يعرف شيئاً عن الكثير من مراحل حياتهم سواء قبل النبوة أو بعدها.

أضف لذلك أن سيرة رسول الله ﷺ شاملة لكل نواحي الحياة الإنسانية، فهي تحكي لنا سيرة محمد الشاب الأمين المستقيم قبل أن يكرمه الله بالرسالة، كما تحكي سيرة رسول الله الداعية الى الله المتلمس أجدى الوسائل لقبول دعوته، كما تحكي سيرته كرئيس دولة يضع لدولته أقوم القوانين

وأصح النظم، كما تحكي لنا سيرة النبي الزوج والأب والمربي المرشد الذي زرع حبه في قلوب من حوله ففدوه بأموالهم وأرواحهم وتعلقوا واقتدوا به في دقيق الأمور وكبيرها.

وهذا الشمول لا نجده فيما وصل إلينا من سير الرسل والمصلحين، فموسى عليه السلام يمثل زعيم أمة أنقذ قومه من الظلم لكن لا نجد في سيرته ما يجعله قدوة للمحاربين أو المربين أو الآباء أو السياسيين .

وكذا الأمر مع عيسى المرشد الزاهد الذي لم يمتلك من حطام الدنيا شيئاً لكن سيرته لا تمثل القائد المحارب ولا الرئيس ولا الأب أو الزوج .

ومثل ذلك نجده في سير الرسل وعظماء التاريخ مثل بوذا وأفلاطون وكونفوشيوس ونابليون وغيرهم من الذين إن صلحوا للقدوة فلا يصلحون إلا بجانب ممكن أن يقتدى بهم من خلاله .

أما هذا الشمول وهذا التكامل فلا نجده إلا في سيرة النبي الكامل خاتم الأنبياء وسيد الرسل عليه وآله أفضل وأجل الصلوات وأتم التسليم .

وثمة أمر آخر إن سيرة النبي محمد ﷺ تحمل دليل نبوته ورسالته فهي تحكي سيرة إنسان كامل سار بحياته من نصر الى نصر بلا خوارق ولا معجزات غالباً، بل عبر النضال اليومي والجهد والمثابرة والصبر والعمل الدءوب وبطرق طبيعية فلقد دعا فأوذي وبلّغ فأصبح له أنصار واضطر الى الحرب فحارب وكان حكيماً موفقاً في قيادته فانتشرت دعوته بتخطيط وجهد وعمل مضني حتى انتشر الإسلام في أرجاء الجزيرة العربية بالإيمان لا بالقهر والغلبة، ومن عرف المقاومة التي لاقتها الدعوة الى الإسلام، ومن عرف عدم التكافؤ بين المسلمين وبين محاربيهم في كل معركة انتصروا فيها، ومن عرف قصر فترة الدعوة التي لم تتعدى ثلاث وعشرون سنة، أيقن أن محمداً رسول الله حقاً،

وان ما أمده الله به من ثبات وقوة وتأثير ونصر ليس إلا لأنه نبي الله حقاً .

إن سيرة رسول الله ﷺ تثبت صدق رسالته عن طريق عقلي، وما وقع من المعجزات لم يكن الأساس الأول في إيمان العرب بدعوته، بل إنا لا نجد له معجزة آمن معها الكفار المعاندون، على إن المعجزة إنما تكون حجة على من شاهدها، ومن المؤكد أن المسلمين الذين لم يروا النبي ولم يشاهدوا معجزاته، إنما آمنوا بصدق رسالته للأدلة العقلية القاطعة على صدق دعواه النبوة، ومن هذه الأدلة العقلية: القرآن الكريم، فانه معجزة عقلية تلزم كل عاقل منصف أن يؤمن بصدق محمدﷺ في دعوى الرسالة.

وهذا يختلف تماما عن سير الأنبياء السابقين فهي تشير الى إن الناس إنما آمنوا بهم لما رأوا على أيديهم من معجزات وخوارق دون أن يحكموا عقولهم في مبادئ دعواتهم فتذعن لها، وأوضح مثل على ذلك السيد المسيح عليه السلام فان الله حكى لنا في القرآن الكريم أنه جعل الدعامة

الأولى في إقناع اليهود بصدق رسالته أنه يبرئ الأكمه والأبرص ويشفي المرضى ويحي الموتى وينبئهم بما يأكلون ويدخرون في بيوتهم، كل ذلك بإذن الله جل شأنه، والأناجيل تروي لنا أن هذه المعجزات وحدها التي كانت سبباً في إيمان الجماهير به دفعة واحدة .[١]

---

(١) أنظر السيرة النبوية دروس وعبر، ص ١٣- ٢٤ .

نظرة على الوضع السياسي والديني والاجتماعي للعالم وجزيرة العرب قبل بزوغ فجر الإسلام

من أجل معرفة ضرورات المبعث الشريف للنبي المصطفى ﷺ وما أحدثته بعثته المباركة من أثر في حياة البشر وكيف أنها غيرت مسار التاريخ وأضافت للإنسانية مالم تعرفه قبلاً من قيم الخير والسعادة والرقي والسمو والارتقاء سنحاول أن نستعرض باختصار الوضع الديني والأخلاقي وتوزيع القوى لشعوب العالم ونلقي نظرة عامة على الوضع العام لعرب الجزيرة وما حولها قبل ظهور فجر الإسلام .

الوضع الأخلاقي والديني في العالم قبل الإسلام:

كان الجهل متفشيا في العالم قبل الإسلام فكانت البشرية تتخبط في دجى ليل حالك من ظلمات الظلم وكان الإنسان يباع ويشترى بأبخس الأثمان والآلاف يذبحون على نصب أهواء المتنفذين من ساسة وقادة وكانت المجتمعات تقسم إلى طبقات بعضها يملك كل شيء بما في ذلك مقدرات الآخرين وأرواحهم، وآخرين لا يملكون سوى بؤسهم وحرمانهم وقدر هائل من الأحزان .

وكان الربا والسرقة والبغاء والقتل لغة العصر ومن ظواهره الطبيعية وما سوى ذلك من انسحاق لقيم الخير التي أمر الله سبحانه وتعالى في كل الشرائع السماوية التي حرفت وبدلت وأفرغت من كل محتوى خير وعدل وانشغل قادتها بالصراع على مكاسب الدنيا والتقاتل على المصالح ،فكانت الصراعات والقتل والسرقة تجري باسم الدين وأصبح رجال الدين يمثلون أعلى أشكال الغنى والترف ويعيشون حياة مملوءة بكل وسائل الترف واللهو وشرّعوا باسم الدين قوانين وشرائع لم يأمر بها الله حتى أصبحت الأديان وسيلة للقتل والسرقة وتوسيع النفوذ على حساب الفقراء الذين كانوا يذبحون باسم الدين، وتسابق القساوسة والرهبان والملوك والأمراء في ظلم الفقراء وسلبهم أبسط ما يمكنهم من العيش.

اليهودية :

فقدت أساسها وجوهرها من توحيد وعدل وأمانة وعدم انجرار إلى الأهواء ومحاربة الغرائز التي تجر للانحطاط، فحرفت التوراة ونسب لله تبارك وتعالى ما لا يليق به، وأحلّ

العلماء لأنفسهم الربا وسرقة أموال الذين لا يدينون بدينهم وبرعوا في الفتن والدسائس وكل ذلك باسم اليهودية .

المسيحية:

اختفى منها نور التوحيد وصدق الإخلاص ونادوا بالثالوث وتقسموا فرقا تتنازع بينها على مذاهب شركية وأفكار لا تقترب مما أنزل الله وأمر به، وشرّعوا كل أساليب السرقة وفرض السطوة والنفوذ .

وأصبح خلاص الناس وخيرهم بالابتعاد عن تلك الأديان والبحث عن تشريعات وضعية بها من العدل أكثر مما عليه تلك الأديان أو ما أصبحت عليه بعد تحريفها.

المجوسية:

حيث كانوا يعبدون النار ويقيمون لها معابد وهياكل ويقربون لها القرابين والنذور، ومنهم من كان يعبد الشمس.

البوذية والبرهمية:

انتشرت في الهند وآسيا الوسطى وهي عبادات وثنية تقدس الأصنام وتعبدها.

وعلى العموم (كانت الإنسانية قبل بزوغ فجر الإسلام العظيم، تعيش مرحلة من أحط مراحل التاريخ البشري في شؤونها الدينية، والاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، وتعاني من فوضى عامة في جميع شؤون حياتها، وهيمن المنهج الجاهلي على العقائد والأفكار، والتصورات والنفوس ،وأصبح الجهل والهوى، والانحلال والفجور والتجبر والتعسف، من أبرز ملامح المنهج الجاهلي المهيمن على دنيا الناس)[١] .

وليس أدلّ على المستوى المتدني والفساد المستشري بين الجميع وبلا استثناء مما جاء في حديث عياض بن حمار المجاشعي ﵁ أن رسول الله ﷺخطب فيهم يوما وجاء في خطبته:

(ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته (أعطيته) عبداً حلالٌ، وإني خلقت

---

(١) السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث ص١٥ نقلاً عن الغرباء الأولون، سلمان العودة، ص٥٧.

عبادي حنفاء كلّهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم (أخرجتهم) عن دينهم وحرّمت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرَتهم أن يشركوا بي ما لم أُنزل به سلطاناً وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم: عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب)(١)

الحضارات السائدة قبل البعثة المحمدية:

قسّم د. علي الصلابي في كتابه السيرة النبوية الحضارات السائدة قبل البعثة النبوية الشريفة إلى:

١- الإمبراطورية الرومانية:

وهي الإمبراطورية البيزنطية وكانت تسيطر على اليونان والبلقان وآسيا وسوريا وفلسطين وحوض البحر الأبيض المتوسط ومصر وكل أفريقيا الشمالية. وكانت عاصمتها القسطنطينية، استعبدت الشعوب التي احتلتها وفرضت

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة ٢١٩٧/٤ برقم ٢٨٦٥، والسنن الكبرى، باب قراءة القرآن ٢٦/٥ برقم ٨٠٧٠ والمعجم الأوسط ٢٠٦/٣ برقم ٢٩٣.

عليها الضرائب وبشكل متعسف واتسمت سياستها بالجور والظلم .

٢- الإمبراطورية الفارسية :

وكانت أكبر وأعظم من الإمبراطورية الرومانية، وكان الملوك فيها يحكمون بالوراثة ويعتبرون أنفسهم من نسل الآلهة فهم فوق البشر، أما الشعوب فحقوقهم مستلبة وهم وقود لحروب طاحنة مستمرة، وانتشرت فيها ديانات منحرفة كعبادة العناصر في الطبيعة كالنار والشمس، والزرادشتية ثم العقيدة المانيّة التي ظهرت في القرن الثالث الميلادي والتي تدعو إلى الإباحية.

٣- الهند:

عاشت الهند أحط أدوارها سياسياً واجتماعياً وأخلاقياً فانتشرت الخلاعة حتى في المعابد وبصبغة دينية وانتشرت عادة إحراق المرأة المتوفى زوجها. وامتازت الهند بتفاوت فاحش بين طبقات الشعب وفق قوانين مدنية ودينية وسياسية وساد الظلم والتزمت والتعصب الدموي، وأصبحت الهند منغلقة على ذاتها بعيدة عما يجري حولها في العالم ،فعمّ الانحطاط والتدهور في كل مجالات الحياة[١].

العرب ... قبل البعثة الشريفة

العرب لغة: الصحارى والقفار والأرض المجدبة التي لا ماء فيها ولا نبات، وأطلق هذا اللفظ منذ أقدم العصور على جزيرة العرب، كما أطلق على القوم الذين قطنوا تلك الأرض واتخذوها موطناً لهم .

---

(١) أنظر السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، ص١٣- ١٥.

وجزيرة العرب يحدها غرباً البحر الأحمر وشبه جزيرة سيناء، وشرقاً الخليج العربي وجزء كبير من بلاد العراق الجنوبية، وجنوباً بحر العرب الذي هو امتداد لبحر الهند، وشمالاً بلاد الشام وجزء من بلاد العراق، وتقدر مساحتها ما بين مليون ميل مربع إلى مليون وثلاثمائة ألف ميل مربع .

وطبيعة الجزيرة وكونها محاطة بالرمال والصحارى من كل جانب جعلها حصناً منيعاً لا يسمح للأجانب أن يحتلوها ويبسطوا سيطرتهم عليها، لذلك نجد سكان الجزيرة أحراراً في جميع الشئون منذ أقدم العصور، مع أنهم كانوا مجاورين لإمبراطوريتين عظيمتين لم يكونوا يستطيعون دفع هجماتهما لولا هذا السد المنيع .

(وقد قسم المؤرخون أقوام العرب بحسب السلالات التي ينحدرون منها :

١– العرب البائدة : وهم العرب القدامى الذين لم يمكن الحصول على تفاصيل كافية عن تأريخهم مثل: عاد وثمود وطسم وجديس وعملاق وسواها.

٢- العرب العاربة: وهم المنحدرون من صلب يعرب بن يشجب بن قحطان ويسمون العرب القحطانية .

٣- العرب المستعربة: وهي العرب المنحدرة من صلب إسماعيل عليه السلام وتسمى بالعرب العدنانية).[١]

الحالة السياسية :

سكان الجزيرة كانوا بدواً وحضراً إلا أن النظام السائد في الحالتين هو النظام القبلي حيث ظل الولاء للقبيلة ولم ينسجم سكان المدن كمجتمع واحد وشعب واحد .

وكانت القبيلة كيان سياسي مستقل تربط أفرادها رابطة الدم والعصبية للقبيلة والشعور بالمنفعة الواحدة والمصلحة

---

(١) الرحيق المختوم، ص١١– ١٢.

المشتركة وفق أعراف تحدد الحقوق والواجبات للأفراد وبما يشكل الهيكل الاجتماعي والسياسي للقبيلة .

وللقبيلة زعيم مطاع يمتاز بالجود والكرم والشجاعة والمروءة وله مكانة متميزة وحقوق معنوية ومادية حيث يكون له الكثير من غنائم القبيلة وبما يؤمن له المنزلة المتميزة والمكانة الأعلى .

وكان العرب المجاورين للروم والفرس يعانون من الظلم والاستغلال ونهب الثروات ويعيشون عيشة العبيد بلا حقوق في ظل حكم استبدادي فاسد .

والقبائل المجاورة للمناطق المستعمرة تتقاذفها الأهواء والأغراض فمرة يميلون لأهل العراق وتارة مع حكومة الشام.

والقبائل داخل الجزيرة مفككة الأوصال في صراع دائم وقتال مستمر لأسباب شخصية أو قتال لطلب العيش والرزق، فما كانت القبيلة تأمن من هجوم قبائل أخرى تذبح رجالها وتغنم أنعامها و مؤنها فكان القتل والقتال صفة أفراد

الكثير من القبائل ولأسباب واهية وقد يستمر القتال أحياناً لسنوات.

وفي مكة سلطة تحضى باحترام العرب ولها زعامة دينية ودنيوية تخدم البيت الحرام وتشرف على شئون الوافدين من الحجيج .

الحالة الدينية :

ابتليت الجزيرة العربية؛ بتخلف ديني شديد ووثنية سخيفة لا مثيل لها، وانحرافات خلقية واجتماعية وفوضى سياسية وتشريعية، (ومن ثم قلّ شأنهم وصاروا يعيشون على هامش التاريخ، ولا يتعدون في أحسن الأحوال أن يكونوا تابعين للدولة الفارسية أو الرومانية، وقد امتلأت قلوبهم بتعظيم تراث الآباء والأجداد وإتباع ما كانوا عليه مهما يكن فيه من الزيغ والانحراف والضلال ومن ثم عبدوا الأصنام فكان لكل قبيلة صنم ،فكان هناك سواع وودّ ويغوث ويعوق

ونَسر واسفاً ونائلة ومناة واللات والعزى إلى جانب أصنام أخرى لا تحصى تحمل في الأسفار أو توضع في البيوت.

فنسوا الله سبحانه وتعالى وحُرّف دين إبراهيم عليه السلام وأصابه التغيير والتبديل وصار الحج موسماً للمفاخرة والمنافرة والمباهاة وانحرفت المعتقدات الحنيفية عن حقيقتها .

ولم يبق إلا بعض أفراد من الحنفاء الذين لم يعبدوا الأصنام).[1]

وكانت هناك قبائل من اليهود استقرت في يثرب وخيبر وتيماء وأنشأت فيها القرى والآطام والقلاع فانتشرت عن طريقهم الديانة اليهودية بين قسم من العرب وأصبح لقبائل اليهود شأن في الأحداث السياسية التي سبقت ظهور الإسلام.

ومن أشهر القبائل اليهودية: يهود خيبر والنضير والمصطلق وقريظة وقينقاع.

---

(١) السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، ص ٢٢ .

كما دخلت اليهودية إلى اليمن وانتشرت فيها.

أما الديانة النصرانية فقد جاءت إلى الجزيرة عن طريق احتلال الحبشة والرومان ،وقد اعتنق النصرانية العرب الغساسنة وقبائل تغلب وطئ لمجاورتها للرومان، بل اعتنقها ملوك الحيرة .

ولما احتلت الأحباش اليمن نشروا فيها الديانة المسيحية بشكل واسع وبلغ من نشاطهم أن بنوا كعبة في اليمن دعوا إلى الحج إليها .

(أما المجوسية فقد انتشرت في بلاد العرب الذين جاوروا الفرس كأهل العراق والبحرين وهجر وما جاورها من سواحل الخليج العربي .

وكان اليهود قد انقلبوا على دينهم وطغى بينهم الرياء والتحكم والسرقة والربا والرياسة والبحث عن المال فضاع دينهم وانتشر الإلحاد والطمع وإتباع الشهوات .

أما النصرانية فقد عادت وثنية أوجدت خلطاً غريباً بين الله والإنسان).[1] فصار الجميع يتخبط في ظلمات وظلم وإتباع للشهوات والرياسة وعبادة المال وعاشوا الظلال بأحلك أشكاله ولم يبق من صفاء الأنفس والتوحيد والإخلاص والبحث عن الحقيقة وإتباع فطرة الخير إلا القليل الذي لا يكاد يبين بين هذا الكم الهائل من الظلمات .

---

(١) أنظر الرحيق المختوم، ص٣٦-٣٧ .

السيرة الزكية قبل النبوة

النسب الشريف

هو خير الخلق، وإمام الرسل وخاتم الأنبياء سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ.

أبوه عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، يصل نسبه إلى عدنان وهو من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام .

أما أمه ﷺفهي آمنة بنت، سيد بني زهرة، وهب بن عبد مناف، يلتقي نسبها بنسب أبو النبي ﷺ بالجد الرابع وهو كلاب .

القبيلة

ينتسب ﷺ إلى قبيلة قريش المشهود لها بالشرف والجاه والمجد الأصيل والمكانة الرفيعة بين العرب .

وأسرة النبي ﷺ تعرف بالأسرة الهاشمية نسبة إلى جده الثاني هاشم الذي تولى السقاية والرفادة بمكة، وكان موسرا ذا شرف كبير، وهو أول من أطعم الثريد للحجاج بمكة وكان اسمه عمرو فسمي هاشما لهشمه الخبز، وهو أول من سنّ

الرحلتين لقريش رحلة الشتاء والصيف، وولي بعد حين عبد المطلب السقاية والرفادة فأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم، وشرف في قومه شرفا لم يبلغه أحد من آبائه، وأحبه قومه وعظم خطره فيهم .

مولده

ولد ﷺ بشعب بني هاشم في مكة صبيحة يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول عام ٥٧١ ميلادية وهو عام الفيل، وهو يوافق اليوم الثاني والعشرون من شهر ابريل.

وكانت قابلته (المولدة) الشفاء بنت عمرو وهي أم الصحابي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

وحين بشروا به جده عبد المطلب دخل الكعبة وحمد الله وشكره، و سماه باسم محمدﷺ ولم تكن العرب تعرف هذا الاسم قبلا، وعق عنه وختنه يوم سابعه .

أما حاضنته فهي أم أيمن الحبشية .

وكان مولده ومبعثه قد دعا به إبراهيم الخليلﷺفي قوله: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[1].

كما بشر به النبي عيسى بقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾.[2]

الرضاعة

أول من أرضعتهﷺ بعد أمه، ثويبة (مولاة أبي لهب) بلبن ابن لها يقال له مسروح، وكانت أرضعت قبله حمزة ابن عبد المطلب، وأرضعت بعده أبا سلمه ابن عبد الله المخزومي.

ثم أرضعته حليمة السعدية بنت ذؤيب (من بني سعد ابن بكر) حتى الفطام وإخوانه من الرضاعة:

---

(١) البقرة، ١٢٩.

(٢) الصف، ٦.

عبد الله ابن الحارث، وأنيسة بنت الحارث، وجذامة بنت الحارث (غلب عليها لقب الشيماء)

حياتـــه

توفي والده ﷺ وهو جنين ببطن أمه فولد يتيما.

وتوفيت أمه وعمره ست سنوات فكفله جده عبد المطلب الذي رق عليه وقرّبه وأحبه، وحين بلغ الثماني سنوات وشهرين وعشرة أيام توفي جده عبد المطلب، فكفله عمه أبو طالب الذي قام بحقه على أكمل وجه وضمه إلى أولاده وأختصه بتفضيل واحترام وتقدير، واشتغل في صباه برعي الأغنام مساعدة منه لعمه، فلقد رعى الغنم لأهل مكة وهو غلام وأخذ حقه عن رعيه، ففي الحديث الصحيح قال رسول الله ﷺ:

ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم قال أصحابه: وأنت؟ قال نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة[١].

---

(١) البخاري، كتاب الإجازة، باب رعي الغنم٢/٧٨٩ برقم ٢١٤٣.

(وأخرج بن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال: قدمت مكة وهم في قحط فقالت قريش :يا أبا طالب، أقحط الوادي وأجدب العيال فهلم فاستسق، فخرج أبو طالب ومعه غلام، كأنه شمس دجن تجلت عنه سحابة قتماء، حوله أغيلمة، فأخذه أبو طالب فأسند ظهره بالكعبة، ولاذ بإصبعه الغلام، وما في السماء قزعة، فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا، وأغدق واغدودق، وانفجر الوادي وأخصب النادي والبادي، والى هذا أشار أبو طالب حين قال:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل(١)

وعند بلوغه الثانية عشرة من عمره الشريف اصطحبه عمه أبو طالب في رحلة التجارة إلى الشام. حتى وصل بصرى وهي من الشام وكانت قصبة للبلاد العربية التي كانت تحت حكم الرومان .

---

(١) الرحيق المختوم، ص٥٤.

وكان في هذا البلد راهب عرف ببحيرا وأسمه جرجيس فلما نزل الركب خرج إليهم وأكرمهم بالضيافة، وكان لا يخرج إليهم قبل ذلك وعرف رسول الله بصفته، فقال وهو آخذ بيده: هذا سيد العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين. فقال أبو طالب: وما علمك بذلك؟ فقال إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا وخرّ ساجدا، ولا تسجد إلا لنبي، واني أعرفه بخاتم النبوة في أسفل غضروف كتفه مثل التفاحة، وإنا نجده في كتبنا وسأل أبا طالب أن يرده ولا يقدم به إلى الشام خوفا عليه من اليهود، فبعثه عمه مع بعض غلمانه إلى مكة .

وحين بلغ ﷺ العشرين من عمره اشترك في حرب الفجار التي وقعت في سوق عكاظ بين قريش وكنانة من جهة وبين قبائل قيس عيلان من جهة أخرى وسميت بحرب الفجار لأنهم انتهكوا فيها حرمة مكة والشهر الحرام وكان يجهز النبال لأعمامه، وبعدها اشترك في حلف الفضول وهو حلف بين خمسة بطون من قبيلة قريش: بنو هاشم، وبنو

المطلب، وبنو أسد، وبنو زهرة ،وبنو تيم ،تعاقدوا وتحالفوا فيه على أن لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها أو من غيرهم إلا أقاموا معه حتى ترد عليه مظلمته.

زواجه

عرف عنه ﷺ محمود الأخلاق و فاضل الصفات والصدق، ما جعل السيدة خديجة بنت خويلد تحرص على أن يذهب ﷺبأموالها إلى الشام بتجارة ربحت ربحا وفيرا، وبعد عودته بشهرين رأت السيدة خديجة من صدقه، وأمانته، وعفته، وزهده، و فكره الراجح ومنطقه الصادق، ما جعلها ترغب بالزواج منه، فوافق وتم الزواج، وكان عمره آنذاك خمسة وعشرون عاما وكانت في الأربعين من عمرها. ولم يتزوج ﷺ عليها في حياتها. وقد أنجبت له جميع أبنائه ما عدى إبراهيم فأنه من ماريه القبطية.

أبنائه ﷺ من السيدة خديجة رضي الله عنها

القاسم ثم زينب ثم رقية ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم عبد الله. وقد توفي البنون صغارا، أما البنات فأدركن زمن النبوة، فأسلمن وهاجرن وتوفاهن الموت رضي الله عنهن قبل النبيﷺ إلا فاطمة رضي الله عنها فإنها عاشت بعده ستة أشهر .

وعند بلوغهﷺ الخامسة والثلاثين تصدع جدار الكعبة فجددت قريش بناؤه، وقرروا أن لا يدخلوا في الإنفاق إلا طيبا وحلالا، وكان الأشراف يحملون الحجارة على أعناقهم. وحين بلغ البناء موضع الحجر الأسود تنازعوا، وأراد كل رئيس أن يتشرف بحمله ووضعه في مكانه، وزاد التنافس واستمر بضعة أيام حتى كاد يتحول إلى حرب ونزاع، ثم توافقوا على أن يحكموا أول داخل من باب المسجد، وكان الداخل رسول الله ﷺ. فرضي الجميع به وقالوا محمد، الأمين، قد رضينا به حكما .

فطلبﷺ ثوبا ووضع فيه الحجر الأسود ثم رفع الجميع الثوب من أطرافه، وحين بلغ الحجر موضعه أخذه النبي ﷺ ووضعه في مكانه.

ومنـع ﷺالفتنـة برجاحـة عقلـه وحسـن تـدبيره، وأرضـى الجميع .

أخلاقه

عرف ﷺ منذ صباه بالعقل والنزاهة والصفات الحميدة، كـان جامعـا لمكـارم الأخـلاق ومحاسـن الخصـال وكـريم الشـمائل كالصـدق والأمانـة وصـلة الـرحم والحلـم والصـبر، والعفـة والكـرم والوفـاء فلقـب بـ(الأمين) لمـا جمـع فيـه مـن أخلاق حباه وأدبه بها ربه سبحانه وتعالى فبلغ الكمال بكل خلـق، حتـى إن أخلاقـه وحـدها قبـل البعثـة وبعـدها كانـت إعجازا ربانيا تشهد بأنه نبي .

وحينما قارب ﷺالأربعين من عمره حبب إليه الاختلاء بنفسه، فكان يختلي شهرا من كل عام في غار حراء مشتغلا بالتفكر والتأمل.

واستمر على ذلك ثلاث سنوات.

ولما كمل له أربعون عاما بدأت تباشير النبوة وطلائع الرسالة...حتى أتاه الوحي بالنبوة والرسالة والدعوة إلى توحيد الله سبحانه .

السيرة العطرة قبل الهجرة

وهي ثلاث عشرة سنة تقريبا

الدعوة إلى الله سراَ

بدأ النبيﷺ دعوة المقربين إلى عبادة الله والدخول بالإسلام،لأن الله سبحانه وتعالى اختار أن تبدأ الدعوة سرا فلا يطلع عليها إلا من توسم فيهم خيرا ممن عرف بحب الخير والبحث عن الحقيقة من الموثوق بهم من الأهل والأصدقاء والعشيرة .

فآمن له أم المؤمنين خديجة وأبو بكر وعلي ابن أبي طالب وزيد ابن حارثة الكلبي رضي الله عنهم، ثم راحت دائرة الصحابة تتسع رويدا رويدا من المسلمين السابقين الأولين إلى الهدى والخير كعثمان ابن عفان والزبير ابن العوام وعبد الرحمن ابن عوف وسعد ابن أبي وقاص وطلحة ابن عبيد الله، فكانوا الرعيل المبارك الأول وطليعة الإسلام .

(ومن أوائل المسلمين بلال ابن رباح الحبشي وأبو عبيدة ابن الجراح والأرقم ابن أبي الأرقم وعثمان ابن مظعون وسعيد ابن زيد وامرأته فاطمة بنت الخطاب وخباب

ابن الأرت وعبد الله ابن مسعود وخلق سواهم ،وعدهم ابن هشام أكثر من أربعين نفرا).[1]

كانﷺ يربي الصحابة ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويقودهم إلى منازل نقاء القلوب وعلو الأخلاق وعفة النفوس والصدق، كان ﷺيخرجهم من الظلمات إلى النور ويعلمهم حب الله والثبات على الحق والاستقامة عليه. فتخرجت من المدرسة المحمدية نجوم من الصحابة أنارت للناس دروب الخير والصلاح ونشرت قيم الحب والفلاح، حملت راية الإسلام فغزت القلوب وأذهلت بأخلاقها العقول والألباب، وقد قال الحق تبارك وتعالى فيهم:

﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ ﴾[2].

---

(١) الرحيق المختوم، ص ٧١ .

(٢) الكهف، ١٨.

وكان الوحي قد تتابع وحمي نزوله بعد أوائل المدثر. وكانت الآيات وقطع السور تنزل في هذا الزمان آيات قصيرة، ذات فواصل رائعة منيعة، وإيقاعات هادئة خلابة تتناسق مع ذلك الجو الهامس الرقيق، تشتمل على تحسين وتزكية النفوس، وتقبيح تلويثها برغائب الدنيا، تصف الجنة والنار كأنهما رأي العين، تسير بالمؤمنين في جو آخر غير الذي فيه المجتمع آنذاك.

وكان من أوائل ما نزل، الأمر بالصلاة، قال مقاتل ابن سلمان: فرض الله في أوائل الإسلام الصلاة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي لقوله تعالى:

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ [(١)(٢)]

وكانت بداية الوحي وأول ما تلقى الرسول الكريم ﷺ من ربه :

---

(١) غافر، ٥٥.

(٢) الرحيق المختوم، ص٧١ .

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [(١)]

ثم تلاها قول الله سبحانه وتعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴾ . [(٢)]

وذلك أمر من الله سبحانه وتعالى الى رسوله بأن ينذر الناس جميعا من مخالفة الله ويبصّرهم بعواقب الخروج عن أوامر الله وحدود شرعه، وان الله سبحانه وتعالى اكبر من كل ما سواه وأن له العزة والكبرياء، كما إنها تشير إلى التطهر وهجران الرجز وهذا ما ينبئ عن طهارة النفس باطنا وظاهرا وان الله سبحانه وتعالى سيزكي نفس رسوله ويرقيها إلى مستوى من الكمال كما يريد الله لحبيبه .

---

(١) سورة العلق .

(٢) سورة المدثر.

وفي الآيات أمر بالصبر وهو إشارة لما سيلقاه الحبيب المصطفى وصحبه من الأذى والجهد والابتلاء في تبليغ الدعوة والصبر عليها .

(ويقال إن أول ما نزل بعد المدثر سورة الفاتحة وهي سورة تجمع بين الحمد والدعاء وتشتمل على جميع المقاصد المهمة من القرآن والإسلام، وان أول ما أمر به النبي من العبادات الصلاة: ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي، نزل بذلك جبريل فعلمه الوضوء والصلاة .

فكانت الطهارة الكاملة هي سمة المؤمنين، والوضوء شرط الصلاة، والحمد والتسبيح من أوراد الصلاة، وكانت الصلاة هي عبادة المؤمنين، يقيمونها، ويقومون بها في أماكن بعيدة عن الأنظار، وربما كانوا يقصدون بها الأودية والشعاب).[١]

وكان من معالم هذه المرحلة الكتمان والسرية التامة والتحرك ببطء وحذر وبحس أمني عالي وتخطيط دقيق

---

(١) روضة الأنوار في سيرة النبي المختار، ص ٣٦ .

عرف به النبي ﷺ في هذه المرحلة وربى عليه أصحابه في كل المراحل اللاحقة.

(كانت نقطة البدء في حركة التربية الربانية لقاء المدعو إلى الإسلام، بالنبي ﷺ فيحدث للمدعو تحول غريب واهتداء مفاجئ بمجرد اتصاله بالنبي ﷺ فيخرج المدعو من دائرة الظلام إلى دائرة النور ويكتسب الإيمان ويطرح الكفر، ويقوى على تحمل الشدائد في سبيل دينه الجديد وعقيدته السمحة.

كانت شخصية رسول الله ﷺ المحرك الأول للإسلام، وشخصيته ﷺ تملك قوى الجذب والتأثير على الآخرين فقد صنعه الله على عينه، وجعله أكمل صورة لبشر في تاريخ الأرض. والعظمة دائما تحبّ، وتحاط من الناس بالإعجاب ويلتف حولها المعجبون يلتصقون بها التصاقا بدافع الإعجاب والحب، ولكن رسول الله ﷺ يضيف إلى عظمته تلك، انه رسول الله، ملتقى الوحي من الله، ومبلغه إلى الناس، وذلك بعد آخر له أثره في تكييف مشاعر ذلك

المؤمن تجاهه، فهو لا يحبه لذاته فقط كما يحب العظماء من الناس، ولكن أيضا لتلك النفحة الربانية التي تشمله من عند الله، فهو معه في حضرة الوحي الإلهي المكرم، ومن ثم يلتقي في شخص الرسول ﷺ البشر العظيم والرسول العظيم، ثم يصبحان شيئا واحدا في النهاية، غير متميز البداية ولا النهاية .. حب عميق شامل للرسول البشر، أو للبشر الرسول، ويرتبط حب الله بحب رسوله ويمتزجان في نفسه، فيصبحان في مشاعره هما نقطة ارتكاز المشاعر كلها، ومحور الحركة الشعورية والسلوكية كلها. كان هذا الحب الذي حرك الرعيل الأول من الصحابة هو مفتاح التربية الإسلامية ونقطة ارتكازها ومنطلقها الذي تنطلق منه).[١]

الدعوة جهاراً

بعد ثلاث سنوات من العمل سرا، عمل فيها النبي ﷺ على الاصطفاء والتأسيس، على الاختيار الدقيق للمسلمين وتربيتهم وإعدادهم لتحمل عبء الدعوة وتكاليف الجهاد ضد

---

(١) منهج التربية الإسلامية محمد قطب، ص ٣٤، ٣٥ .

النفس والشيطان والكفر... أمره الله سبحانه وتعالى بالجهر بالدعوة ، فابتدأ ﷺبقبيلته وعشيرته .

عن ابن عباس رضي الله عنهقال لما نزلت: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [(١)] صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: (يا بني فهر، يا بني عدي) – لبطون قريش – حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب، وقريش فقال: **(أرأيتكم إن أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟**) قالوا نعم ما جربنا عليك إلا صدقا .

قال: **فإنني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**

(ولما تمت هذه المرحلية الطبيعية البدائية، وتحققت شهادة المستمعين قال رسول الله ﷺ:

---

(١) سورة الشعراء، ٢١٤.

(**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**) وكان ذلك تعريفا بمقام النبوة وما ينفرد به من علم بالحقائق الغيبية والعلوم الوهبية، وموعظة وإنذارا في حكمة وبلاغة، لا نظير لها في تاريخ الديانات والنبوات، فلم تكن طريق أقصر من هذا الطريق ولا أسلوب أوضح من هذا الأسلوب، فسكت القوم).[1]

دعاهم ﷺ إلى شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله، أن يؤمنوا بالله وأن يشتروا الآخرة بالدنيا فيربحوا الدنيا والآخرة ويفوزوا برضا الله وحبه .

أنكرت قريش على النبي ﷺ دعوته إلى التوحيد وترك عبادة الأصنام ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ﴿٦﴾

---

(١) السيرة النبوية أبي الحسن الندوي ص ١٣٨ .

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾ أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾.[١]

واستمر النبي ﷺ في دعوته وبدأ يجهر بها في نواديهم وتجمعاتهم يتلو عليهم كتاب الله ويدعوهم إلى الإسلام والتوحيد وراح يعبد الله أمام أعينهم فكان يصلي بفناء الكعبة نهارا جهرا وعلى رؤوس الأشهاد. وبدأ بعض الناس يستمعون لصوت الحق ويتبعون النبي بعد أن أنار الله قلوبهم وشرح للخير صدورهم فالتحقوا بقافلة النور.

حاربت قريش النبي ﷺ وعملت على السخرية منه والاستهزاء برسالته والحيلولة بين الناس وبين الاستماع إليه، وإثارة الشبهات وتكثيف الدعايات الكاذبة حوله ﷺ... حتى آذته بشخصه الكريم وحالت بينه وبين إيصال الدعوة إلى الناس، واعترضوا على وحدانية الله سبحانه وتعالى، وكفروا

---

(١) سورة ص .

بالآخرة وشككوا باليوم الآخر، واعترضوا على رسول الله ﷺ ووصفوه بهتانا بما لا يليق بشخصه الكريم، ولم يصدقوا أن القرآن منزل من العزيز الجليل

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (١).

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢).

---

(١) سورة هود .

(٢) سورة يونس .

وعذبت قريش ورؤوس الشرك فيها المسلمين وتفننت بإيذائهم والتنكيل الشديد بهم. بالضرب الشديد والإيذاء والتحريق والحبس وكل ما يتفتق عنه ويبتدعه عقل الشر مما يقشعر له البدن ولا تصدقه العقول.

كان من تلقاء هذا الاضطهاد أن يمنع رسول الله ﷺ المسلمين من إعلان إسلامهم قولا أو فعلا وأن لا يجتمع بهم إلا سرا، لأنه إذا اجتمع بهم علنا فلا شك أن المشركين يحولون بينهم وبين ما يريد من تزكية المسلمين وتعليمهم الكتاب والحكمة وربما يفضي ذلك إلى مصادمة الفريقين، فكان عامة الصحابة يخفون إسلامهم وعبادتهم ودعوتهم واجتماعهم، أما رسول الله ﷺ فكان يجهر بالدعوة والعبادة بين ظهراني المشركين لا يصرفه عن ذلك شيء، ولكن كان يجتمع مع المسلمين سرا، نظرا لصالحهم وصالح الإسلام، (وكانت دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي على الصفا، بعيدة عن أعين الطغاة ومجالسهم، فكان أن اتخذها مركزا

لدعوته، ولاجتماعه بالمسلمين من السنة الخامسة من النبوة)[1].

الهجرة إلى الحبشة

حين خلت أشهر من السنة الخامسة للهجرة اشتد البلاء على أصحاب رسول الله ﷺ وجعل الكفار يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ورمضاء مكة والنار ليردوهم عن دينهم، فمنهم من يفتن وقلبه مطمئن للإيمان ومنهم من تحمل أذى لا يحتمل واحتسب وصبر .

(في هذه الساعة الضنكة الحالكة نزلت سورة الكهف التي اشتملت على ثلاث قصص فيها إشارات بليغة من الله سبحانه إلى عباده المؤمنين فقصة أصحاب الكهف ترشد إلى الهجرة من مراكز الكفر والعدوان حين مخافة الفتنة على الدين.

وقصة الخضر وموسى تفيد أن الظروف لا تجري ولا تفهم حسب الظاهر دائما بل ربما يكون الأمر على عكس

---

(١) الرحيق المختوم، ص ٨٦ .

الظاهر وفيها أن الحرب ضد المسلمين الضعفاء المدحورين ستنعكس تماما .

وقصة ذي القرنين تفيد أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده وأن الله لا يزال يبعث من عباده من يقوم بانجاء الضعفاء من يأجوج ذلك الزمان و مأجوجه. ثم نزلت سورة الزمر تشير في الآية العاشرة إلى الهجرة، وتعلن بأن أرض الله ليست بضيقة)[١].

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[٢] .

في رجب سنة خمس من النبوة هاجر أول فوج من الصحابة تنفيذا لأمر النبي ﷺإلى الحبشة مكونا من اثني عشر رجلا وأربع نسوة، رئيسهم عثمان بن عفان ومعه السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ وقد قال رسول الله ﷺ فيهما:

(١) أنظر الرحيق المختوم، ص ٨٧ .

(٢) سورة الزمر.

(إنهما أول أهل بيت هاجر في سبيل الله بعد إبراهيم ولوط عليهما السلام)[1] فلقد انعكس أذى قريش للصحابة ألما في قلب النبي الكريم ﷺ المملوء شفقة على أصحابه، الرحيم بالمؤمنين، فبحث بحرص شديد عما فيه أمنهم وراحتهم فلذلك أشار عليهم بالذهاب عند الملك العادل الذي لا يظلم أحد عنده، ليأمن المسلمون على عقيدتهم وأنفسهم وكان الأمر كما قال عليه الصلاة والسلام. وحاولت قريش أن تدركهم لتردهم إلى مكة وخرجوا في أثرهم حتى وصلوا البحر، ولكن المسلمين كانوا قد أبحروا متوجهين إلى الحبشة. وعند التأمل في فقه المرويات يتبين لنا سريّة المهاجرين، ففي رواية الطبري (فخرجوا متسللين سرا)[2].

وكذلك ذكر سريّة الهجرة الواقدي وكذلك في عيون الأثر[3].

---

(١) مختصر سيرة الرسول للشيخ عبد الله النجدي ص ٩٢ .

(٢) تاريخ الطبري ١/٥٤٦ .

(٣) السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، ص ١٩٤ .

وكان هذا شان النبي ﷺ دوما، يخطط بدقة عالية تنم عن عقل شديد الرشد وحكمة بالغة، و يحيط الأمر بسرية تنم عن حرص شديد ويقظة مذهلة .

وبقي النبي ﷺ بمكة يعبد الله جهرا ويدعو علانية إلى توحيده، ولم يصرفه أذى قريش على شدته، ولا تعذيبهم وعدوانهم المتكرر عليه ﷺ.

فتحمل ألوان العذاب بنفس صابرة وقلب راض وهمة عالية، فكان همه ﷺ تبليغ الرسالة إلى الناس.

ومما كان يدل على عظم إيذاء الكفار وشدته للنبي ﷺ (تلك الآيات الكثيرة التي كانت تتنزل على الحبيب المصطفى ﷺ في هذه الفترة تأمره بالصبر، وتدله على وسائله، وتنهاه عن الحزن، وتضرب له أمثلة من واقع إخوانه من المرسلين)[1] .

﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾ [2]

---

(١) ا السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، ص ١٤٣ .

(٢) سورة المزمل، ١٠ .

﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴾[(١)]

﴿ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴾[(٢)]

﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ﴾[(٣)].

ومما ورد عن أنس ﵁أن الكفار قد ضربوا رسول الله ﷺ حتى غشي عليه فقام أبو بكر فجعل ينادي ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله . [(٤)]

ومن رواية عبد الله ابن مسعود ﵁ قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة، وجمع من قريش في مجالسهم إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هذا المرائي؟ أيكم يقوم إلى جزور آل فلان فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها، فيجيء به

---

(١) سورة الانسان، ٢٤.

(٢) سورة النمل، ٧٠ .

(٣) سورة فصلت، ٤٣ .

(٤) فضائل الصحابة لابن حنبل ١/٢٠٠ برقم ٢١٨ .

ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه ؟ فانبعث أشقاهم فلما سجد رسول الله ﷺ وضعه بين كتفيه، وثبت النبيﷺساجدا، فضحكوا حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك، فانطلق منطلق إلى فاطمة عليها السلام – وهي جويرية – فأقبلت تسعى، وثبت النبي ﷺ ساجدا حتى ألقته عنه، وأقبلت عليهم تسبهم ،فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال: **(اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش)** ثم سمى **(اللهم عليك بعمرو بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن معيط، وعمارة بن الوليد)** قال بن مسعود فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القليب (وهي بئر مفتوحة) – قليب بدر– ثم قال رسول الله : **(وأتبع أصحاب القليب لعنة)**[1].

وغير ذلك كثير مما احتمل رسول الله ﷺ مما لا يحتمل من أذى قريش وأصناف العذاب حتى أنها همت بما

---

(١) البخاري، كتاب أبواب سترة المصلى ١/١٩٤ برقم ٤٩٨ .

لم تنال من قتله ومما لم يثنه عن عزمه في تبليغ رسالة ربه، لكن الذي آذى النبي ﷺ هو أن لا يسلموا ولا يهتدوا فهو الرحمة المهداة، ولكل الخلق في قلب الرسول مكان. فكان ﷺ وهم يحاولون قتله، يوشك أن يذهب نفسه حسرة عليهم ألا يؤمنوا.

لماذا الهجرة ؟

أورد د. علي الصلابي في كتابه السيرة النبوية أسبابا لهجرة المسلمين إلى الحبشة غير التي ذكرنا، منها:

- ظهور الإيمان: لما كثر المسلمون وظهر الإيمان فتحدث به، ثار المشركون من كفار قريش بمن آمن من قبائلهم يعذبونهم ويسجنوهم، وأرادوا فتنتهم عن دينهم، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال للذين آمنوا به: **(تفرقوا في الأرض)** قالوا فأين نذهب يا رسول الله ؟ قال: **(هاهنا)** وأشار إلى أرض الحبشة. (١)

---

(١) المغازي النبوية للزهري، ص ٩٦.

- الفرار بالدين: كان الفرار بالدين خشية الافتتان فيه سببا مهما من أسباب هجرتهم للحبشة، قال ابن إسحاق: (فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة ... وفرارا إلى الله بدينهم)[١].

- نشر الدعوة خارج مكة: قال الأستاذ سيد قطب (ومن ثم كان يبحث الرسول عن قاعدة خارج مكة قاعدة تحمي هذه العقيدة، وتكفل لها الحرية ويتاح فيها أن تتخلص من هذا التجميد الذي انتهت إليه مكة، حيث تظفر بحرية الدعوة، وحماية المعتنقين لها من الاضطهاد والفتنة، وهذا في تقديري كان هو السبب الأول والأهم للهجرة ولقد سبق الاتجاه إلى الحبشة، حيث هاجر إليها كثير من المؤمنين الأوائل، والقول بأنهم هاجروا إليها لمجرد النجاة بأنفسهم، لا يستند إلى قرائن قوية، فلو كان الأمر كذلك لهاجر إذن أقل

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ٢ / ١٦٤.

الناس وجاهة وقوة ومنعة من المسلمين، غير إن الأمر كان على الضد من هذا، فالموالي المستضعفون الذين كان ينصب عليهم معظم الاضطهاد والتعذيب والفتنة لم يهاجروا، إنما هاجر رجال ذوو عصبيات، لهم من عصبيتهم – في بيئة قبلية – ما يعصمهم من الأذى، ويحميهم من الفتنة، وكان عدد القرشيين يؤلف غالبية المهاجرين) [1].

– وافق الأستاذ الغضبان الأستاذ سيد فيما ذهب إليه (وفي هذه أللفتة العظيمة من (سيد) رحمه الله في السيرة ما يعضدها ويساندها، وأهم ما يؤكدها في رأيي هو الوضع العام الذي انتهى إليه أمر مهاجرة الحبشة،فلم نعلم أن رسول الله ﷺ قد بعث في طلب مهاجرة الحبشة حتى مضت هجرة يثرب، وبدر وأحد والخندق والحديبية، لقد بقيت يثرب معرضة لاجتياح كاسح من قريش خمس سنوات، وكان آخر هذا الهجوم والاجتياح في الخندق، وحين اطمأن رسول الله ﷺ أن المدينة قد أصبحت قاعدة أمينة للمسلمين، وانتهى خطر

(١) في ظلال القرآن ١/٢٩.

اجتياحها من المشركين، عندئذ بعث في طلب المهاجرين من الحبشة ولم يعد ثمة ضرورة لهذه القاعدة الاحتياطية، التي كان من الممكن أن يلجأ إليها رسول الله ﷺ لو سقطت يثرب في يد العدو) [١].

- يميل الأستاذ دروزة إلى إن فتح مجال للدعوة في الحبشة سبب من أسباب هجرة الحبشة (بل انه ليخطر في البال أن يكون من أسباب اختيار الحبشة النصرانية أمل وجود مجال للدعوة فيها وأن يكون هدف انتداب جعفر متصلا بهذا الأمل)[٢].

وذهب إلى هذا القول د.سليمان حمد العودة في كتابه الهجرة الأولى في الإسلام ص٣٤:

ومما يدعم الرأي القائل بكون الدعوة للدين الجديد في أرض الحبشة سببا وهدفا من أسباب الهجرة، إسلام النجاشي وإسلام آخرين من أهل الحبشة، وأمر آخر، فإذا كان ذهاب

---

(١) المنهج الحركي للسيرة النبوية ١/٦٧، ٦٨ .

(٢) سيرة الرسول صور مقتبسة من القرآن الكريم ١ / ٢٦٥ .

المهاجرين للحبشة بمشورة النبي ﷺ وتوجيهه، فبقاؤهم في الحبشة إلى فتح خيبر بأمر النبي ﷺ وتوجيهه، وفي صحيح البخاري برواية أبو موسى: فقال جعفر للأشعريين حين وافقوه بالحبشة (إن رسول الله ﷺ بعثنا هنا، وأمرنا بالإقامة فأقيموا معنا) [١].

– ومنها، البحث عن مكان آمن للمسلمين حيث كانت الخطة الأمنية للرسول ﷺ تستهدف الحفاظ على الصفوة المؤمنة ولذلك رأى النبي ﷺ أن الحبشة تعتبر مكانا آمنا للمسلمين ريثما يشتد عود المسلمين وتهدأ العاصفة، وقد وجد المهاجرون في الحبشة ما أمنهم وطمأنهم، وفي ذلك تقول أم سلمة رضي الله عنها: (لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي، أمّنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى)[٢].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أبواب الخمس، باب إذا بعث الإمام رسولا في حاجة٣ /١١٤٢ برقم ٢٩٦٧ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام٢ / ١٧٧.

– اجتمعت على قريش أحداث متلاحقة حيّرت المشركين وقضّت مضاجعهم وأسلمتهم إلى تخبط وغضب.

لقد عز على المشركين أن يجد المهاجرون مأمنا لأنفسهم ودينهم، فاختاروا رجلين من رجالهم لبيبين هما عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة وحّملوهما بالنفيس من الهدايا المستطرفة إلى النجاشي وجميع البطارقة في قصره ليسلموا إليهم المسلمين على أنهم غلمان سفهاء فارقوا دين آبائهم ولم يدخلوا في دين النجاشي وقومه وجاءوا بدين لا يعرفه قومهم ولا النجاشي، وان أشراف قومهم من أعمامهم أعلم بهم وبما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه وأنهم يرجون النجاشي أن يرد إليهم هؤلاء الهاربين. لكن النجاشي رأى أنه لابد من تمحيص القضية وسماع أطرافها جميعا، فأرسل إلى المسلمين ليسمع منهم كما سمع لوفد قريش فتكلم عن المسلمين جعفر بن أبي طالب فشرح النور الذي جاء به النبيﷺ والفرقان الذي أنزل الله على مصطفاه ليبلغ به

الناس. فلان قلب النجاشي لما سمع من الحق وبكى تأثرا وبكى معه البطارقة، ورد على قريش هداياها وأكرم المسلمين وأمّنهم على دينهم وأنفسهم.

ثم أعلن صنديد قريش وفارسها حمزة ﵁ عم النبي ﷺ إسلامه .

واستجاب الله دعاء نبيه **(اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك عمر بن الخطاب أوعمرو بن هشام)**[1].

فجاء عمر بن الخطاب ﵁ إلى دار الأرقم وأعلن بين يدي النبي ﷺإسلامه فخرج المسلمون مكبرين وطافوا بالبيت ظاهرين. (وأرسلت قريش عتبة بن ربيعة وكان سيدا، إلى النبي ﷺ يعرض عليه السلطة والمال والسيادة والملك، على أن يترك هذا الأمر، فكان جواب النبي ﷺ أن أسمعه آيات من الذكر الحكيم فتأثر وعاد إلى قريش يقول لهم بأن الذي

---

(١) المستدرك على الصحيحين٣ /٥٧٤ برقم ٦١٢٩، ومجمع الزوائد ٦٣/٩ .

سمعه ماهو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وطلب إليهم أن يخلوا بين النبي وبين ماهو فيه فيعتزلوه).[١]

(كانت للمشركين محاولات واجهوا بها رسالة النبيﷺ ودعوته، مارسوها كلها جنبا إلى جنب متنقلين من طور إلى طور، ومن دور إلى دور فمن شدة إلى لين ومن لين إلى شدة، ومن جدل إلى مساومة ومن مساومة إلى جدل ومن هجوم إلى ترغيب ومن ترغيب إلى هجوم كانوا يثورون ثم يخورون، يجادلون ثم يجاملون ،وكان غرضهم من كل ذلك كف دعوة الإسلام ولم شعث الكفر ولم يبق أمامهم إلا خيار واحد هو السيف .

أما أبو طالب فقد رأى في تحركاتهم وتصرفاتهم ما يؤكد أنهم يريدون قتل النبي ﷺ فجمع بني هاشم وبني المطلب ودعاهم إلى القيام بحفظ النبي ﷺ فأجابوه إلى ذلك

(١) أنظر الرحيق المختوم، ص ١٠١.

كلهم مسلمهم وكافرهم وتعاقدوا وتعاهدوا عليه عند الكعبة. إلا أبو لهب فانه فارقهم وكان مع قريش). [١]

المقاطعة والحصار

– لما عرفت قريش أن بني هاشم وبني المطلب قد منعوا رسول الله ﷺ، أجمعوا على مقاطعتهم وحصارهم حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل، وكتبوا صحيفة وعهود ومواثيق وتعاهدوا أن لا يتقبلوا منهم صلحا ولا تأخذهم بهم رأفة ما لم يسلموا رسول الله ﷺ للقتل.

تعاهدوا على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعون منهم، ولا يدعون سببا من أسباب الرزق يصل إليهم ولا يقبلوا منهم صلحا، ولا تأخذهم بهم رأفة، ولا يخالطوهم ولا يجالسوهم ولا يكلموهم ولا يدخلوا بيوتهم، حتى يسلموا إليهم رسول الله للقتل، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم.

---

(١) أنظر روضة الأنوار في سيرة النبي المختار، ص ١٠٢ .

(تم هذا الميثاق، وعلقت الصحيفة في جوف الكعبة، فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم– إلا أبو لهب – وحبسوا في شعب أبي طالب ليلة هلال المحرم سنة سبع من البعثة) .[١]

– واشتد الحصار ومنع الطعام عن أهل الشعب حتى بلغ بهم الجهد فأكلوا أوراق الشجر وكان يسمع من وراء الوادي أصوات الصبية والنساء يبكون من الجوع، وكان الرجل يمص نواة تمرة فيقتات عليها يوما أو أكثر وشدوا الحجارة على البطون، وما أسلموا الرسول ﷺ ولا تخلوا عنه.

(وكان أبو طالب يخاف على رسول الله ﷺ فكان إذا أخذ الناس مضاجعهم يأمر رسول الله أن يضطجع على فراشه حتى يري ذلك من أراد اغتياله، فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوانه أو بني عمه فيضطجع على فراش رسول الله ﷺ، وأمره أن يأتي بعض فرشهم .

---

(١) الرحيق المختوم، ص ١٠٣ .

وكـــان رســول الله ﷺوالمســلمون يخرجــون فــي أيــام المواسم، فيلقون الناس ويدعوهم إلى الإسلام) .[١]

وبقي الرسول ﷺعلى صلابته في الحق لا يثنيه جوع أو الم أو تهديد بالقتل عن تبليغ رسالة ربه والسعي لإخراج الناس من الظلمات إلى النور وإنقاذهم من النار، كان يجهد ليأخذ الذين يريدون قتله إلى ما فيه سعادة الدنيا وخير الآخرة وقلبه منفطر عليهم ألا يهتدوا .

- مرّت ثلاثة أعوام عجاف، مليئات بالجوع والألم والصبر عانى فيها رسول الله ﷺ ومن حوله ما لا يطاق.

وفي المحرم من سنة عشر من النبوة حدث نقض الصحيفة وفك الميثاق، وذلك أن قريشا كانوا بين راض بهذا الميثاق والصحيفة وكاره لها فسعى في نقضها من كان كاره لها، فتنازع معهم أبو جهل يحول بينهم وبين تمزيقها، وكان أبو طالب جالس في ناحية المسجد، ذلك أن الله ﷻأخبر الرسول ﷺ أنه سلط على الصحيفة دودة الأرضة فأكلت

---

(١) الرحيق المختوم، ص ١٠٤.

جميع ما فيها من جور وقطيعة وظلم ولم يبق بها غير ذكر اللهﷻ، فأخبر النبي ﷺبذلك عمه الذي أخبر قريش بذلك وقال لهم إن كان ابن أخي كاذبا فلكم علي أن أدفعه إليكم تقتلونه، وان كان صادقا فهل تنتهون من تظاهركم علينا وينتهي الحصار؟

فوافقوا على ذلك وتعاهدوا عليه وأخذ عليهم المواثيق.

فقاموا إلى الصحيفة فنشروها فإذا الأرضة أكلت بنود الظلم ولم تبق غير (**باسمك اللهم**) وكان الأمر كما أخبر به الصادق الأمين ﷺ، (وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة قد شلت يده).[١]

وخرج الرسول ومن معه من الشعب بعد أن تم نقض الصحيفة، ورغم أن المشركين رأوا آية عظيمة تدل على صدق النبوة، إلا إنها لم تلامس قلوبهم التي غلفها الكبر، وأي آية أكبر من أن يروا النبي ﷺ بأعينهم ويلمسوا حنانه

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ٢ / ٢٢١ .

وحبه والرحمة التي ملأت قلبه وفاضت، ورأوا أخلاقه وما أودعه الله فيه من نور يأسر القلوب ويسكر الأرواح ؟ فمن يرى حبيب الله ﷺ ولا يهتدي، فما من آية بعدها تهديه .

عام الأحزان

- (ألح المرض بأبي طالب فلم يلبث أن وافته المنية في رجب سنة عشر للنبوة بعد الخروج من الشعب بستة أشهر.

وبعد وفاة أبي طالب بنحو شهرين أو بثلاثة توفيت أم المؤمنين خديجة الكبرى رضي الله عنها في السنة العاشرة من النبوة ولها خمس وستون سنة ورسول الله ﷺ إذ ذاك في الخمسين من عمره .

وقعت هاتان الحادثتان المؤلمتان خلال أيام معدودة فاهتزت مشاعر الحزن والألم في قلب رسول الله ﷺ، ثم لم تزل تتوالى عليه المصائب من قومه، فقد تجرئوا عليه وكاشفوه بالنكال والأذى بعد موت أبي طالب، فازداد غما على غم حتى يئس منهم، فخرج إلى الطائف رجاء أن

يستجيبوا لدعوته أو يؤووه وينصروه على قومه، فلم ير من يؤوي ولم ير ناصرا، بل آذوه أشد الأذى ونالوا منه مالم ينل قومه حتى رموه بالحجارة فأدموا قدميه الشريفتين.

ولأجل توالي مثل هذه الآلام في هذا العام سماه رسول الله ﷺ عام الأحزان). [1]

(يقول عروة بن الزبير: لما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تطمع به في حياة أبي طالب، حتى أعترضه سفيه من سفهاء قريش ونثر على رأسه ترابا ودخل بيته والتراب على رأسه، فقامت إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله ﷺ يقول لها: لا تبكي يا بنية فان الله مانع أباك، ويقول بين ذلك: ما نالت مني قريش شيء أكرهه حتى مات أبو طالب). [2]

---

(١) الرحيق المختوم، ص١٠٩، ١١٠.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام٢ / ٢٦٤.

الرسول ﷺ في الطائف

- (كان النبي ﷺ ينوع ويبتكر في أساليب الدعوة، دعا سرا وجهرا، سلما وحربا، جمعا وفردا، سفرا وحضرا، قص ﷺ القصص وضرب الأمثال، كما رغب ورهب ودعا في كل آن وعلى كل حال وبكل أسلوب مؤثر فعال.كان رسول الله يسعى لإيجاد مركز جديد للدعوة).[١]

في شوال سنة عشر من النبوة خرج النبي ﷺ إلى الطائف وهي تبعد عن مكة نحو ستين ميلا، سارها ماشيا على قدميه جيئة وذهابا ومعه مولاه زيد بن حارثة وكان كلما مر على قبيلة في الطريق دعاهم إلى الإسلام فلم تجب إليه واحدة منها.

فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف أقام بها عشرة أيام، لا يدع أحدا من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، فقالوا أخرج من بلادنا، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس فوقفوا له صفين يرمونه بالحجارة

---

(١) السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، ص٢١١.

وبكلمات السفه ورجموا عراقيبه حتى اختضب نعلاه بالدماء، وكان زيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى أصابه شجاج في رأسه ولم يزل به السفهاء كذلك حتى ألجئوه إلى حائط على ثلاثة أميال من الطائف فلما التجأ إليه رجعوا عنه، وأتى رسول الله ﷺ إلى حبلة من عنب فجلس تحت ظلها ودعا بالدعاء المشهور الذي يدل على امتلاء قلبه كآبة وحزنا مما لقي من الشدة، وأسفا على انه لم يؤمن به أحد، قال: **(اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي، وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحل**

علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك)(١).

وآمن له عداس وهو غلام لأهل البستان نصرانيا .

ورجع رسول الله كئيبا محزونا منكسر القلب فبعث الله إليه جبريل ومعه ملك الجبال يستأمره أن يطبق الأخشبين على أهل مكة، وهذا ما أخبر به النبي ﷺ أم المؤمنين عائشة وهي تسأله هل أتى عليك يوما كان أشد عليك من يوم أحد: **(لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، اذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت– وأنا مهموم – على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فإذا بها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول**

---

(١) الرحيق المختوم، ص ١١٩ .

قومك لك، وأنا ملك الجبال قد بعثني ربك لتأمرني بأمرك فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين (وهما جبلا مكة) قال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله ﷻ وحده، لا يشرك به شيئا)[١].

(ولما انصرف رسول الله ﷺ من الطائف راجعا إلى مكة حين يئس من خبر ثقيف، حتى إذا كان في وادي نخلة قام من جوف الليل يصلي فمر به نفر من الجن الذين ذكر الله وهم سبعة نفر من الجن فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته ولوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا إلى ما سمعوا).[٢]

وقص الله ﷻ ذلك في موضعين في سورتي الأحقاف والجن.

---

(١) صحيح مسلم، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين٣ /١٤٢٠برقم ١٧٩٥ .

(٢) تاريخ الطبري١/ ٥٥٥ .

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا
حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟
يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [1] .

﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا
﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا
مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾
وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ
يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ
ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا
﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا

---

(١) سورة الأحقاف، ٣٠.

﴿رَصَدٗا ٩ وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا﴾[1].

وحقا كان هذا الحادث نصرا آخر أمده الله من كنوز غيبه المكنون بجنوده التي لا يعلمها إلا هو، ثم إن الآيات التي نزلت بصدد هذا الحادث كانت في طيها بشارات بنجاح دعوة النبي ﷺوان أي قوة من قوات الكون لا تستطيع أن تحول بينها وبين نجاحها﴿ وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾[2].

﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا ﴾[3].

(ولما رجع النبي ﷺ من أهل الطائف ولم يجيبوه إلى ما دعاهم إليه من تصديقه ونصرته، فلما دنا من مكة مكث

---

(١) سورة الجن، ١- ١٠.

(٢) سورة الاحقاف، ٣٢.

(٣) سورة الجن، ١٢.

بحراء وبعث رجلا من خزاعة إلى المطعم بن عدي– سيد من بني نوفل– يسأله: (أدخل مكة في جوارك؟) فأجابه الى ذلك، وتسلح و أهل بيته وخرجوا إلى المسجد فقام المطعم على راحلته ونادى: يا معشر قريش إني قد أجرت محمدا، ثم بعث إلى رسول الله ﷺ أن أدخل فدخلﷺ فطاف بالبيت وصلى عنده ركعتين وانصرف إلى بيته، والمطعم بن عدي وولده حوله مسلحون حتى دخل بيته).(١)

(وبدلا من أن يدخل النبي ﷺ منهزما متخفيا، دخلها ويحرسه بالسلاح سيد من سادات قريش على مسمع منهم ومرأى، واختياره سيدا من بني نوفل ومبعوثا من خزاعة، فيه حنكة سياسية مدهشة، ووعي تاريخي ودبلوماسي عميق، فجد المطعم ورئيس قبيلة بني نوفل كان قد تنازع مع عبد المطلب الذي نصرة أخواله من الخزرج، فلما رأت خزاعة قوة عبد المطلب ونصره أخواله له تحالفوا معه، بعد أن كان بينهم وقريش صراع تاريخي قديم. فإذا بعث الرسول ﷺ

(١) أنظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٢٢٥ .

رجلا من خزاعة إلى سيد قبيلة بني نوفل فان هذا الفعل إشارة واضحة إلى تلك الوقائع التاريخية، كما هي تذكير بالحلف القديم بين عبد المطلب وخزاعة، ضد بني نوفل، ليفهم من ذلك أن الرسول ﷺ لا يقف معزولا في مكة، وانه قد يفعل ما فعله جده عبد المطلب فيتحالف مع خزاعة أو يستنصر بالخزرج، فالرسول ﷺ في الواقع لم يكن يستعطف المطعم ليدخل في جواره، بقدر ما كان يهدده ويثير مخاوفه، وحماية المطعم بن عدي لرسول الله ﷺ لم تكن مجرد نبل وتعاطف، بقدر ما كانت رعاية لمصلحته وحماية لوضعه، و صمت قريش وهي ترى الرسول ﷺ يدخل في جوار بني نوفل ويحرسونه بالسلاح، لم يكن خوفا من سلاحهم، بل خوفا من سلاح خزاعة وسلاح الخزرج). (١)

---

(١) أنظر السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، ص ٢١٧.

ألإسراء والمعراج

الإسراء توجه النبي ﷺ ليلا من مكة المكرمة إلى بيت المقدس، والمعراج صعوده ﷺ إلى العالم العلوي بجسده الشريف وروحه الأطهر ثم إلى سدرة المنتهى ثم العروج به إلى الجبار جل جلاله فدنا منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى .

والإسراء مذكور في الآية الأولى من سورة الإسراء، أما المعراج فقيل: انه مذكور في سورة النجم من آياتها السابعة إلى الثامنة عشر، وقيل المذكور في هذه الآيات غير المعراج.

وأختلف في وقت الإسراء والمعراج بأي سنة حدث .

(وأوجز وأعظم ما ورد في تعليل هذه الرحلة هو قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ﴾ [1] .

---

(١) الاسراء، ١.

وهـذه سـنة الله فـي الأنبيـاء، قـال عـز مـن قائـل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ [1]، وقال لموسى: ﴿ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴾ [2]. وبين مقصود هذه الإرادة بقوله:

﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ فبعد استناد علوم الأنبياء إلى رؤية الآيات يحصل لهم من عين اليقين ما لا يقادر قدره، وليس الخبر كالمعاينة، فيتحملون في سبيل الله ما لا يتحمل غيرهم، وتصير جميع قوات الدنيا عندهم كجناح بعوضة لا يعبئون بها إذا ما تدول عليهم بالمحن والعذاب).[3]

يقول الأستاذ أبو الحسن الندوي: (لم يكن الإسراء مجرد حادث فردي بسيط، رأى فيه رسول الله الآيات الكبرى وتجلى له ملكوت السماوات والأرض مشاهدة عيانا – بل

---

(١) سورة الانعام، ٧٥.

(٢) سورة طه، ٢٣.

(٣) الرحيق المختوم، ص ١٣.

زيادة إلى ذلك- اشتملت هذه الرحلة النبوية الغيبية على معان دقيقة كثيرة، وإشارات حكيمة، بعيدة المدى: فقد ضمت قصة الإسراء، وأعلنت السورتان الكريمتان اللتان نزلتا في شأنه (الإسراء والنجم) أن محمدا ﷺ هو نبي القبلتين، وإمام المشرقين والمغربين، ووارث الأنبياء قبله، وإمام الأجيال بعده فقد التقت في شخصه وفي إسرائه مكة بالقدس، والبيت الحرام بالمسجد الأقصى وصلى بالأنبياء خلفه، فكان هذا إيذانا بعموم رسالته وخلود إمامته وإنسانية تعاليمه، وصلاحيتها لاختلاف المكان والزمان، وأفادت هذه السورة الكريمة تعيين شخصية النبي ﷺ ووصف إمامته، وقيادته وتحديد مكانة الأمة التي بعث فيها وآمنت به، وبيان رسالته ودورها الذي ستمثله للعالم، ومن بين الشعوب والأمم).(١)

كما إن للإسراء والمعراج دلالة على حب الله ﷻ لنبيه فان كان أهل الأرض كذبوك وآذوك وأدموا قلبك وجرحوك،

---

(١) السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، ص٢٢٣ عن الأساس في السيرة : سعيد حوى .

فان الله يعوضك فيرفعك ويدنيك ويقربك ويعوضك قربا ما أتيح لسواك دليل حب وتكريم، وان كانت ثلة من البشر ما قبلتك نبيا، فهاهم جمع الأنبياء يقبلوك إماما، وان كانت مدينة أو عشيرة تحاربك، فانظر صغرها وصغر الأرض جميعا أمام ملكوت الملك الجبار تبارك وتعالى .

السعي بالدعوة على القبائل والأفراد

– دأب النبي ﷺ منذ أمره الله سبحانه وتعالى بالجهر بالدعوة أن يخرج في موسم الحج وأيام أسواق العرب ﴿ وكان أشهرها ثلاثة أسواق: عكاظ، ومجنة، وذو المجاز﴾ إلى منازل القبائل يدعوهم إلى الإسلام .

فالتقى في موسم الحج للسنة الحادية عشرة للنبوة نفرا من الخزرج من مدينة يثرب عددهم ستة رجال فعرض عليهم الإسلام و قرأ عليهم القرآن فأسلموا بعد أن وجد الخير إلى قلوبهم سبيلا فكانوا بداية قافلة النور ونسمات حملت الخير إلى أهلهم بعد أن حملوا راية الإسلام إلى يثرب .

بيعة العقبة الأولى

– في العام الثاني عشر من البعثة وبعد عام من إسلام شباب يثرب الستة، جاء في موسم الحج اثنا عشر رجلا عشرة من الخزرج واثنان من الأوس يعلنون للنبي ﷺ إسلامهم ويلتقوه في عقبة منى ويبايعوه، (وكان عبادة بن الصامت الخزرجى ممن بايع، يقول: بايعنا رسول الله ﷺ على أن لا نشرك بالله، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، فان وفيتم فلكم الجنة، وان غشيتم من ذلك شيئا فأمركم إلى الله ﷻ إن شاء عذبكم وان شاء غفر لكم).(١)

فكانت تلك بيعة العقبة الأولى .

وقد أرسل ﷺ معهم الصحابي مصعب بن عمير رضي الله عنه ليقرئهم القرآن ويفقههم في الدين .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢/٢٨١ .

(وأقام مصعب في بيت أسعد بن زرارة يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون. وقبل حلول موسم الحج التالي عاد مصعب بن عمير إلى مكة، يحمل إلى رسول الله بشائر الفوز، ويقص عليه خبر قبائل يثرب وما فيها من مواهب الخير وما لها من قوة ومنعة). [١]

بيعة العقبة الثانية

– في موسم الحج الثالثة عشر من النبوة قدم من يثرب ثلاثة وسبعون رجلا اثنان وستون من الخزرج وأحد عشر من الأوس ومعهم امرأتان...

فلما وصلوا مكة جرت بينهم وبين النبي ﷺ اتصالات سرية أدت إلى الاتفاق على أن يلتقوا في أوسط أيام التشريق في الشعب الذي عند العقبة وأن يتم هذا الأمر في سرية

---

(١) أنظر الرحيق المختوم، ص ١٣٨، عن زاد المعاد ٢ .

تامة في ظلام الليل حتى أنهم – زيادة في الحيطة – لا يوقظون من نام منهم وأن يأتون متسللين.

وهذا شأن النبي ﷺ يخطط لكل شيء بدقة وبسرية تامة.

وجاء رسول الله ﷺ ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وبعد أن تكامل المجلس و بدأت المحادثات وكان العباس أول من تحدث ليبين لهم خطورة الموقف وقوة الجانب الذي يستند إليه رسول الله ﷺفقال: (يا معشر الخزرج إن محمدا منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه، ومنعة في بلده وانه قد أبا إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج بها إليكم فمن الآن فدعوه، فانه في عز ومنعة من قومه وبلده .

قال كعب بن مالك فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت).[1]

وروى الإمام أحمد بإسناد حسن مما صححه الحاكم وأبن حبان قلنا يا رسول الله على ما نبايعك، قال: **(على السمع والطاعة، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقوموا في الله لا تأخذكم لومة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدمت إليكم، و تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة).** [2]

قال كعب: نعم والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعك مما نمنع أزرنا (أنفسنا ونسائنا) منه، فبايعنا يا رسول الله فنحن أبناء الحرب وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٢٩١ .

(٢) الرحيق المختوم، ص ١٤٠، عن مختصر سيرة الرسول للشيخ عبد الله النجدي .

فاعترض الكلام أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالا، وإنا قاطعوها – يعني اليهود – فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟

فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: (بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وانتم مني، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم).[1]

وبعد ذلك بدأت البيعة العامة، قال جابر: فقمنا إليه رجلا رجلا فأخذ علينا البيعة، يعطينا بذلك الجنة. ووضعوا أيديهم في يده الشريفة مبايعين .

وقد وفى رسول الله وهو أوفى الناس وأصدقهم بما عاهدهم عليه فما فارقهم حتى بعد فتح مكة وحتى بعد انتقاله إلى جوار ربه دفن جسده الشريف في المدينة المنورةﷺ.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢/٢٩٢ .

(وأما بيعة المرأتين فكانت قولا).[1]

وسميت هذه البيعة بيعة العقبة الثانية وبيعة العقبة الكبرى. وبعد أن تمت البيعة طلب منهم رسول الله ﷺ انتخاب أثنى عشر زعيما يكونون نقباء على قومهم يتابعون تنفيذ هذه البيعة، فتم انتخابهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.

ولما تم انتخاب النقباء أخذ عليهم النبيﷺ ميثاقا آخر، وقال لهم: (**أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومي**) – يعني المسلمين – قالوا: نعم. [2]

وهذه البيعة تغير بها وجه التاريخ ومجرى الأحداث، يرتبط بها أو يرتكز عليها كل ما سيتلوها من فتوحات وانتصارات .

---

(١) الرحيق المختوم، ص ١٤٢، عن مسند الإمام أحمد .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢٩٥/٢، وتاريخ الطبري ٥٦٢/١ .

طلائع الهجرة

وكانت البيعة الثانية تحمل بشارة الفتح بإنشاء مجتمع إسلامي ووطن بديل للنبي وصحبه، وكانت الهجرة تعني مفارقة الوطن والأهل وإهدار المصالح والتخلي عن الأموال، والإقدام على تجربة يلفها الغموض ويكتنفها المجهول، ثم إن الطريق محفوف بالأخطار وغير آمن.

ولكنها هجرة حب بالله وإلى الله في قافلة نور وخير يحدو ركبها بشير الخير ورسول الرحمة فيسهل لأجلها كل صعب، وكان الرسول ﷺ قد أخبر فيما روى البخاري في صحيحه من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها (قد أريت دار هجرتكم، أريت سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان).(١)

---

(١) البخاري، باب جوار أبي بكر ٨٠٤/٢ برقم ٢١٧، وصحيح ابن حبان٢٨٥/١٥ .

وقال ﷺ(رأيت في المنام إني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب). (١)

(وابتدأ المسلمون يتوافقون ويخرجون وهم يخفون ذلك، وكان أول من وصل المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد ثم قدم بعده عامر بن ربيعة معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة فهي أول ضعينة قدمت المدينة ثم قدم أصحاب رسول الله إرسالاﷺ، فنزلوا على الأنصار، فآووهم ونصروهم وآسوهم). (٢)

وبعد شهرين وبضعة أيام من بيعة العقبة الكبرى لم يبق بمكة إلا رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه وعلي ابن أبي

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الرؤيا باب رؤيا النبي ﷺ ٤/١٧٧٩برقم ٢٢٧٢ .

(٢) السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، ص٢٥٣.

طالب ﷺ ومن أحتبسه المشركون كرها أو مريض أو ضعيف .

هجرة النبي ﷺ وصاحبه ﷺ

(قال الله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴾ [١]. أرشد الله نبيه ﷺ وألهمه بهذا الدعاء أن يجعل له مما هو فيه فرجا قريبا ومخرجا عاجلا، فأذن الله تعالى في الهجرة إلى المدينة حيث الأحباب فصارت له دارا وقرارا وأهلها له أنصارا). [٢]

وكانت قريش تعاهدت سرا على قتل النبي ﷺ فنزل إليه جبريل بوحي ربه ﷻ يخبره بما بيتت قريش ومكرت، وان الله قد أذن للنبي بالهجرة، وكانت قريش قد أحاطت بيت النبي ﷺ بفتية لئام ينتظرون منتصف الليل ليدخلوا إلى النبي ﷺ فيضربوه بسيوفهم مجتمعين فيضيع بين القبائل دمه، هذا

---

(١) الاسراء، ٨٠.

(٢) البداية والنهاية، ج/٤، ص٤٣٧ .

مكرهم، لكن الله سبحانه وتعالى جبار السماوات والأرض بيده الأمر من قبل ومن بعد، يجير ولا يجار عليه، وفي هذا نزل القرآن ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾(١).

(ورغم استعداد قريش إلا إن النبي ﷺ أخذ حفنة من تراب في يده وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو عليهم سورة يس، ولم يبق منهم رجل إلا وجعل على رأسه ترابا، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب. (٢)

وكان الإمام علي رضي الله عنه قد بات في فراش النبي ﷺ وعليه برده .

(وكانت هجرته ﷺ في شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة من بعثته وذلك في يوم الاثنين كما رواه الإمام احمد

---

(١) الانفال، ٣٠.

(٢) البداية والنهاية، ص ٤٤٢ .

في مسنده بإسناد صحيح عن بن عباس انه قال: ولد نبيكم يوم الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين ونبئ يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين)[١].

إن من تأمل بحادثة الهجرة و رأى دقة التخطيط فيها، ودقة الأخذ بالأسباب من ابتدائها إلى انتهائها ومن مقدماتها إلى ما جرى بعدها، يدرك أن التخطيط المسدد بالوحي في حياة رسول الله ﷺ كان قائما، وان التخطيط جزء من السنة النبوية، وهو جزء من التكليف الإلهي في كل ما طولب به المسلم. فعندما حان وقت الهجرة وشرع النبي ﷺ بالتنفيذ نلاحظ وجود تنظيم دقيق للهجرة حتى نجحت رغم ما أكتنفها من صعاب وعقبات، تمثل في:

- جاء رسول الله ﷺ إلى بيت أبي بكر وقت شدة الحر (وهو الوقت الذي لا يخرج فيه أحد).

---

(١) البداية والنهاية، ص ٤٤٤ .

- أخفاء شخصيته أثناء مجيئه للصديق، و جاء إلى بيت الصديق متلثما .
- أمر أبا بكر رضي الله عنه أن يخرج من كان عنده، ولما تكلم لم يبين إلا أمر الهجرة دون تحديد الاتجاه .
- وكان الخروج ليلا ومن باب خلفي في بيت أبي بكر
- بلغ الاحتياط مداه، باتخاذ طرق غير مألوفة للقوم.
- نوم الإمام علي رضي الله عنه في فراش النبي ﷺ فكانت فكرة ناجحة ضللت القوم وخدعتهم وصرفتهم عن الرسول حتى خرج في جنح الليل تحرسه عناية الله وهم نائمون، ولقد ظلت أبصارهم معلقة بعد اليقظة بمضجع الرسول فما كانوا يشكون في انه نائم مسجى في بردته في حين أن النائم هو الإمام علي رضي الله عنه.

ونرى احتياجات الرحلة قد دبرت تدبيرا محكما: علي رضي الله عنه ينام في فراش النبي ﷺ ليخدع القوم ويسلم الودائع ثم يلحق بالرسول، وعبد الله بن أبي بكر صاحب المخابرات الصادق وكاشف تحركات العدو، وأسماء ذات النطاقين حاملة التموين

من مكة إلى الغار، وعامر بن فهيرة الراعي البسيط الذي قدم اللحم واللبن إلى صاحبي الغار وبدد آثار أقدام المسيرة التاريخية بأغنامه كيلا يتفرسها القوم، وعبد الله بن أريقط دليل الهجرة الأمين وخبير الصحراء البصير، ينتظر إشارة البدء من الرسول ليأخذ الركب طريقه من الغار إلى يثرب .

فهذا تدبير للأمور على نحو رائع ودقيق واحتياط للظروف بأسلوب محكم ووضع لكل من أشخاص الهجرة في مكانه المناسب، وسد لجميع الثغرات، وتغطية بديعة لكل مطالب الرحلة، واقتصار على العدد اللازم من الأشخاص من غير زيادة ولا إسراف. لقد أخذ الرسول بالأسباب المعقولة، أخذا قويا حسب استطاعته وقدرته..ومن ثم باتت عناية الله متوقعة .

إن رسول الله ﷺ أعد كل الأسباب واتخذ كل الوسائل، ولكنه في الوقت نفسه مع الله يدعوه ويستنصره.

(وفي هجرة النبيﷺ وقعت معجزات حسية، وهي دلائل ملموسة على حفظ الله ورعايته لرسول اللهﷺ ومن ذلك نسيج العنكبوت على فم الغار ومنها ما جرى لرسول الله ﷺ مع أم معبد، وما جرى له مع سراقة ووعده إياه بأن يلبس سواري كسرى، وهو ما تزخر به كتب السيرة).[١]

- بعد ثلاثة عشر عاما من البعثة هاجر النبي الأمينﷺوأبو بكر الصديق ﷺ بعد ثلاثة عشر عاما من البعثة قضاها ﷺيدعوا إلى توحيد الله ﷻ وتهذيب الصحابة ونقلهم إلى دنيا الصفاء والصدق والإخلاص، فكان ﷺ ينشر الإسلام ويبني في ذات الوقت نموذجا جديدا لرجال سموا بأخلاق وشمائل يصعب تصديقها.

بعد ثلاثة عشر عاماً من الدعوة دخل الرسول الكريمﷺالمدينة المنورة في ربيع الأول من السنة الأولى للهجرة.

---

(١) السيرة النبوية، عرض وقائع ونحليل أحداث، ص٢٨٠، ٢٨١.

السيرة المنورة بعد الهجرة

حالة المجتمع في المدينة عند الهجرة

عندما وصل رسول الله ﷺ إلى المدينة كان هو الإمام القائد والهادي في بناء المجتمع والدولة الإسلامية الجديدة، والأقوام التي كان يواجهها رسول الله ﷺ في المدينة كانت على ثلاثة أصناف، يختلف كل صنف عن الآخر، (وهذه الأصناف هي:

١. أصحابه من الصفوة الكرام البررة ﷺ:

فبالنسبة إلى أصحابه فقد اختلف الظرف بالنسبة إليهم، فهم في مكة وان كانت تجمعهم كلمة جامعة وأهدافهم متفقة، إلا أنهم كانوا متفرقين في بيوتات شتى، أذلاء مطرودين مقهورين لم يكن لهم من الأمر شيء، لا يستطيعون أن يقيموا المجتمع الإسلامي الجديد، لذلك كانت السور المكية تقتصر على تفصيل المبادئ وعلى التشريعات التي يمكن أن يعمل بها كل فرد وحده، وعلى الحث على البر والخير ومكارم الأخلاق، وتنهى عن الرذائل والدنايا .

أما في المدينة فكان أمر المسلمين بأيديهم، فقد آن أن يواجهوا بمسائل الحضارة والعمران وبمسائل المعيشة والاقتصاد وبمسائل السياسة والحكومة والسلم والحرب، والتفصيل الكامل لمسائل الحلال والحرام والعبادة وكل مسائل الحياة .

ومجتمع كهذا لا يمكن أن يستتب في يوم وليلة، بل يستلزم زمنا طويلا يتكامل فيه التشريع والتقنين مع التثقيف والتدريب وكان الله ﷻ كفيلا بهذا التشريع، وكان رسول الله ﷺ قائما بتنفيذه والإرشاد إليه، وكان هذا أعظم ما يواجه رسول الله ﷺ بالنسبة للمسلمين وهذا كان المقصود من الدعوة الإسلامية والرسالة المحمدية.

كانت جماعة المسلمين تشتمل على قسمين، قسم في ديارهم وأرضهم وأموالهم، وهم الأنصار وكان بينهم تنافر مستحكم وعداء مزمن منذ أمد بعيد، وقسم آخر تركوا ديارهم وأموالهم ومعاشهم وهم المهاجرين .

٢. **المشركون الذين لم يؤمنوا**: وهم من صميم قبائل المدينة ولم تكن لهم سيطرة على المسلمين وكان منهم من يتردد عن ترك دين الآباء، ومنهم من أظهر إسلامه وهو يبطن البغضاء والعداوة لرسول الله ﷺ والمسلمين .

٣. **اليهود**: وهم عبرانيون وفدوا إلى أرض الحجاز فصبغوا بالصبغة العربية في الزي واللغة والحضارة، لكنهم لم يندمجوا في العرب قطعا، بل كانوا يفتخرون بجنسيتهم الإسرائيلية ويحتقرون العرب ويسمونهم أميين ويرون أن أموال العرب مباحة لهم، وكانوا مهرة في فنون الكسب والمعيشة وفي أيديهم التجارة ويشتغلون بالربا، وكانوا أصحاب مكر ودسائس وفتن، وكان منهم في المدينة ثلاثة قبائل مشهورة:

بنو قينقاع (حلفاء للخزرج وديارهم داخل المدينة) بنو النضير، وبنو قريظة (والقبيلتان حلفاء الأوس وديارهم بضواحي المدينة) وهذه القبائل كانت تثير الحروب بين الأوس والخزرج. وكانوا يبطنون أشد العداوة للإسلام

وللرسـولﷺ وان كـانوا لـم يتجاسـروا علـى إظهارهـا إلا بعـد حين.

وخـارج المدينـة كانـت ألـد قـوة ضـد الإسـلام هـي قـريش التـي آذت المسـلمين وعـذبتهم (حينمـا كـانوا بمكـة) ثـم لمـا هـاجروا إلــى المدينــة صــادرت أمــوالهم وأرضــهم وديــارهم، وتآمرت على الفتك بصاحب الدعوة ﷺ والقضاء عليه، وبعد الهجـرة قامـت بـدورها السياسـي لمـا لهـا مـن صـدارة دنيويـة وزعامـة دينيـة بين أوساط العرب فأغرت غيرها من مشركي الجزيـرة ضـد أهـل المدينـة، حتـى صـارت المدينـة فـي شـبه مقاطعة شديدة.

هذه هـي القضـايا والمشـاكل التـي كـان يواجههـا رسـول اللهﷺ حين ورد المدينة بصفته رسولا هاديا وإماما قائدا.[١]

---

(١) أنظر الرحيق المختوم، ص ١٦٨ – ١٧٤.

السنة الأولى للهجرة

حين استقر المصطفى وصحبه ﷺ في المدينة، بدأ بتأسيس الدولة الإسلامية وبناء المجتمع الإسلامي في وقت استمر فيه بالدعوة إلى الله .

فكان ﷺ يعمّر القلوب ويعمّر البلاد في ذات الوقت، فأتم:

- **بناء المسجد النبوي:** وكان أول ما قام به رسول اللهﷺهو بناء المسجد النبوي في المكان الذي بركت فيه الناقة، روى البخاري في صحيحه إن رسول اللهﷺ دخل المدينة راكبا راحلته فسار يمشي معه المسلمون حتى بركت عند مسجد رسول اللهﷺ بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مربدا (موضع يجفف فيه التمر) للتمر لسهل وسهيل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: **(هذا إن شاء الله المنزل)** ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما في المربد ليتخذه مسجدا فقالا: لا بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى

رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه. (١)

وشرع رسول الله في العمل ببناء المسجد مع أصحابه وضرب أول معول في حفر الأساس الذي بلغ ثلاثة أذرع ثم اندفع المسلمون يبنون الأساس بالحجارة والجدران باللبن الذي يعجن بالتراب وجعل السقف من جريد النخل وعمده الجذوع وفرشت أرضه من الرمل والحصباء وبلغ طول المسجد مما يلي القبلة إلى ألمؤخره مائة ذراع، وجعلت له ثلاثة أبواب .

(وبني لرسول الله ﷺ حجرات حول مسجده الشريف لتكون مساكن له ولأهله، وكانت بيوت من ترفّع عن الدنيا وزخرفها وأبتغى الدار الآخرة، فقد كانت مبنية من اللبن والطين وبعض الحجارة وكانت سقوفها من جذوع النخل

---

(١) البخاري، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ٣/١٤٢١ برقم٣٦٩٤ .

والجريد، وكانت صغيرة الفناء قصيرة البناء ينالها الغلام الفارع بيده).[1]

وكان في مؤخرة المسجد النبوي الصُفة أو الظُلة .

والصفة ظُلة في مؤخرة مسجد رسول الله ﷺ يأوي إليها المساكين واليها ينسب أهل الصفة .

- **المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار**: وهذه الخطوة مهمة لبلورة المجتمع الإسلامي الجديد القائم على المحبة في الله المجتمع المتكاتف الذي لا يؤمن فيه إلا من يحب لإخوانه ما يحب لنفسه أو فوق ما يحب لنفسه فيؤثر على نفسه وان كان بحاجة، والإسلام قائم على الحب والتناصر والتعاضد والتكافل، والود والصفاء .

ومؤاخاة المهاجرين والأنصار ترتبت عليها حقوق خاصة أكثر من تلك التي بين عموم المسلمين فربطت أفراد المجتمع الذي كان قبلا يقوم على العصبية فكانت أخاء

---

(١) السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، ص ٣٠٠.

كامل ألف الله فيه بين قلوب عباده، محبته ﷻ هي الآصرة التي تجمع عباده .

– **الوثيقة (دستور المدينة):** نظم النبي ﷺ فيها العلاقة بين سكان المدينة من المهاجرين، والأنصار، واليهود فيما سمي بالصحيفة أو الكتاب.

وأحلّ ﷺ فيها مفهوم الأمة بدل القبيلة وكانت هذه أول لبنة في بناء المجتمع المدني والدولة الإسلامية .

فكتب ﷺ ميثاق تحالف بين المسلمين والمؤمنين في المدينة بحكمة أرست دعائم مجتمع جديد وحددت العلاقة بينهم مستعرضا فيها الحقوق والواجبات.

(كان ﷺ يحدث لهم بما في العبادات من الفضائل والأجر والثواب عند الله، وكان يربطهم بالوحي النازل عليه من السماء ربطا موثقا يقرأه عليهم، ويقرأونه، لتكون هذه الدراسة إشعارا بما عليهم من حقوق الدعوة وتبعات الرسالة، فضلا عن ضرورة الفهم والتدبر .

وهكذا رفع معنوياتهم ومواهبهم، وزودهم بأعلى القيم والأقدار والمثل، حتى صاروا صورة لأعلى قمة من الكمال عرفت في تاريخ البشر بعد الأنبياء.

يقول عبد الله بن مسعود: من كان مستنا فليستن بمن قد مات، فان الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمدﷺ، كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، اختارهم الله لصحبة نبيه ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم على أثرهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم .

ثم إن الرسول القائد الأعظم ﷺ كان يتمتع من الصفات المعنوية والظاهرة، ومن الكمالات والمواهب والأمجاد والفضائل ومكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال بما جعلته تهوى إليه الأفئدة وتتفانى عليه النفوس، فما يتكلم بكلمة إلا ويبادر صحابته إلى امتثالها، وما يأتي برشد وتوجيه إلا ويتسابقون إلى التحلي به .

بمثـل هـذا اسـتطاع النبـي ﷺ أن يبنـي فـي المدينـة مجتمعـا جديـدا، أروع وأشـرف مجتمـع عرفـه التـاريخ، وأن يضـع لمشـاكل هـذا المجتمـع حـلا تتـنفس لـه الإنسـانية الصـعداء بعد أن كانـت تعبـث فـي غياهـب الزمـان وديـاجير الظلمات .

وبمثـل هـذه المعنويـات الشـامخة تكاملـت عناصـر المجتمع الجديد الذي واجه كل تيارات الزمان حتى صرف وجهتها وحول مجرى التاريخ والأيام). [١]

تضـمنت الصـحيفة تحديـد مفهـوم الأمـة، فالأمـة تضـم (وفق الصـحيفة) المسلمين جميعا مهاجريهم وأنصارهم ومن تـبعهم ممـن لحـق بهـم وجاهـد معهـم، أمـة واحـدة مـن دون النـاس. وهـذا شـيء جديـد فـي تـاريخ الحركـة السياسـية فـي جزيرة العرب وهذه نقلـة من شـعار القبيلـة والتبعيـة لهـا، إلـى شعار الأمة التي تضم كل من اعتنق دين الإسلام .

---

(١) الرحيق المختوم، ص١٨١ .

(كما نصت الصحيفة على (مهما اختلفتم فيه من شيء فـان مـرده إلـى الله والـى محمـد ﷺ) فالمرجعيـة العليـا لله ورسولهﷺ، كما حددت الصحيفة أن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، فهذه الوثيقة حددت معالم الدولـة أمـة واحدة، وإقليم هو المدينـة، وسلطة يرجع إليها تحكم بما أنـزل الله، كما كفلت الحريات والحقوق). (١)

كما كتب ميثاقا مع اليهود (جاءت ضمن المعاهدة التـي تمـت بـين المسـلمين أنفسـهم) نظمـت العلاقـة بـين المسلمين واليهود، وما لهم وعليهم من حقوق والتزامات في المجتمع الجديد .

(وقد أرسل رسول الله ﷺ فـي هـذه السـنة عـدة سـرايا منها: سرية سيف البحر أمّر عليها حمزة بن عبد المطلبرضي الله عنه وكانت في رمضان وعقد له لواءا أبيض وهو أول لواء عقده

---

(١) أنظر السيرة النبويـة، عرض وقـائع وتحليـل أحداث، ص٣٢٧ – ٣٣٥ .

رسول الله ﷺ، سرية رابغ في شوال، سرية الخرّار في ذي القعدة).[1]

السنة الثانية للهجرة

سعت قريش لعدم وصول النبي ﷺ إلى المدينة، وحاولت القضاء على الإسلام والمسلمين، واستمر العداء بعد هجرة النبيﷺ والمسلمين واستمرت محاولة القضاء على الدعوة ورجالها .

ومن دلائل ذلك كتابتهم إلى عبد الله ابن أبي ومن كان يعبد الأوثان من الأوس والخزرج قبل وقعة بدر: إنكم آويتم صاحبنا، وإنكم أكثر أهل المدينة عددا، وإنا نقسم بالله لتقتلنه أو لتخرجنه أو لنستعين عليكم العرب ثم لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم، فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبي ومن معه من عبدة الأوثان تراسلوا وأرسلوا وأجمعوا لقتال النبي ﷺ وأصحابه فلما بلغ ذلك النبي ﷺ لقيهم فقال:

---

(١) الرحيق المختوم، ص١٨٧- ١٨٨.

(لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت تكيدكم بأكثرمما تريدوا أن تكيدوا به أنفسكم، تريدون أن تقتلوا أبناءكم وإخوانكم) فلما سمعوا ذلك من النبي تفرقوا.[1]

(وهنا تظهر عظمة النبوة وعظمة القائد المربي ﷺ حيث قضى على هذه الفتنة في مهدها، وضرب على وتر العزة القبلية، فقد كان ﷺ يدرك أغوار النفس البشرية التي يتعامل معها، ولذلك كان خطابه مؤثرا في نفوس مشركي يثرب).[2]

ومن ذلك ما رواه البخاري عن سعد ابن معاذ حين خرج معتمرا ونزوله على أمية، فقال له انظر لي ساعة خلوة لعلي أن أطوف بالبيت فخرج به قريبا من نصف النهار فلقيهما أبو جهل فقال: يا أبا صفوان من هذا معك؟ فقال:هذا سعد، فقال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكة

---

(١) سنن أبي داود، باب في خبر النظير ١٥٦/٣ برقم ٣٠٠٤، ومصنف عبد الرزاق ٣٥٩/٥ برقم ٩٧٣٣.

(٢) السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، ص٣٦٣ .

آمنا، وقد أويتم الصباة (الخارجين عن الدين) وزعمتم إنكم تتصرونهم وتعينونهم، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالما،فقال له سعد ورفع صوته عليه: أما والله لو منعتني هذا لأمنعنك ما هو أشد عليك منه، طريقك على المدينة.(١)

وهذا ما لم يحصل قبلا لأحد من العرب حيث لم يعتاد أحد أن يدخل الحرم حاجا بأمان أحد، إلا أن أبا جهل يعتبر سعد مهدور الدم فلا يدخل مكة إلا بحمى زعيم من زعمائها، وهذا يحمل ضمنا إعلان حرب على الدولة الإسلامية في المدينة وعلى رجالها .

وأمام هذا الموقف العدائي وإعلان قريش الحرب على الدولة الإسلامية كان طبيعيا أن تتعامل المدينة حسب حالات العدوان هذه وما تقتضيه من مواقف مضادة. فكان أن أرسل الرسول ﷺ سرايا وغزوات سبقت بدر (وقد سمى

---

(١) البخاري، كتاب المغازي، باب من يقتل في بدر ١٤٥٣/٤ برقم ٣٧٣٤ .

المؤرخون ما خرج فيه النبيﷺ بنفسه غزوة سواء حارب ﷺ أم لم يحارب وما خرج به أحد قادته سرية) ومنها:

(غزوة الأبواء أو ودّان: حدثت في صفر وهذه أول غزوة غزاها رسول اللهﷺ وقد غاب فيها عن المدينة التي استخلف عليها سعد بن عبادة، خمس عشرة ليلة، وكان اللواء أبيض وحامله حمزة بن عبد المطلب.

غزوة بواط وحدثت في شهر ربيع الأول، غزوة سفوان: في شهر ربيع الأول أغار كرز بن جابر الفهري في قوات خفيفة من المشركين على مراعي المدينة ونهب بعض المواشي فخرج رسول الله ﷺ في سبعين من أصحابه لمطاردته حتى بلغ واديا يقال له سفوان من ناحية بدر إلا أنه لم يدرك كرزا، غزوة ذي العشيرة، في جمادي الأولى وجمادي الآخرة، سرية نخلة.

تلكم السرايا والغزوات قبل بدر لم يجر في واحدة منها سلب الأموال وقتل الرجال، إلا بعد ما ارتكبه المشركون

بقيادة كرز بن جابر الفهري، فالبداية إنما هي من المشركين مع ما كانوا قد أوتوه قبل ذلك من الأفاعيل).[١]

وقد فرض على المسلمين القتال في شعبان وأنزل في ذلك آيات بينات في سورة البقرة ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ ﴾[٢].

وتواصلت الآيات التي تحرض المؤمنين على القتال نزولا فزاد نشاط المسلمين واشتدت رغبتهم بالجهاد ولقاء المشركين .

– غزوة بدر الكبرى: بلغ المسلمين أن قافلة عظيمة لقريش قادمة من الشام بها ألف بعير موقرة بالأموال يحرسها أربعون رجلا. وكان الاستيلاء عليها يمثل ضربة اقتصادية

---

(١) أنظر الرحيق المختوم، ص١٨٨ – ١٩١ .

(٢) سورة البقرة، ١٩٠، ١٩١.

وعسكرية لقريش. لذلك أعلن الرسول ﷺ: (هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها).[1]

وخرج رسول الله ﷺ ومعه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا فعن البراء رضي الله عنه (كنا نتحدث أن أصحاب بدر ثلاث مائة وبضعة عشر).[2]

خرج المسلمون وما اتخذوا أهبتهم كاملة لأنهم لم يخرجوا لحرب بل للاستيلاء على قافلة، فبين المسلمين والمشركين حالة حرب أعلنها المشركون، كما إن ضمن الأموال التي تحملها القافلة أموال المسلمين التي صادرها منهم كفار قريش.

يقول كعب بن مالك: (إني تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحدا تخلف عنه إنما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١٥٢/٣ .

(٢) البخاري، باب قصة غزوة بدر ١٤٥٥/٤ برقم ٣٧٤٢ .

يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم ميعاد)[1].

ودفع رسول الله ﷺ لواء القيادة إلى مصعب بن عمير القرشي وكان هذا اللواء أبيض. وقسم الجيش إلى كتيبتين: كتيبة المهاجرين وأعطى علمها علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكتيبة الأنصار وأعطى علمها إلى سعد بن معاذ ولم يكن مع الجيش إلا فرسان، وسبعون بعيرا يعتقب الرجلان والثلاثة على بعير واحد. (وخرج رسول الله من المدينة يريد بدرا، وهو موضع على بعد (١٥٥) كم جنوب غربي المدينة تحيط بها جبال شواهق من كل جانب، وليس فيها غير ثلاثة منافذ، منفذ في الجنوب وهو العدوة القصوى، ومنفذ في الشمال وهو العدوة الدنيا، ومنفذ في الشرق يدخل منه أهل المدينة، وكان طريق القوافل الرئيسي بين مكة والشام يمر من داخل هذا المحيط، وكان فيه مساكن وآبار ونخيل

---

(١) مسلم، باب توبة كعب بن مالك وصاحبيه ٤/٢١٢١، والبخاري باب قصة بدر ٤/١٤٥٥ برقم ٣٧٣٥.

فكانت القوافل تنزل فيه ساعات وأياما، فكان من السهل جدا أن يسد المسلمون هذه المنافذ بعدما تنزل العير في هذا المحيط فتضطر إلى الاستسلام، ولكن من لوازم هذا التدبير أن لا يشعر أهل العير بخروج المسلمين إطلاقا، حتى ينزلوا ببدر على غرة، ولذلك سلك رسول الله ﷺ أول ما سلك طريقا آخر غير طريق بدر ثم تأنى في التقدم إلى جهة بدر. وكان قائد القافلة أبا سفيان وهو في غاية التيقظ والحذر يسأل كل غائد ورائح عن تحركات المسلمين، حتى علم بخروج المسلمين من المدينة، فحول اتجاه العير إلى الغرب ليسلك طريق الساحل، ويترك طريق بدر إطلاقا، واستأجر رجلا يخبر أهل مكة بخروج المسلمين).(١)

وبلغ النذير مكة فخرجت قريش في ألف وثلاثمائة مقاتل ومعهم مائة فرس وستمائة درع وعدد كثير من الجمال. وكان على رأس الجيش أبا جهل بن هشام. وبلغ خبر خروج قريش للقتال إلى النبي ﷺ، فتحرك بجيشه ليسبق

---

(١) روضة الأنوار، ص ١٧٣.

المشركين إلى ماء بدر. والتقى الجمعان ببدر، فئة تقاتل في سبيل الله ﷻ ومن أجل إعلاء كلمة الحق ونشر النور والخير، وفئة كافرة، فأرسل الله الملائكة تقاتل مع أولياء الحق وأمدهم بالنصر.

﴿ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾.(١)

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
(١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ
الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ (١٢٤) بَلَىٰ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا
يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ
إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ
الْحَكِيمِ ﴾(٢).

---

(١) سورة الانفال، ٩.

(٢) سورة آل عمران، ١٢٣-١٢٦.

وكان رسول الله ﷺ يخرج من باب العريش يثب بالدرع ويقول: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ (١).

ورمى ﷺ قريش بحفنة من الحصباء، اصابت عيونهم ومناخرهم وأفواههم جميعا.

وفي ذلك يقول الله ﷻ:

(وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى)(٢) .

وأمد الله سبحانه المسلمين بنصره وجعل كلمة الإيمان هي العليا وفرق بين الحق والباطل فسمي يوم بدر يوم الفرقان.

(وقد استشهد من المسلمين أربعة عشر، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار، أما المشركون فقتل منهم سبعون وأسر سبعون) (٣).

---

(١) سورة القمر، ٤٥.

(٢) سورة الانفال، ١٧.

(٣) الرحيق المختوم، ص ٢١٤ .

– غزوة بني قينقاع: أثار انتصار المسلمين ببدر حسد اليهود وغيرتهم وحقدهم ، وعادوا لممارسة بث الفتن بين المسلمين وإثارة نعرات الطائفية بينهم وتذكيرهم بما كان بينهم من ثارات وقتل، وحدث أن جمعهم رسول الله ﷺ في سوق بني قينقاع فقال: (**يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشا. قالوا يا محمد لا يغرنك من نفسك انك قتلت نفرا من قريش كانوا أغمارا لا يعرفون القتال، انك لو قاتلتنا لعرفت إنا نحن الناس وانك لم تلق مثلنا**).[١]

وكان هذا الرد هو إعلانا للحرب.

وروى ابن هشام أن امرأة من العرب أتت بجلب لها(ما يجلب للسوق للبيع) فباعته في سوق بني قينقاع وجلست إلى صائغ فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ـ وهي غافلة ـ فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا بها، فصاحت، فوثب

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام٣/٣١٤ .

رجل من المسلمين على الصائغ فقتله- وكان يهوديا- فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فوقع الشر بينهم وبين اليهود. (١)

وحينئذ عيل صبر رسول الله ﷺ فسار بجنود الله إلى بني قينقاع وأعطى الراية حمزة بن عبد المطلب، ولما رأوه تحصنوا بحصونهم فحاصرهم أشد الحصار، ودام الحصار خمس عشرة ليلة وقذف الله في قلوبهم الرعب فنزلوا على حكم رسول الله في رقابهم وأموالهم ونسائهم وذريتهم، فأمر بهم فكتفوا وربطوا (بعد أن كانوا يتوعدون المسلمين بأنهم أهل بأس في القتال) وقام المنافق عبد الله بن أبي بن سلول و توسط لهم عند رسول الله ﷺ الذي عامله بالمراعاة فوهبهم له على أن يخرجوا من المدينة ولا يجاوروه بها فخرجوا إلى أذرعات الشام فقلّ أن لبثوا فيها حتى هلك أكثرهم .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٨٩/٣.

وخـرج بنـو قينقـاع صـاغرين أذلاء وقـد تركـوا بيـوتهم وسلاحهم وكانوا من أشجع اليهود مما ألقى الرعب في باقي قبائل اليهود .

- بدأت الآيات القرآنية تنزل هذه السنة بالتشريعات و الأحكام لتنظيم حياة المجتمع المدني، وبناء الدولة حيث شرعت فريضة الصيام والزكاة وزكاة الفطر وصلاة العيد.

السنة الثالثة للهجرة

- سرية القردة: في جمادي الآخرة قررت قريش التي حوصرت اقتصاديا فلم تعد تأمن على قوافلها، أن تتخذ طريقا جديدا تسلكه قوافلها فتتخذ طريق العراق وهي طريق طويلة جدا تخترق نجدا إلى الشام وتمر شرقي المدينة على بعد كبير منها، إلا إن أخبار الطريق الجديد وصلت المدينة فجهز رسول الله ﷺ حملة قوامها مائة فارس يقودهم زيد بن حارثة الكلبي، فدهموا القافلة وهي تنزل على ماء في أرض نجد يقال لها قردة، واستولوا على القافلة جميعها بعد أن فرّ حراسها، وكانت هذه ضربة موجعة لقريش زادتها هما وحزنا، حيث لم يبق أمامها سوى الامتناع عن الغطرسة والتنازل عن عداء المسلمين أو أن تقوم بحرب شاملة تعيد لها أمجادها وعزها القديم وتقضي على المسلمين. (١)

---

(١) أنظر تاريخ الطبري٢/٥٥ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٣/٣٦٧.

- غزوة أحد: كان المشركون يتميزون غيضا مما أصابهم من جرّاء بدر، فهم إضافة لخسارتهم طرق تجارتهم وحصار المسلمون لهم فقد لحقهم خزي وعار ومهانة، كما بدأو يفقدون دورهم القيادي بين القبائل، زد على ذلك عدائهم القديم للإسلام والمسلمين، لذلك كله (كانت مكة قد استكملت عدتها واجتمع إليها من المشركين ثلاثة آلاف مقاتل من قريش والحلفاء والأحابيش، واستصحبوا معهم النساء حتى يكون ذلك أبلغ في استماتت الرجال دون حرماتهم وأعراضهم وكان عدد هذه النسوة خمس عشرة امرأة، وكان سلاح النقليات في هذا الجيش ثلاثة آلاف بعير ومن سلاح الفرسان ماءتا فرس وكان من سلاح الوقاية سبعمائة درع، وكانت القيادة العامة إلى سفيان بن حرب، وقيادة الفرسان إلى خالد بن الوليد يعاونه عكرمة بن أبي جهل، أما اللواء فكان إلى بني عبد الدار).[١]

وتحرك الجيش يحركه الثأر والغيظ والعداء.

(١) الرحيق المختوم، ص ٢٣٩.

وأرسل العباس بن عبد المطلب إلى النبي ﷺ يخبره بجيش قريش وتحركه، فلما بلغ الخبر النبي ﷺ كتمه عن الجميع ماعدا قادة المهاجرين والأنصار الذين جمعهم وشاورهم بالأمر.

وكان رأي النبي ﷺ أن لا يخرجوا من المدينة وأن يتحصنوا بها وأن يقاتلوا على أفواه الأزقة، إلا أن رأي جمع من الصحابة وخصوصا من فاتهم القتال يوم بدر أن يخرجوا ويواجهوا العدو، ولا يقال أنهم جبنوا عن المواجهة .

وكان رأي الأكثرية الخروج لمواجهة العدو.

وهذا هو النبي ﷺ يربي أصحابه على الرأي الصريح ويسمع منهم ويشاورهم وينزل على رأيهم .

ثم إن القوم ندموا لمخالفتهم رأي النبي ﷺ وهو الأعلم واليه ينزل الوحي، واعتذروا إليه وقالوا يا رسول الله ماكان لنا أن نخالفك فاصنع ما شئت، إن أحببت أن نمكث بالمدينة

فعلنا، فقال ﷺ: (ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته- درعه- أن ينزعها حتى يقاتل).[1]

كان النبي ﷺ قد عزم على الخروج وأعلن حالة الطوارئ وتجهز الجميع للقتال وأمضوا ليلتهم بحذر كل يصحب سلاحه لا يفارقه حتى عند النوم، وأمر الرسول بحراسة المدينة واختار لذلك خمسين من أشداء المقاتلين لحراسة المدينة، واهتم الصحابة بحراسة رسول الله ﷺ.

ونام رسول الله ﷺ حتى إذا أدلج قال أين الأدلاء؟ ثم انه اختار الطريق الأنسب والمستور إلى أرض المعركة فقال لأصحابه: (من رجل يخرج على القوم من طريق لا يمر عليهم)، ومضى الجيش بين البساتين.

ولا شك أن مروره بين الأشجار والبساتين يدلنا على حرصه ﷺ على الأخذ بالاحتياطات الأمنية المناسبة أثناء السير.

---

(١) مجمع الزوائد، باب عزوة أحد ١٠٧/٦، ومصنف عبد الرزاق ٣٦٥/٥ .

(ومضى جيش المسلمين حتى إذا كان بين المدينة وأحد رجع عنه عبد الله بن أبي بن سلول في ثلاثمائة من المنافقين، فبقي رسول الله في سبعمائة مقاتل).[1]

وكان الهدف من هذا الانسحاب أن يوقع الاضطراب في جيش المسلمين وتنهار عزيمتهم .

(ولما جاوزوا ثنية الوداع رأى النبي ﷺ كتيبة حسنة التسليح فسأل عنها فأخبر أنهم اليهود من حلفاء الخزرج يرغبون في القتال ضد المشركين، فسأل هل أسلموا؟ فقالوا: لا، فأبى أن يستعين بأهل الكفر على أهل الشرك). [2]

وسار رسول الله بالجيش حتى نزل الشعب من جبل أحد مستقبلا المدينة وجاعلا ظهره إلى هضاب جبل أحد.

وقسم رسول الله ﷺ الجيش إلى ثلاثة كتائب: كتيبة المهاجرين وأعطى لوائها مصعب بن عمير رضي الله عنه. وكتيبة الأوس من الأنصار: وأعطى لواءها أسيد بن حضير رضي الله عنه .

---

(١) البداية والنهاية، ج/٥ ، ص ٣٤٨، وتاريخ الطبري ٢/٦٠ .

(٢) الرحيق المختوم، ص ٢٤٣ .

وكتيبة الخزرج من الأنصار: وأعطى لواءها الحباب بن المنذر رضي الله عنه.

وقد أدرك رسول الله ﷺ أهمية جبل أحد فجعل ظهر الجيش إليه. وانتقى خمسين من الرماة الماهرين تحت إمرة عبد الله بن جبير الأنصاري وجعلهم على جبل عينين– عرف فيما بعد بجبل الرماة – وهو مقابل جبل أحد ويبعد مائة وخمسون مترا عن مقر الجيش الإسلامي ليمنع التفاف جيش المشركين حول جيش المسلمين .

وقال ﷺ لقائد الرماة: **(انضح الخيل عنا بالنبل، لا يأتون من خلفنا، إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لا نؤتين من قبلك).**[1]

وقال للرماة: **(إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وان رأيتمونا هزمنا القوم ووطئناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم).**[1]

---

(١) تاريخ الطبري ٦٢/٢، والسيرة النبوية لابن هشام ١٢/٤ .

وفي رواية أخرى (**احموا ظهورنا، فان رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، وان رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا**).(٢)

وباتخاذ الرماة هذا الموقع وبعد هذه الأوامر الشديدة لم يعد ممكنا التفاف المشركين وتطويقهم للمسلمين. وابتدأ القتال وجسد المسلمون أروع صور للبطولة والشجاعة والاندفاع نحو الجنة. فهذا أسد الله حمزة ﷺ. يخترق صفوف العدو من مقدمتها حتى آخرها، ثم يعود، ويفعل مثله فارس الإسلام علي بن أبي طالب ﷺ، ثم قتل جند الحق حاملي لواء المشركين من بني عبد الدار واحدا تلو الآخر حتى قتل منهم عشرة. وصال أبو دجانة معلما بعصابته الحمراء آخذا بسيف النبي واعدا أن يعطيه حقه فكان لا يلقى من المشركين أحدا إلا قتله.

---

(١) البخاري، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب ١١٠٥/٣ برقم ٢٨٧٤، ومسند أحمد ٢٩٣/٤ .

(٢) مسند أحمد ٢٨٧/١، والمعجم الكبير ٣٠١/١٠ .

وبعثر أسد الله حمزة صفوف المشركين وتفرقوا أمامه راسما صورا للإقدام والبطولة والجرأة لا توصف، ويكتب الله لحمزة الصحابي الجليل أن يستشهد... (فكان جبير بن مطعم قد دعا غلاما له حبشيا يقال له وحشي يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطئ بها فقال له: اخرج مع الناس فان أنت قتلت حمزة عمّ محمد بعمي طعيمة بن عدي فأنت عتيق). [(١)]

وسدد وحشي حربته من بعيد فأصابت البطل وقتلت أسدا ما له بين الأبطال مثيل.

وحاول خالد بن الوليد وفرسانه ثلاث مرات أن يطوقوا جيش المسلمين، إلا أن نبال الرماة الرابضين على الجبل كانت ترجعهم فاشلين .

وانكسر جيش المشركين وأنزل الله نصره على المسلمين يحصدون الكفار ويطاردوهم ويأخذون الغنائم.

---

(١) البداية والنهاية، ج/٥، ص ٣٤ .

وتجلى النصر كيوم بدر، إلا أن الرماة لما رأوا انكسار العدو وانتشار الغنائم في ساحة القتال، نسوا وصية الرسول ﷺ وأمره المشدد بالمكوث فوق الجبل، ترك أربعون منهم مواضعهم ونزلوا ليشاركوا في تحصيل الغنائم، فانتهز خالد والفرسان الذين معه الفرصة فقتلوا الرماة العشرة الباقين، والتفوا حول المسلمين وباغتوهم من الخلف، وعاد جيش المشركين المنهزم ليحصروا المسلمين ويطبقوا عليهم ويعملوا فيهم قتلا، وتفرق المسلمون وفقدت صفوفهم ترابطها، وكان حول الرسول ﷺ تسعة من الصحابة فمال عليهم جيش الكفر يريدون أن يقتلوا رسول الله ﷺ فدافع عنه الصحابة كل يفديه بروحه حتى رسموا أروع صور الحب للحبيب المصطفى ﷺ وقتلوا دونه وصدوا النبال والسيوف بأيديهم وأجسامهم كي لا تصيبه .

وكسرت رباعية النبي (وهي إحدى الأسنان الأربعة بين الثنية والناب) وشج رأسه وتفجر الدم من وجهه الشريف. وأشيع أن النبي ﷺ قتل، واستطاع رسول الله أن يشق

الطريق إلى جيشه المطوق فلاذ إليه المسلمون وتجمع حوله ثلاثون من الصحابة فأنسحب بهم رسول الله بشكل منظم يخترق المشركين إلى شعب الجبل وشق طريقا لباقي الجيش إلى أحد شعاب جبل أحد.

وكان شهداء المسلمين سبعين، أغلبهم من الأنصار: واحد وأربعون من الخزرج وأربع وعشرون من الأوس، وقتل رجل من اليهود، وقتلى قريش سبعة وثلاثون .

وكانت معصية بعض الصحابة من الرماة بأن خالفوا أمر الرسول ﷺ قد فوتت نصرا بدى قريبا، وهكذا فعدم الطاعة لله ورسوله تبعد النصر وتأتي بالعقوبة حتى وان كانت من مجاهدين يسعون لإعلاء كلمة الحق، كما أن عاقبة الاغترار بالدنيا وإيثارها على الآخرة والبحث عن الغنائم تبعد نصر الله وما النصر إلا من عند الله واللافت للانتباه أن رسول الله لم يعاتب الصحابة الذين خالفوا ولم يحمّلهم سبب الخسارة في المعركة، كما إن الآيات نزلت تمسح جروح المؤمنين وتذكرهم بأن المشركين نزل بهم قبلا

مثل ما نزل بالمؤمنين، غير أن المؤمنين يرجون من الله ونصره ما لا يرجوا أهل الشرك، وضربت الأمثال بالسابقين من الأمم الذين صبروا فكان عاقبة صبرهم خيرا، كانت آيات تربي وتحدد مواطن الخلل وتمسح عن المؤمنين الحزن.

السنة الرابعة للهجرة :

نتيجة لأحداث معركة أحد تجرأت بعض القبائل على المسلمين. فكان:

- يوم الرجيع: في شهر صفر جاء نفر من قبيلتي عضل والقارة إلى النبي ﷺمدعين الإسلام فأرسل معهم عشرة من الصحابة يعلموهم القرآن والفقه وجعل عليهم عاصم بن الأفلح، فغدروا بهم في الطريق وقتلوا ثمانية وأسلموا اثنين إلى قريش التي قتلتهم بدورها وهم خبيب وزيد بن الدثنة.(١)

- **بئر معونة**: في نفس الشهر غدر عدو الله عامر بن الطفيل بسبعين من دعاة الصحابة رضي الله عنهم كان أرسلهم النبي ﷺ لتعليم أهل نجد الإسلام يقال لهم القرّاء

(١) أنظر السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، ص ٥٣٣ .

،يقرأون القرآن، ويتدارسون بالليل يتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء إلى المسجد ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به طعاما لأهل الصفّة.[1]

- **غزوة بني النظير:** اليهود، الذين ما اعتادوا المواجهة وجبلوا على الغدر والخيانة والدس والمكائد كانوا منذ دخل النبي ﷺ وصحبه المدينة خائفين مرعوبين، إلا إنهم بعد غزوة أحد، وأحداث الرجيع ومعونة، تبدد خوفهم وبدئوا يتصلون بالمشركين من أهل مكة، يناصروهم على المسلمين. وبلغت الجسارة بهم أن خططوا وتآمروا لقتل رسول الله ﷺ حين ذهب إليهم ومجموعة من الصحابة فاستقبلوه ببشاشة وفرح، وبيتوا أن يلقوا عليه صخرة من فوق جدار يجلس ﷺ قربه.

إلا إن عناية الله الفعال لما يريد أحاطت بنبيه فنزل الوحي يخبره بما همّوا به وهذا نقض من اليهود للعهد

---

(١) أنظر صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد ٣/ ١٥١١ برقم ٦٧٧.

والمواثيق مع الرسول ﷺ وإعلان للحرب على المسلمين،لأنهم إنما أرادوا بقتل النبي ﷺ تدمير الدولة الإسلامية وعموم المسلمين.

فبعث إليهم رسول الله ﷺ أن اخرجوا من المدينة ولا تجاوروني بها، وأمهلهم للجلاء عشرة أيام فمن وجد بعدها تضرب عنقه، تهيأ اليهود للجلاء ألا إن رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول بعث إليهم أن اثبتوا، وأنا ومعي ألفان من الرجال ناصروكم وداخلون معكم الحصن فنموت دونكم وان قريظة وغطفان معكم .

عادت لليهود ثقتهم وأرسل رئيسهم حيي بن أخطب إلى رسول الله ﷺ بأنا لن نخرج فاصنع ما بدا لك .

فسار إليهم رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يحمل الراية، في ربيع الأول، فتحصنت بنو النظير بحصونهم، وخذلهم عبد الله بن أبي، وخذلتهم غطفان، واستمر الحصار ست ليال، كانوا خلالها يرمون المسلمين بالنبل تساعدهم بساتينهم ونخيلهم، فقطع المسلمون النخيل

وحرقوها، وألقى اللهﻷ الرعب في قلوبهم فاستسلموا على أن يخرجوا بأنفسهم وأهلهم وما تحمله الإبل إلا السلاح، فكانوا يخربون ديارهم فيأخذون الأبواب والشبابيك وتحمّلوا على ستمائة بعير وخرجوا إلى الشام وخيبر، وقبض رسول الله سلاحهم وأرضهم وديارهم وأموالهم فكانت خالصة لرسول الله يضعها حيث شاء لأن الله أفائها عليه ولم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب، وكما جاء مفصلا في سورة الحشر.

وبهذا النصر توطد سلطان المسلمين في المدينة .

- **غزوة نجد:** (نقلت الأخبار تحشد جموع البدو والأعراب من بني محارب وبني ثعلبة من غطفان، فسارع النبي ﷺ بالخروج يجوس فيافي نجد ويلقي بذور الخوف في قلوب أولئك البدو القساة حتى لا يعيدوا مناكرهم التي ارتكبوها مع المسلمين). [١]

---

(١) الرحيق المختوم، ص ٢٨٨.

- **غزوة بدر الثانية:** (بعد أن كسر المسلمون شوكة الأعراب وأمنوا شرهم، وتنفيذا للموعد الذي كان أبو سفيان قد اقترحه باللقاء في معركة حاسمة في العام المقبل، خرج رسول الله ﷺ من المدينة على رأس جيش من أصحابه قوامه ألف وخمسمائة مقاتل بينهم عشرة من الخيالة، وذلك في ذي القعدة، وحمل لواء المسلمين علي بن أبي طالب فوصلوا بدرا وأقاموا بها ثمانية أيام بانتظار وصول جيش المشركين بقيادة أبي سفيان بحسب الموعد بين الطرفين، غير أن أحدا من المشركين لم يصل إلى بدر، وكان أبو سفيان قد جمع قوات قريش وحلفائها التي تألفت من إلفي مقاتل معهم خمسون فرسا، إلا أنهم عادوا بعد أن قطعوا بعض الطريق إلى بدر).(١)

السنة الخامسة للهجرة :

- **غزوة دومة الجندل:** دومة الجندل تقع على الحدود بين الشام والحجاز، وفي منتصف الطريق بين البحر

---

(١) السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، ص ٥٦٧ .

الأحمر والخليج العربي، وهي على مسير ست عشرة ليلة من المدينة وفي حدود الغساسنة الموالين للدولة الرومية وبما يقرب من (٤٥٠) كم شمال المدينة، وكانت قبيلة قضاعة التي تقطن شمال قبائل أسد وغطفان، قد جاءت الأنباء بأنها وبعض القبائل المجاورة تجمعت عند دومة الجندل للإغارة على القوافل التي تمر بهم، وقد أوجبت النظرة السياسية البعيدة والعقلية العسكرية الفذة أوجبت على المسلمين التحرك لفض هذا التجمع لأن السكوت عليه يؤدي إلى استفحاله وإضعاف قوة المسلمين وإسقاط هيبتهم، كما انه يؤثر على الوضع الاقتصادي للمسلمين ويعرض قوافلهم وقوافل القبائل التي تحتمي بهم إلى السلب والنهب، كما إن من الأهمية فرض نفوذ المسلمين على هذه المنطقة وأشعار سكانها بأنهم بحمايتهم وأنهم قادرون على تأمين الطريق لهم، إضافة إلى حرمان قريش من أي حليف تجاري ويجعلها تخشى المسلمين على تجارتها، بالإضافة إلى إزالة الرهبة النفسية عند العرب من الروم والتأكيد عمليا للمسلمين بأن رسالتهم

عالميـة، لهذا وغيره خرج رسول الله ﷺ بـألف من الصـحابة فـي ربيـع الأول نحـو دومـة الجنـدل وكـان يسير لـيلا ويكمـن نـهـارا حتـى يخفـي مسـيره، فلمـا دنـا مـن القـوم تفرقـوا وولـوا مـدبرين وتركـوا أنعـامهم وماشـيتهم غنيمـة للمسـلمين، وبـث رسول الله ﷺ السرايا وبعث البعوث وفرق الجيوش فلم يصب منهم أحدا، وعاد المسلمون إلى المدينـة وفـي أثنـاء عودتهم وادع الرسول ﷺ عيينة بن حصن الفزاري واستأذن عيينـة من رسـول الله ﷺ أن ترعـى إبلـه وغنمـه فـي أرض قريبـة مـن المدينـة علـى سـتة وثلاثـين مـيلا منهـا. وهـذا الاسـتئذان بالسماح بأن ترعى الإبل على مسافة تقرب من المدينـة نحو خمسـة وسـتين كيلـو متـرا دليـل علـى مـا وصـلت إليـه قـوة المسلمين .

لقد كانت هذه الغزوة بمثابة إعلان عن دعوة الإسلام بين سكان البوادي الشمالية وأطراف الشام الجنوبية.

كما إن سير الجيش الإسلامي هذه المسافة الطويلة كان فاتحة لسير الجيوش الإسلامية لاحقا في الفتوحات الإسلامية.[1]

- **غزوة الأحزاب:** حدثت في شوال من السنة الخامسة للهجرة. وكان اليهود على ما عرف عنهم من حقد على الدعوة والمسلمين، ويهود بني النضير حين أخرجوا إلى خيبر، خرجوا يحملون حقدهم وعدائهم المتزايد على الإسلام وأهله، فبعد استقرارهم بخيبر اتفقوا على التوجه إلى قبائل العرب لتحريضها على حرب المسلمين وكوّنوا وفدا من خمسة من زعمائهم الذين اتصلوا بكفار مكة وأخبروهم بان دينهم خير وأحسن من دين محمد وأنهم أولى بالحق من المسلمين .

---

(١) أنظر السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، ص٥٦٨ – ٥٧١ .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾[1] .

فرح كفار قريش بشهادة اليهود لهم ومدحهم لدينهم، كما إن طلب اليهود بالاجتماع على حرب المسلمين وجد صدى في قلوبهم المملوءة غيضا على رسول الله ﷺ وصحبه، فوعدوهم بأن يشتركوا بأربعة آلاف مقاتل لحرب المسلمين . كما انخرطت غطفان ودخلت الاتفاق طمعا بخيرات المدينة وغنائمها، واشتركت بستة آلاف مقاتل على أن يعطيهم اليهود تمر خيبر لعام واحد. كما طافوا على قبائل أخرى فوافق منها من وافق.

وتحرك عشرة آلاف مقاتل يحيطهم كل ظلام الأرض صوب المدينة ليطفئوا نور الله .

---

(١) سورة النساء، ٥١، ٥٢.

ولو قدر لهذا الجيش الكبير أن يباغت المسلمين لكانت خطرا ربما يهدد بقائهم، لكن أنباء التجمع المعادي وزحفه قد بلغت المدينة، فاجتمع رسول الله ﷺبالصحابة ﷺ وتدارسوا الموقف فاقترح الصحابي سلمان الفارسي ﷺ أن يحيطوا المدينة بخندق يمنع المشركين من الوصول إلى المدينة. ووافق رسول الله ﷺعلى هذه الخطة، حيث كانت المدينة محاطة بموانع طبيعية من بساتين ونخيل وجبال وبناء، ما عدا ناحية الشمال، وابتدأ المسلمون بالتنفيذ يحفرون خندقا في الشمال من المدينة يحول دون دخولها، ووكل إلى كل عشرة من المسلمين أن يحفروا من الخندق أربعين ذراعا، فكانوا يعملون طوال النهار ويرجعون إلى أهلهم ليلا .

(وكان رسول الله قد أمر بوضع ذراري المسلمين ونسائهم وصبيانهم في حصن بني حارثة حتى يأمن المسلمون على عوائلهم ويعملوا وقلوبهم مطمئنة على أهلهم

وعوائلهم وفي هذا التفاتة مهمة من رسول اللهﷺ لمراعاة الجانب النفسي للمقاتلين). [١]

وشارك رسول الله ﷺبالحفر ونقل التراب مما رفع معنويات الجيش فاندفعوا يسابقون الزمن لا يمنعهم جوعهم الشديد ولا البرد القارص، شدّوا على البطون حجارا، أليس في حب الله ونور نبيه الكريم بينهم ما ينسيهم الجوع ؟ كان حبهم لله ورسوله زادهم، تغذت به أرواحهم فنسوا كل ماعداه. طلقوا الدنيا فأعطاهم الله مجد الدنيا وحسن ثواب الآخرة .

(يقول أبو طلحة: شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع فرفعنا عن بطوننا عن حجر فرفع رسول الله ﷺ عن حجرين). [٢]

وتفجرت معجزات أثناء الحفر وآيات من أعلام النبوة فقد رأى جابر بن عبد الله في النبيﷺ خمصا وجوعا شديدا فذبح بهيمة وطحنت امرأته صاعا من الشعير ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ سرا يدعوه في نفر من أصحابه إلى الطعام،

---

(١) السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، ص ٥٩٥.

(٢) الرحيق المختوم، ص٢٩٤ عن الترمذي .

فقام النبيﷺ وطلب من جميع أهل الخندق وهم ألف أن يتوجهوا إلى طعام جابر، ووقف ﷺعلى برمة اللحم وحضر خبز العجين، فأكل الجميع حتى شبعوا وما زال في الطعام بقية وزعت على الجيران. [(١)]

وجاءت أخت النعمان بن بشير بحفنة من التمر إلى الخندق ليتغدى بها أبوها وخالها فمرت برسول اللهﷺ الذي أخذ منها التمر وبدده على ثوب ثم دعا أهل الخندق، فأكلوا منه جميعا، فأشبعهم وزاد. [(٢)]

وأكتمل حفر الخندق، وجاءت قريش ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد، وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثة آلاف من المسلمون جاعلين ظهورهم إلى جبل سلع .

---

(١) أنظر البخاري، باب غزوة الخندق، ١٥٠٥/٤ برقم ٣٨٧٦، ومسلم ١٦١١/٣ برقم ٢٠٣٩ .

(٢) أنظر السيرة النبوية لابن هشام ١٧٤/٤، ودلائل النبوة للأصبهاني ٢٠٩/١ .

وفوجئ المشركون بالخندق يحول بينهم وبين المدينة، وكان أسلوب جديد في القتال والدفاع لم تعهده جزيرة العرب قبلا، فراحوا يدورون حول الخندق بغضب يختبرونه ويبحثون عن نقطة واهنة أو محل للعبور، وكان المسلمون يرشقونهم بالنبال ليمنعوهم من الاقتراب من الخندق أو محاولة إهالة التراب عليه.

وقسم النبي ﷺ أصحابه مجاميع ودوريات للحراسة، وكان الفريقان يتراشقان بالنبال.

وخرجت مجموعة من فرسان قريش فيهم عمرو بن عبد ود، وعكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الخطاب وغيرهم، فأتوا مكانا ضيقا من الخندق فاقتحموه، وخرج إليهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين، وأخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا خيلهم منها، ودعا عمرو -وكان من صناديد العرب - للمبارزة فخرج إليه الإمام علي رضي الله عنه فبارزه ثم قتله، وانهزم باقي المشركين حتى أن عكرمة ترك رمحه وولى هاربا .

واستمرت محاولات المشركين بالعبور واستمر المسلمون بصدهم، وحين كان المسلمون يواجهون الشدائد في قتال المشركين وصدهم نقضت يهود بني قريظة– الذين يسكنون جنوب المدينة – عهدهم مع رسول الله وقاموا بعمليات حرب، فمن حديث صفية بنت عبد المطلب أنها كانت والنساء والأطفال في الحصن فجاء رجل من اليهود وراح يطوف حول الحصن ورسول الله ﷺ والمسلمون منصرفون إلى قتال العدو فشدت عمة رسول الله ﷺ رضي الله عنها وسطها وأخذت عمودا من الحصن فنزلت إليه وقاتلته حتى قتلته ثم عادت إلى الحصن.

وقد ظن اليهود أن في الحصن مقاتلين يحموه فما عادوا لمهاجمة النساء والأطفال، إلا أنهم ظلوا يمدون جيش المشركين بالمؤن ليستمروا في حصار المسلمين لأن قريش ومن معها لم يجلبوا معهم من المؤن ما يمكنهم من حصار المدينة طويلا. وبعد هذا الغدر من أهل الغدر من اليهود أصبح المسلمون بين جيش من المشركين كبير شمالهم

ويهود الغدر من جنوبهم. ثم انسحب المنافقون من جيش المسلمين، وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه ﭫ فيما وصف الله ﻷ في صدر سورة الأحزاب بآياتها (٩- ٢٧) من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم عليهم وإتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم .

﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾[1] .

(١) الاحزاب، ١٠-١٣.

ومما ورد عن البيهقي: أحاط المشركون بالمسلمين حتى جعلوهم في مثل الحصن بين كتائبهم فحاصروهم قريبا من عشرين ليلة واخذوا بكل ناحية حتى لا يدري الرجل أتم صلاته أم لا، ووجهوا نحو منزل رسول الله ﷺ كتيبة غليظة فقاتلوهم يوما إلى الليل فلما حانت العصر دنت الكتيبة فلم يقدر النبي ﷺ ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا على نحو ما أرادوا فانكفأت الكتيبة مع الليل. (١)

وقد أورد البخاري بصحيحه أن رسول الله ﷺ دعا عليهم فقال: (ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس). (٢)

وتضرع النبيﷺ إلى الله ﷻ (اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، أللهم اهزمهم وزلزلهم).(٣)

---

(١) البداية والنهاية ٦/٥٠ .

(٢) البخاري، باب غزوة الخندق، ٤/١٥٠٩، برقم٣٨٨٥ .

(٣) البخاري، باب الدعاء على المشركين٣/١٠٧٢ برقم ٢٧٧٥، ومسلم، باب استحباب الدعاء بالنصر٣/١٣٦٣ برقم ١٧٤٢ .

وصبر الصحابة ﷺ، وتوجهت كل القلوب إلى الله وارتفعت كل الأكف إليه ﷻ فأنزل الله نصره بعد أن أمد عباده بالثبات .

فقد بعث اللهﷻ نعيم بن مسعود الغطفاني إلى نبيه ﷺ يعلن إسلامه ويقول يا رسول الله إن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت فقال له رسول الله ﷺ:

(إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت فان الحرب خدعة). [(١)]

ويذهب نعيم إلى بني قريظة – وكان عشيرا لهم قبلا– فيقول لهم بأنهم يعلمون ودّه ونصحه لهم، وان قريشا وغطفان جاءوا لحرب محمد وان نسائهم وأرضهم وأموالهم بعيدة وبأمان فان انتصروا فقد أصابوا، وإلا عادوا إلى أرضهم وتركوكم ومحمدا فينتقم منكم، وأشار عليهم بأن لا يقاتلوا مع قريش حتى يعطوهم رهائن، فاستجابوا لرأيه .

---

(١) البداية والنهاية ٥٩/٦ .

ثم يذهب ﷺ إلى قريش فيخبرهم بأنه قد علم بأن بني قريظة قد ندموا على نقض عهدهم مع محمد وأنهم سيطلبون منكم رهائن ثم يسلوهم لمحمد ليقتلهم، فأرسلت قريش إلى بني قريظة يدعوهم للاشتراك في القتال، فطلبوا منهم رهائن، فقالت قريش صدقكم والله نعيم، فأرسلوا إلى بني قريظة بأننا لن نعطيكم أحدا منا، فقالت اليهود صدقنا والله نعيم، ودبّ الشك والفرقة بينهم وتخاذل الفريقان .

وسرى بين المشركين التخاذل، وأرسل الله عليهم ريحا قوية كفأت قدورهم وقلعت خيامهم، فلم يقر لهم قرار، وأنزل الله ﷻ الذي لا يعلم جنوده إلا هو ملائكة زلزلتهم وألقت في قلوبهم الرعب والخوف فقاموا للرحيل .

(وكانت الريح التي أرسلها الله على المشركين كما يقول القرطبي ﷺ معجزة للنبي ﷺ لأن النبي ﷺ والمسلمين كانوا قريبا منها، وكانوا في عافية منها ولا خبر عندهم لها...وبعث الله عليهم الملائكة فقلعت الأوتاد وقطعت أطناب الفساطيط – نوع من خيم السفر– وأطفأت النيران

وكثر تكبير الملائكة في جوانب المعسكر حتى كان سيد كل خباء يقول: يا بني فلان هلم إلي فإذا اجتمعوا قال لهم النجاء النجاء، لما بعث عليهم من الرعب).[1]

وأرسل رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان ليلا إلى معسكر المشركين وقال (قم ياحذيفة فأتنا بخبر القوم ولا تذعرهم علي) ويخبر حذيفة ﷺ بأنه مضى في الجو الشديد البرودة ووسط الريح إلا انه كان كمن يمشي في حمام في ذهابه وإيابه ودخل وسط الظلام معسكر المشركين وعاد إلى رسول الله يخبره بعزمهم الرحيل. [2]

فأصبح رسول الله ﷺ وقد ردّ الله عدوه بغيظه، وكفاه الله والمسلمين القتال، وصدق وعده وأعز جنده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، فسبحانه لا اله قبله ولا بعده، قال الله

(١) أنظر تفسير القرطبي١٤/ ٧١ .

(٢) أنظر تفسير القرطبي١٤/٦٨، ومسلم، باب غزوة الأحزاب ٣/١٤١٤ برقم ١٧٨٨ .

تعـــــالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا﴾. (١)

وقد قتل من المشركين أثناء المراماة بالنبال عشرة فيما استشهد من المسلمين ستة .

- غزوة بني قريظة: بعد أن رجع رسول الله ﷺ من الخندق ووضع سلاحه أتاه جبريل فأخبره بأن الملائكة لم يضعوا سلاحهم وان الله يأمرك بالتوجه ومن معك إلى بني قريظة واني سائر أمامك أزلزل بهم حصونهم وأقذف في قلوبهم الرعب، فأمر رسول الله ﷺ: **(لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة).** (٢)

وأعطى الراية علي بن أبي طالب رضي الله عنه وتحرك جيش المسلمين أرسالا حتى تلاحقوا بالنبي وهم ثلاثة آلاف،

---

(١) سورة الاحزاب، ٢٥.

(٢) البخاري، كتاب المغازي ٤/١٥١٠ برقم ٣٨٩٣، ومسلم باب المبادرة بالغزو ٣/١٣٩١ برقم ١٧٧٠ .

والخيل ثلاثون فرسا، وفرضوا على بني قريظة الحصار. وكان باستطاعة اليهود أن يصمدوا أمام الحصار طويلا لمناعة حصونهم ولتوفر المواد الغذائية والمياه لديهم، ولكون المسلمين في العراء يحيطهم برد قارص وجوع وجهد وتعب، رغم كل ذلك فان اليهود نزلوا من حصونهم واستسلموا لحكم رسول الله ﷺ لأن الله ﷻ ألقى في قلوبهم الرعب وزلزل بهم الأرض .

(وقد استشفعت الأوس ليهود بني قريظة لأنهم مواليهم وحلفاؤهم فقال لهم رسول الله ﷺ: **(ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم) قالوا بلى قال: (فذاك إلى سعد بن معاذ) قالوا: قد رضينا).** [1]

---

(١) تاريخ الطبري ١٠٠/٢، والسيرة لابن هشام ١٩٨/٤ .

فحكم فيهم سعد بن معاذ ﵁ بأن يقتل الرجال وتسبى الذرية وتقسم الأموال. فقال له رسول الله ﷺ: **(قضيت بحكم الله)**. [١]

(ونفذ حكم الإعدام في أربعمائة في سوق المدينة حيث حفرت أخاديد وقتلوا بشكل مجموعات، وهذا جزاء عادل نزل بمن أراد الغدر وكان جزاؤهم من جنس عملهم حيث عرضوا حياة المسلمين للقتل وأموالهم للنهب ونساءهم وذراريهم للسبي)[٢].

- وشرعت في هذا العام فريضة الحج، وتم إبطال التبني، وفرض الله سبحانه وتعالى الحجاب على المسلمات صونا لهن .

---

(١) البخاري، كتاب المغازي ١٥١١/٤ برقم ٣٨٩٥، ومسلم باب جواز قتال من نقض العهد ١٣٨٨/٣، برقم ١٧٦٨ .

(٢) أنظر السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، ص ٦١٠ عن السيرة النبوية الصحيحة، (٣١٥/١ – ٣١٧) .

السنة السادسة للهجرة :

حين انجلت الأحزاب، قال رسول الله ﷺ: (الآن نغزوهم ولا يغزوننا).[١]

(فالخطة القادمة هي غزو قريش، فقد تغيرت موازين القوى وأصبح للمسلمين القدرة على الهجوم فعملوا على بسط سيادة الدولة على ما تبقى من قوى حول المدينة ،تمهيدا لغزو قريش لاحقا، فقام ﷺ خلال هذا العام بغزوتين وأرسل أربع عشرة سرية، لإنهاك قريش وإحكام الحصار عليها وقطع ما يمدها بالقوة من حلفائها، مستثمرين ما حققوه من صد الأحزاب ورد كيد اليهود، فباشروا نشاطا واسعا لتضييق الخناق على قريش، ومعاقبة المشركين في الأحزاب، والثأر من القبائل التي غدرت بالدعاة أو ناصبت المسلمين العداء)[٢] .

---

(١) البخاري، كتاب المغازي باب غزوة الخندق ١٥٠٩/٤ برقم ٣٨٨٤.

(٢) أنظر السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، ص ٦٣٦ .

وأهم هذا النشاط العسكري الإسلامي:

- **سرية محمد بن مسلمة:** النجديون أهل قوة وبأس وكثرة، وعداء للمسلمين، وكانوا قد اشتركوا بستة آلاف في غزوة الأحزاب، فكانت هذه السرية من ثلاثين فارسا تحركت في محرم لشن الغارة على بني القرطاء من قبيلة بكر بن كلاب على مسافة سبع ليال من المدينة، وكان على رأس السرية محمد بن مسلمة، فداهموا عدوهم فقتلوا منهم عشرة وفر الباقون وغنم المسلمون إبلهم وماشيتهم، وفي طريق العودة أسروا ثمامة بن أثال الحنفي سيد بني حنيفة وحملوه إلى المدينة حيث أسلم بين يدي رسول الله ﷺ واستأذنه بالذهاب إلى العمرة فأذن له النبي ﷺ، فلما جاء قريشا سألوه هل صبأت فقال لا والله بل أسلمت، وحلف أن لا تأتيهم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن رسول الله ﷺ وكانت يمامة ريف مكة، فانصرف إلى بلاده ومنع الحمل إلى مكة حتى بلغ بقريش الجهد فكتبوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه بالرحم أن يأذن لثمامة بأن يخلي لهم الطعام فاستجاب رسول الله ﷺ ذو

القلب الرحيم والخلق الكريم لرجائهم رغم حالة الحرب بينه وبينهم وأمر ثمامة بأن خلّ بين قومي وميرتهم فامتثل ثمامة.

– غزوة بني لحيان: وهم الذين غدروا بعشرة من المسلمين في الرجيع وتسببوا بقتلهم. وكانت ديارهم قريبة من مكة فكان صعب على المسلمين الوصول إليهم لما بينهم وقريش من ثارات .

فلما تخاذلت الأحزاب وشتت الله جمعهم رأى رسول الله ﷺ أن يخرج إليهم يطلب ثأر أصحابه، رغم أن المسافة تصل إلى مائتي ميل، إلا انه لابد من تأديب أهل الغدر الذين لا قيمة للعهود عندهم، فكان أن خرج إليهم في مائتين من الصحابة في جمادي الأولى. وتحرك الجيش باتجاه الشام فظنّ الجميع بما فيهم الصحابة أنهم ذاهبون إليها، وبعد المسير عشرين ميلا غيّر النبي ﷺ اتجاه الجيش جنوبا نحو بني لحيان .

(غير أن بني لحيان كانت لهم جواسيس وعيون أخبروهم بمقدم جيش المسلمين فهربوا في رؤوس الجبال

وحين وصل المسلمون لم يجدوا منهم أحدا، فعسكروا في ديارهم وبعث رسول الله ﷺ السرايا تتعقب قبائل الغدر يومين إلا أنها لم تجد أثرا لهم حيث اختبئوا في رؤوس الجبال، فأقام في ديارهم يومين لترهيبهم وإظهار قوة المسلمين. ورأى رسول الله ﷺ أن يغتنم فرصة وجوده قرب مكة فأراد أن يقوم بمناورة عسكرية يرهب بها مشركي قريش فسار بالجيش إلى وادي عسفان الذي يبعد يومان عن مكة، ثم أرسل أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعشرة فوارس من أصحابه نحو مكة، فوصلوا إلى مكان قريب من مكة، فبثوا الفزع والرعب بقلوب المشركين لظنهم أن جيش المسلمين سيغزوهم، ثم عادوا جميعا إلى المدينة). [١]

- **غزوة بني المصطلق:** وهم فرع من خزاعة يمالئون قريشا، أعدوا لقتال النبي ففاجئهم ﷺ وباغتهم بالغزو حيث خرج رسول الله ﷺ لليلتين خلتا من شعبان بسبعمائة من

---

(١) أنظر السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، ص٦٤٦،٦٤٥.

أصحابه بعد أن بلغه أنهم يجمعون العرب لحرب المسلمين، فلقيهم على ماء من مياههم، وتقاتلوا، فهزم الله بني المصطلق وقتل منهم عشرة وأسر سائرهم، ونفل رسول الله ﷺ أموالهم، وقتل من المسلمين واحد قتله أحد الأنصار بالخطأ.

– **وقعة الحديبية والفتح المبين:** في يوم الاثنين من ذي القعدة خرج رسول الله ﷺ بألف وأربعمائة من صحبه متوجها إلى مكة معتمرا وقد ساق الهدي واعتمر والصحابة في الطريق ليعلم أهل مكة أنه ﷺ جاء لزيارة البيت الحرام معظما لشعائر الله ولم يجيء محاربا .

وسبب العمرة أن رسول الله ﷺ رأى في المنام أنه دخل وأصحابه المسجد الحرام فطافوا واعتمروا محلقين مقصرين وقد ساقوا الهدي ففرح الصحابة الذين كانت أرواحهم تطير شوقا إلى مكة التي حرموا زيارتها .

وفي الطريق حملت إليه العيون أن قريشا خرجت لمنعهم من دخول الحرم، فبدّل رسول الله ﷺ طريقه متجنبا

جمع الكفار ومتفاديا الصراع معهم، فسلكوا طريقا وعرا بين شعاب يشق السير فيه حتى إذا خرجوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي قال رسول الله ﷺ للناس قولوا:

(نستغفر الله ونتوب إليه) فقالوا ذلك، فقال: **(والله إنها الحطة التي أنزلت على بني إسرائيل فلم يقولوها)**. [١]

ثم سلك رسول الله والمسلمون طريقا تخرجهم إلى ثنية المرار مهبط الحديبية أسفل مكة، بخفة ودون أن يشعر بهم الكفار، إلا وهم قرب مكة.

ونزل رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين بأقصى الحديبية على حوض ماء قليل الجريان فشكوا إلى رسول الله ﷺ العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يضعوه في الحوض، فجاش الماء حتى شربوا وارتووا . [٢]

حاول رسول الله ﷺ جاهدا أن يجعل قريش تدرك بأنه لا يريد حربا بل جاء لزيارة البيت الحرام وهو حق للجميع،

---

(١) تاريخ الطبري١١٧/٢، والسيرة لابن هشام٢٧٧/٤ .

(٢) أنظر الرحيق المختوم، ص ٣٢٦ .

والمسلمون من ضمنهم، وسارت بذلك الأخبار بين العرب، مما جعل قريش تلجأ للتفاوض .

فأرسلت رجال من خزاعة بقيادة بديل بن ورقاء، ثم رجل من كنانة اسمه الحليس بن علقمة، فأوضح لهم رسول الله ﷺ سبب مجيئه وما أصاب قريش من حربها واقترح هدنة بينهم حتى تتوضح الأمور لهم وان أبوا إلا الحرب فإنهم مستعدون لها وأن رسول الله ﷺ سيجاهد لتبليغ الرسالة وان كان الثمن حياته.

ثم أرسلوا عروة بن مسعود الثقفي، الذي كان حين يفاوض رسول الله ﷺ يمسك بلحيته (وتلك عادة العرب في الحديث بين النظراء) وكان الذي يقوم على حراسة رسول الله ﷺ أثناء المفاوضات المغيرة بن شعبة (وهو ابن أخ عروة بن مسعود) فكان ينتهر عمه و يضرب يده بقائم السيف قائلا له: اكفف يدك عن مس لحية رسول الله ﷺ قبل أن لا تصل إليك. فقال رسول الله ﷺ لعروة قريبا مما قاله لبديل .

فرجع عروة إلى قريش وهو مفتون بمحبة الصحابةرضي الله عنهم والتفافهم العجيب حول رسول اللهﷺ فأخبر قريش بذلك، وبأنهم مستعدون لافتدائه بأرواحهم، وان المسلمين جاءوا مسالمين ولكنهم إن اضطروا للقتال تفانوا في طلب الشهادة وإنهم قد عرضوا خطة رشد وعلى قريش قبولها .

(وخلال المفاوضات تسلل سبعون أو ثمانون شابا من قريش طامحون إلى الحرب هبطوا من جبل التنعيم ودخلوا معسكر المسلمين ليلا ليضربوا ويقتلوا، ويفشلوا المفاوضات، إلا إن محمد بن سلمة قائد حرس المسلمين اعتقلهم جميعا. ورغبة في الصلح أطلق سراحهم النبي ﷺ وعفا عنهم مما أرعب قريش، وأفشل محاولات إنهاء المفاوضات).(١)

وأوفد رسول الله ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه سفيرا إلى قريش ليبين لهم أنهم ما جاءوا لقتال بل جاءوا معتمرين ويدعوهم للإسلام، وان يأتي بمكة رجالا مؤمنين ونساء

---

(١) أنظر روضة الأنوار، ص٢٤٢.

مؤمنات فيبشرهم بالفتح وبقرب ظهور الإسلام بمكة حتى لا يخفي أحد إيمانه .

وحين وصل عثمانﷺ، قام إليه أبان بن سعيد بن العاص فرحب به وأسرج له فرسا وأجاره وحمله إلى زعماء قريش فأخبرهم برسالة النبيﷺ، فلما فرغ عرضوا عليه أن يطوف بالبيت، فأبى أن يطوف قبل رسول الله ﷺ.

- **بيعة الرضوان:** (وتأخر عثمانﷺعند قريش وأبطأ على المسلمين فشاع بينهم انه قتل، فقال رسول الله ﷺ :لا نبرح حتى نناجز القوم، ثم دعا أصحابه إلى البيعة وهو جالس تحت الشجرة فبايعوه على عدم الفرار). [١]

(كما ورد عن سلمة بن الأكوع بإسناد صحيح أنهم بايعوه على الموت). [٢]

---

(١) مسلم، باب استحباب مبايعة الإمام ١٤٨٣/٣ برقم ١٨٥٦.

(٢) أخبار مكة ٧٤/٥ برقم ٢٨٦٦ .

ثم إن النبي ﷺ قال بيده اليمنى: (هذه عن عثمان) فضرب بها يده الأخرى .

وكان أول من بايع أبو سنان ألأسدي، وبايعه بن الأكوع رضي الله عنه على الموت ثلاث مرات في أول الناس ووسطهم وآخرهم .

وهذه هي بيعة الرضوان التي ذكرها الله جل جلاله في القرآن الكريم، ﴿ **لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا** ﴾ (١).

وورد الثناء على أصحابها في السنة المطهرة كما في حديث جابر بن عبد الله قال: قال لنا رسول الله يوم الحديبية (**أنتم اليوم خير أهل الأرض**) وكنا ألفا وأربعمائة ولو كنت أبصر لأريتكم موضع الشجرة . (٢)

---

(١) الفتح، ١٨.

(٢) مسلم ١٤٨٣/٣ برقم ١٨٥٦، وأخبار مكة ٧٦/٥ برقم ٢٨٧٢ .

كما إن جابر بن عبد الله قال أخبرتني أم مبشر تقول أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عند حفصة: **(لا يدخل النار، إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها)**[(١)].

(وحين نمعن النظر في هذه الصفوة مقارنة مع أهل بدر نلاحظ ارتفاع عدد المهاجرين إلى النصف من الجيش وهذا الارتفاع الهائل في عدد المهاجرين من ثلاثة وثمانين في بدر إلى ثمانمائة، كان معظمه من القبائل العربية المجاورة وهي قبائل صغيرة، لكن شبابها كانوا يفدون إلى المدينة ينضوون تحت لواء رسول الله ﷺ ويتلقون التربية الخالصة اليومية في المسجد، والتربية العملية في المعارك والغزوات، ويتفقهون بدينهم مباشرة من رسول الله ﷺ وينشأون في ظلال القدوة العليا من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ﷺ، وينقلون ذلك إلى قبائلهم التي نالت شرفا على

---

(١) مسلم، باب فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان ١٩٤٢/٤ برقم ٢٤٩٦.

القبائل التي تخاذلت في الانضمام للإسلام، فقبيلة أسلم وغفار من القبائل التي حظيت بهذا الشرف ويعود الفضل بذلك – بعد الله – إلى الرعيل الأول واللبنات الأولى التي انضمت إلى الدعوة وساهمت بنقل النور إلى أهلها ،فأبو ذر الغفاري كان من السابقين بإسلامه، ومضى داعيا في قومه حتى جاءه سبعون بيتا من غفار يؤم بهم المدينة بعد أحد، وبريدة بن الحصيب الأسلمي الذي لقي رسول الله ﷺ قبل دخوله المدينة فأسلم وأسلم معه سبعون من قومه)[١] .

– **صلح الحديبية:** شعرت قريش بعد أن سمعت ببيعة الرضوان وتصميم الرسول ﷺ على القتال، بحراجة موقفها، فأوفدت سهيل بن عمرو في نفر من رجالهم لمفاوضة النبي ﷺ وأكدت عليه ألا يكون في الصلح إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فلا تتحدث عنا العرب انه دخلها علينا عنوة. فأتاه سهيل بن عمرو فلما رآه ﷺ قال: (قد أراد القوم الصلح

(١) أنظر السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث ٦٧٢ .

حين بعثوا هذا الرجل)[1] وكان سهيل أحد زعماء قريش المعروفين بالحنكة السياسية والدهاء والرزانة وأصالة الرأي.

وبعد التباحث توصل الجانبان إلى اتفاق صلح من بنوده: أن يرجع رسول الله ﷺ من عامه فلا يدخل مكة فإذا كان العام القابل دخلها المسلمون فأقاموا فيها ثلاثا، وضع الحرب بين الطرفين عشر سنين، من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدها دخل، من أتى محمد من قريش يرد إليها ومن جاء قريش ممن مع محمد لا يرد إليه،[2] (ودعا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليكتب الكتاب فأملى عليه رسول الله ﷺ (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال سهيل بن عمرو أما الرحمن فو الله

(١) تاريخ الطبري ١٢٢/٢، والسيرة النبوية لابن هشام ٢٨٤/٤ .
(٢) أنظر السيرة لابن هشام٢٠٣/٢ .

لا ندري ماهو ولكن أكتب باسمك اللهم فأمر النبي ﷺ عليا رضي الله عنه بذلك). [١]

(ثم أملى (هذا ما صالح عليه محمد رسول الله) فقال سهيل لا تكتب محمد رسول الله لو كنت رسولا لم نقاتلك، فقال لعلي أمحه (يمحو لفظ رسول الله) فقال ما أنا بالذي أمحاه فمحاه رسول الله ﷺ بيده). [٢]

ولما تم الصلح دخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ، ودخلت بنو بكر في عهد قريش.

- **رد أبي جندل:** حين كان سهيل بن عمرو يفاوض في الحديبية، جاء ابن سهيل الذي شرح الله قلبه للإيمان فأسلم، جاء مكبلا بالأغلال فارا من المشركين بمكة، فلما رأى سهيل ابنه أبي جندل قام وأخذه بتلابيبه وقال يا محمد

---

(١) أنظر البخاري، باب الشروط في الجهاد والمصالحة ٩٧٧/٢ برقم ٢٥٨١، وصحيح بن حبان ٢١٤/١١ برقم ٤٨٧٠ .

(٢) البخاري، باب كيف تكتب هذا ما صالح عليه ٩٥٩/٢ برقم ٢٥٥١، وصحيح بن حبان ٢١٤/١١ برقم ٤٨٦٩ .

لقد فرغنا من التفاوض قبل أن يأتي هذا فقال له رسول اللهﷺ صدقت، فقال أبو جندل: يا معشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنوني في ديني؟ فرده النبي ﷺ وقال له: **(إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهدا، وإنا لا نغدر بهم)** ثم قال مواسيا ومبشرا بقرب الفرج: **(يا أبا جندل اصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا).** (١)

وفي هذا دلالة على مقدار تمسّك النبي ﷺ بالوفاء بالعهد والمواثيق وحرص المسلمين على فضيلة الوفاء رغم مرارة الموقف خصوصا وهم يرون أخاهم في العقيدة يسحب مهانا موثقا بالأغلال، إلا أنهم صبروا وصبر أبو جندل واحتسبوا لله .

- **التحلل من العمرة :** ولما فرغ رسول الله ﷺ من كتابة الصلح قال لأصحابه: **(قوموا فانحروا ثم احلقوا)**

---

(١) تاريخ الطبري١٢٣/٢، والسيرة لابن هشام ٢٨٧/٤ .

(فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد قام فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت: يا رسول الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحدا كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فقام فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما). [١]

وهكذا أنقذت أم المؤمنين أم سلمه جمع المسلمين من مخالفة أمر رسول الله ﷺ وأنقذتهم من الهلاك بحسن مشورتها وجميل رأيها .

- **المعاهدة بين النصر والهزيمة**: إن القراءة المتأنية لبنود وفقرات الصلح تبين أنها كانت فتحا ونصرا كبيرا للدبلوماسية المسلمة وفاتحة لانتصارات لاحقة ستقود لنشر الدعوة وبشكل علمي وبتخطيط دقيق.

---

(١) البخاري، باب الشروط في الجهاد والمصالحة ٩٧٨/٢ برقم ٢٥٨١، وسنن البيهقي الكبرى ٢١٥/٥ برقم ٩٨٥٦ .

فالمعاهدة اعتراف ضمني من قريش بقوة المسلمين وشرعية دعوتهم بعد أن كانت تعتبرهم صابئين تسعى للقضاء عليهم، كما إن هدف النبي ﷺ إيصال الدعوة إلى الناس وشرح العقيدة لهم وبعدها فليؤمن منهم من شاء وليكفر من شاء والمعاهدة تكفل للمسلمين حرية الدعوة والتحالف بعيدا عن مضايقات قريش، ثم أن المعاهدة تتيح لمن شاء من قبائل العرب الدخول في الإسلام وهذا تنازل من قريش عن زعامتها لقبائل العرب .

وبالنسبة للبند الداعي إلى الهدنة عشر سنوات فالمسلمون لم يكونوا دعاة حرب وما كانت دورياتهم والغزوات سوى محاولات لدفع الخطر عن أنفسهم أو تأديب من اعتدى عليهم، أما إرجاع المسلمين عن المسجد الحرام فهو لا يعدو أن يكون نجاحا إعلاميا لحفظ ماء الوجه لقريش لأنه لا يعدو عن كونه تأخيرا لعمرة المسلمين ليس إلا، حيث من حقهم أن يعتمروا متى شاءوا بعد انقضاء ذلك العام، وأما ما يتعلق بعدم إرجاع من فر من المسلمين والتجأ

إلى قريش فهذا أمر غير ذي بال للمسلمين لأن من يفر من دولة الإسلام مرتد، ولا حاجة للإسلام بالمرتد أو المنافق، ومن أسلم من أهل مكة فليس ملزما أن يلجأ إلى المدينة فأرض الله واسعة ويستطيع المؤمن الفرار بدينه حيث شاء ثم أن هذا البند أصبح وبالا على قريش وباتت ترجو إلغائه .

وعلى أرض الواقع نلمس النجاح الكبير في الدعوة إلى الله حيث أن المسلمين وقت المعاهدة كانوا ثلاثة آلاف بينما أصبح الجيش الإسلامي الذي فتح مكة بعد سنتين عشرة آلاف مقاتل .

وفوق كل هذا فان الله ﷻ سماها فتحا مبينا .

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ (١) .

﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٢).

---

(١) سورة الفتح، ١.

(٢) سورة الفتح، ٥.

أضف إلى ذلك إن هذا الصلح أزال الخطر الأكبر عن المسلمين وأمكنهم أن يتفرغوا للخطرين الآخرين: اليهود، وقبائل نجد من غطفان والأعراب .

- **التفريج عن المستضعفين:** لما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة واطمأن بها، انفلت رجل من المسلمين ممن كان يعذب في مكة وهو أبو بصير رجل من ثقيف حليف لقريش فأرسلوا في طلبه رجلين وقالوا للنبي ﷺ العهد الذي جعلت لنا فدفعه النبي ﷺ إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدا، فاستله الآخر فقال: أجل انه لجيد لقد جربت به ثم جربت، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه فضربه حتى برد (مات) وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله ﷺ حين رآه: **(لقد رأى هذا ذعرا)** فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قتل صاحبي واني لمقتول، فجاء أبو بصير وقال يا نبي الله

قد والله أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم، قال رسول الله ﷺ: **(ويل أمه، مسعر حرب لو كان له أحد)** فلما سمع ذلك عرف انه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر، وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة، فو الله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما أرسل إليهم، فمن أتاه فهو آمن، فأرسل إليهم النبي ﷺ فقدموا المدينة . (١)

وهكذا رجعت قريش عن شرطها وتنازلت بل ناشدت النبي ﷺ أن يقبل من ترك قريش وهو مسلم وتوجه إلى دولة الإسلام ولم تعد تطالب بردّه .

- **مكاتبة النبي ﷺ للملوك والأمراء:** (كالنجاشي ملك الحبشة، وقيصر ملك الروم والمقوقس ملك الإسكندرية،

---

(١) البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة ٩٧٩/٢ برقم ٢٥٨١، وسنن البيهقي١٢٥/٢ .

وكسرى ملك فارس، والحارث الغساني أمير دمشق، وأمير بصرى، وهوذه بن علي صاحب اليمامة، وجيفر وأخيه عبد ابني الجلندي ملكي عمان، والمنذر بن ساوى حاكم البحرين). [١]

وكان رسول الله ﷺ قد اتخذ خاتما من فضة نقشه محمد رسول الله، محمد سطر، ورسول سطر والله سطر، وهذه صفته: محمد

رسول

الله

وكان النبي ﷺ قد بعث كتابا إلى أمير بصرى مع الحارث بن عمير الأزدي ؓ، فلما بلغ مؤتة (جنوب الأردن) تعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني- وكان عاملا على البلقاء من أرض الشام من قبل قيصر- فأوثقه رباطا ثم

(١) أنظر الرحيق المختوم، ص٣٣٧ – ٣٤٦.

قتله، ولم يقتل للنبي ﷺ رسولا غيره. وقد حزن النبي ﷺ حزنا شديدا...وقاد هذا الأمر لاحقا إلى معركة مؤتة .

- ونزلت هذا العام آيات قرآنيه حرّمت الخمر حرمة قاطعة، وحرّمت المسلمات على أزواجهن المشركين، وتحريم المشركات من غير أهل الكتاب على أزواجهن المسلمين، وشرعت صلاة الخوف. ونزل فيها فرض الحج.

السنة السابعة للهجرة :

- **غزوة خيبر:** وخيبر مدينة كبيرة تبعد(١٧١) كيلو مترا شمالي المدينة وهي عبارة عن شطرين شطر به خمسة حصون، الحصون الثلاثة الأولى منها تقع في منطقة يقال لها (النطاة) والحصنان الآخران يقعان في منطقة تسمى (الشق)، والشطر الآخر فيه ثلاثة حصون ويدعى الكتيبة، وهذه الحصون منيعة وقسم منها على مرتفعات يصعب الوصول إليها، إضافة إلى حصون أخرى وقلاع صغيرة منفصل بعضها عن بعض، ولخيبر بساتين ومزارع .

﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأۡخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَيَهۡدِيَكُمۡ صِرَٰطًا مُّسۡتَقِيمًا ۝٢٠ وَأُخۡرَىٰ لَمۡ تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهَا قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ﴾ (١).

---

(١) سورة الفتح، ٢١،٢٠.

وكان ليهود خيبر دور كبير في حشد قريش والأعراب وجرهم إلى الصراع والتصدي للمسلمين وخصوصاً في غزوة الأحزاب وتسخير أموالهم لذلك، ثم سعيهم في إقناع بني قريظة لنصرة الأحزاب وطعن المسلمين في ظهورهم غدراً. كما أنهم وضعوا خطة أفشلها الله سبحانه وتعالى لاغتيال النبي ﷺ .

فصارت خيبر وكر دسّ وتآمر على الإسلام والمسلمين، وبؤرة استفزاز وإثارة مشاكل وأخطار على الدولة الإسلامية النامية. وبعد أن تأمّن جانب قريش، أمر الله سبحانه وتعالى نبيه فسار إليها ﷺ في شهر محرم، بألف وأربعمائة مقاتل .

(وفي الطريق إلى خيبر نزل ﷺ بجيشه بوادي بين خيبر وغطفان ليحول بينهم وأن يمدوا أهل خيبر وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله ﷺ، وتهيأت غطفان وتوجهوا إلى خيبر، لإمداد اليهود، فلما كانوا ببعض الطريق سمعوا من

خلفهم حسا ولغطا، فظنوا أن المسلمين أغاروا على أهاليهم وأموالهم فرجعوا، وخلوا بين رسول الله ﷺ وخيبر). [1]

وسار الجيش حتى صار ليلا على مقربة من خيبر فباتوا ولم تشعر بهم اليهود، وكان النبي ﷺ إذا أتى قوما بليل لم يقربهم حتى يصبح فلما أصبح صلى الفجر بغلس، وركب المسلمون، فخرج أهل خيبر بمساحيهم ومكاتلهم، ولا يشعرون بالمسلمين بل خرجوا لأرضهم فلما رأوا الجيش قالوا: محمد، والله محمد والخميس (الجيش) ثم رجعوا هاربين إلى مدينتهم، فقال النبي ﷺ: **(خربت خيبر، الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين)**[2] .

ولما كانت ليلة الدخول قال: **(لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله)** فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا إلى رسول الله كلهم يرجون أن يعطاها فقال: **(أين علي**

---

(١) البداية والنهاية، ص٢٥١، ٢٥٢ .

(٢) البخاري، باب غزوة خيبر ١٥٣٨/٤ برقم٣٩٦١ .

بن أبـي طالـب) فقالوا: يا رسول الله هو يشتكي عينيـه، قال **(فأرسلوا إليه)** فأتي به فبصق رسول الله ﷺ فـي عينيـه ودعا له فبرئ كأن لم يكن بـه وجع فأعطـاه الرايـة، فقال: يا رسول الله أقاتلهم حتـى يكونـوا مثلنـا، قال: **(أنفـذ علـى رسـلك حتـى تـنـزل بسـاحتهم ثـم أدعهـم إلـى الإسـلام، وأخبـرهم بمـا يجـب علـيهم مـن حـق الله فيـه، فـو الله لأن يهـدي الله بـك رجـلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم)** [1].

وقد دعاهم الإمام علي رضي الله عنه إلـى الإسـلام فرفضوا وكـانوا متهيئين للقتال، فقاتلهم المسلمون بضراوة، وكلما فتح الله لهم حصـنا فـرّ اليهـود وتحصـنوا بالـذي بعـده، وقاتـل المسـلمون على ما بهم من تعب وجوع وكانوا يغنمون الذي بالحصـون، ويتقدمون فيحاصـروا الحصـن الـذي يلـي أيامـا حتـى يسـقط، وهكذا تباعا، حتى تجمع اليهود بآخر حصن لهم فحاصرهم المسلمون أربعة عشر يوما حتى طلبوا الصلح .

وهكذا فتحت خيبر عنوة .

---

(١) البخاري، باب غزوة خيبر ١٥٤٢/٤ برقم ٣٩٧٣ .

(وطلب اليهود الأمان على أن يخرجوا من خيبر وأراضيها بنسائهم وذراريهم وأن يأخذوا من الأموال ما حملت ركابهم إلا الذهب والفضة والخيل والسلاح.

ولما حصل اليهود على الأمان جاءوا باقتراح جديد قبل أن يتم جلاؤهم، بأن يبقوا في الأرض يصلحونها ويقومون عليها ولهم نصف ما يخرج منها من الثمر والزرع، فرضي ﷺ بذلك على أن يجليهم منها متى شاء .

وكان قتلى اليهود ثلاثة وتسعين قتيلا، ومن المسلمين(١٥)، وقيل(١٦)، وقيل (١٨))[١].

وقد أفاء الله ﷻ على المسلمين بمغانم عظيمة يدل على كثرتها ما رواه البخاري عن بن عمر رضي الله عنه قال: ما شبعنا حتى فتحنا خيبر.[٢]

وما رواه عن أم المؤمنين عائشة قالت: حين فتحت خيبر قلنا الآن سنشبع من التمر.[١]

---

(١) الرحيق المختوم، ص ٢٧٢ .

(٢) البخاري، باب غزوة خيبر ٤/١٥٥٠ برقم ٣٩٩٩ .

ولما انصرف رسول الله إلى المدينة من قتال أهل خيبر ردّ المهاجرون الى الأنصار منائحهم التي كانوا منحوهم من ثمار.

وبعد فتح خيبر استسلمت فدك – وهي قرية شرق خيبر على بعد يومين –على نفس شروط خيبر .

وسار رسول الله ﷺ بعد خيبر إلى وادي القرى ودعا أهلها من اليهود إلى الإسلام فلم يسلموا ولم يستسلموا، وخرجوا للقتال، وبعد أن قتل منهم أحد عشر رجلا انهزموا وغنم المسلمون مغانم كثيرة ثم استسلموا على نفس شروط خيبر.

ووصلت إلى يهود تيماء أخبار خيبر وفدك ووادي القرى، فصالحوا على دفع الجزية ومكثوا في بلادهم آمنين.[٢]

---

(١) البخاري، باب غزوة خيبر ٤/١٥٥٠ برقم ٤٠٠٠ .

(٢) أنظر الرحيق المختوم، ص٢٧٥ .

- **ومما وقع في غزوة خيبر:** ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه خرجت سرية من المسلمين فأخذوا عبدا أسودا معه غنم يرعاها فجاءوا به إلى رسول الله ﷺ فكلمه النبي ﷺ ما شاء الله أن يكلمه فقال الرجل إني قد آمنت بك وبما جئت به فكيف بالغنم يا رسول الله فإنها أمانة وهي للناس الشاة والشاتان وأكثر من ذلك، قال أحصب وجوهها ترجع إلى أهلها فأخذ قبضة من حصى أو تراب فرمى بها وجوهها فخرجت تسير حتى دخلت كل شاة إلى أهلها، ثم تقدم إلى الصف فأصابه سهم فقتله ولم يصل لله سجدة واحدة، قال رسول الله ﷺ أدخلوه الخباء، فادخل خباء رسول الله ﷺ حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ دخل عليه ثم خرج فقال:

(لقد حسن إسلام صاحبكم لقد دخلت عليه وان عنده لزوجين من الحور العين). (١)

---

(١) المستدرك على الصحيحين، كتاب قسم الفئ ٢/١٤٨ برقم ٢٦٠٩، ودلائل النبوة للأصبهاني ١/١٨٨ برقم ٢٤١ .

ومما يرويه شداد بن الهاد ﷺ أن رجل من الأعراب آمن جاء إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه فقال: أهاجر معك؟ فأوصى به بعض أصحابه، فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله ﷺ شيئا فقسمه، وقسم للأعرابي، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهورهم فلما جاء دفعوه إليه فقال ما هذا ؟ قالوا قسم قسمه لك رسول الله ﷺ فأخذه فجاء به النبي ﷺ: فقال ماهذا ؟ قال: (قسم قسمته لك) قال ما على هذا أتبعك، ولكن أتبعك على أن أرمى هاهنا **(وأشار إلى حلقه)** بسهم فأموت فأدخل الجنة، فقال: **(إن تصدق الله يصدقك)** فلبثوا قليلا ثم قاموا في قتال العدو، فأتي به يحمل وقد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي ﷺ:

(أهو هو) قالوا نعم، قال: (صدق الله فصدقه)، فكفنه النبي ﷺ في جبته ثم قدمه فصلى عليه وكان من دعائه:

(أللهم هذا عبدك خرج مهاجرا في سبيلك، قتل شهيدا، وأنا عليه شهيد)[1].

ومما أورد سهل بن سعد رضي الله عنه انه كان في جيش المسلمين رجل لا يدع شاذة (المنفرد عن الجماعة) إلا أتبعها يضربها بسيفه فقال رسول الله ﷺ: (أما انه من أهل النار) فقالوا أينا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار؟ فقال رجل من القوم لأتبعنه فإذا أسرع وأبطأ كنت معه حتى جرح فاستعجل الموت فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فجاء الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال أشهد أنك رسول الله قال: (وما ذاك) فأخبره فقال النبي ﷺ: **(إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وانه لمن أهل النار، ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة).**[2]

(١) المستدرك، على الصحيحين، باب ذكر شداد بن الهاد ٦٨٨/٣ برقم ٦٥٢٧ والسنن الكبرى ٦٣٤/١، برقم ٢٠٨٠.

(٢) البخاري، باب غزوة خيبر ١٥٤١/٤، برقم ٣٩٧٠ .

- **الشاة المسمومة:** (لما اطمأن رسول الله ﷺ بخيبر بعد فتحها أهدت إليه زينب بنت الحارث- امرأة أحد كبراء يهود- شاة مصلية، وقد سألت أي عضو أحب إلى رسول الله؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيه من السم ثم سمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذراع، فلاك منها مضغة فلم يسغها، ولفضها، ثم قال: (إن هذا العظم ليخبرني انه مسموم)، ثم دعا بها فاعترفت فقال: (ما حملك على ذلك ؟) قالت قلت إن كان ملكا استرحت منه، وان كان نبيا فسيخبر، فتجاوز عنها. وكان معه بشر بن البراء بن معرور، أخذ منها أكلة فأساغها فمات منها، فلما مات بشر قتلها قصاصا). (١)

- **صدى فتح خيبر وما حولها:** كان معلوما لقريش وقبائل العرب حصانة قلاع خيبر وحصونها ومنعتها وبأس مقاتليها وكثرة سلاحهم ومؤنهم وأموالهم لذلك صعقت قريش لأخبار الفتح، وسرت أنباء النصر الساحق والغنيمة

---

(١) الرحيق المختوم، ص٣٦٣ .

للمسلمين بين القبائل فانعكست رهبة في قلوبهم وقادتهم للاذعان والمسالمة والمصالحة بعد أن رفعت من شأن المسلمين ووضعهم السياسي والعسكري إضافة لما تحقق من مردود اقتصادي .

- **سرية أبان بن سعد:** (كان النبي ﷺ يعرف أكثر من أي قائد عسكري إن إخلاء المدينة تماما بعد انقضاء الأشهر الحرم ليس من الحزم قطعا، بينما الأعراب ضاربة حولها تطلب غرة المسلمين للقيام بالنهب والسلب، ولذلك أرسل سرية إلى نجد لإرهاب الأعراب تحت قيادة أبان بن سعيد بينما كان هو إلى خيبر، وقد رجع أبان بن سعيد بعد قضاء ما كان واجبا عليه فوافى النبي ﷺ إلى خيبر، والأغلب أن هذه السرية كانت في صفر). [١]

- **غزوة ذات الرقاع**: بعد تحييد قريش من الصراع، وانكسار شوكة اليهود، بقي الخطر الأخير من عصابة الأحزاب، الأعراب، المنتشرون في فيافي نجد، الذين لا

---

(١) الرحيق المختوم، ص ٣٦٦ .

يجمعهم أو يستقر بهم مكان ولا يجمعهم غير السلب والنهب وتهديد الدولة الإسلامية، فصار لزاما كسر شوكتهم وتأمين جانبهم حتى يتسنى التفرغ للدعوة والرسالة وتسيير قوافل النور.

فعن جابر بن عبد الله ﵁ انه خرج النبي ﷺ إلى ذات الرقاع من نخل فلقي جمعا من غطفان فلم يكن بينهم قتال وأخاف بعضهم بعضا فصلى النبي ﷺ ركعتي الخوف [١].

وعن أبي موسى الأشعري: خرجنا مع رسول الله ونحن ستة نفر بيننا بعير نتعقبه، فنقبت أقدامنا ونقبت قدماي وسقطت أظفاري، فكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت ذات الرقاع، لما كنا نعصب الخرق على أرجلنا[٢].

---

(١) البخاري، باب غزوة الرقاع١٥١٢/٤ برقم ٣٨٩٨ .

(٢) البخاري، باب غزوة ذات الرقاع ١٥١٣/٤ برقم ٣٨٩٩. ومسلم، باب غزوة ذات الرقاع ١٤٤٩/٣ برقم١٨١٦ .

لقد سار رسول الله بالجيش فتوغل في بلادهم مسيرة يومين لقي جمعا من غطفان في موضع يقال له نخل، ولم يكن بينهم قتال.

- **والله يعصمك من الناس:** وفي هذه الغزوة وقعت حادثة تبين ثقة النبي ﷺ المطلقة بالله وشدة التوكل عليه، فعن جابر بن عبد الله: كنا مع النبي ﷺ بذات الرقاع وتفرق الناس في العضاة يستظلون بالشجر ونزل رسول الله ﷺ تحت شجرة فعلق بها سيفه قال جابر فنمنا نومة فجاء رجل من المشركين فاخترط سيف رسول الله ﷺ فقال: أتخافني؟ قال: لا، قال: فمن يمنعك مني؟ فقال: الله، قال جابر فإذا رسول الله ﷺ يدعونا فجئنا فإذا عنده أعرابي جالس، فقال رسول الله ﷺ : إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتا، فقال لي من يمنعك مني؟ قلت: الله، فهاهو ذا جالس ثم لم يعاتبه رسول الله ﷺ [١] .

---

(١) البخاري، باب من علق سيفه بالشجر ١٠٦٥/٣ برقم ٢٧٥٣ .

وفي رواية أخرى فسقط السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ فقال: **من يمنعك مني؟ قال: كن خير آخذ. قال: هل تشهد أن لا اله إلا الله واني رسول الله ؟** قال الأعرابي أعاهدك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك، قال: فخلى سبيله فجاء إلى قومه، فقال جئتكم من عند خير البشر[١].

وقد أدت هذه الغزوة الغرض منها، فلم تتجرأ غطفان ولا باقي الأعراب على التعرض للمسلمين بعدها فقد امتلأت قبائل الأعراب رعبا،وبدأت تستكين وانتهى الأمر بأكثرها مع جيش المسلمين الفاتح لمكة جنودا تحت راية الرسول ﷺ بعد أن شرح الله صدورهم للخير .

- **عمرة القضاء:** في ذي القعدة في السنة السابعة من الهجرة، خرج الرسول ﷺ إلى مكة قاصدا العمرة كما اتفق مع قريش في صلح الحديبية، (وقد بلغ عدد من شهد عمرة

---

(١) المستدرك على الصحيحين، كتاب المغازي ٣١/٣ برقم ٤٣٢٢.

القضاء ألفين سوى النساء والصبيان، ولم يتخلف من أهل الحديبية إلا من استشهد في خيبر أو مات قبل عمرة القضاء.

وقد اتجه رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام من المدينة باتجاه مكة المكرمة في موكب مهيب يشق طريقه عبر القرى والبوادي، وكلما مرّ الموكب النبوي بمنازل قوم من الذين يسكنون على جانبي الطريق بين مكة والمدينة خرجوا وشاهدوا منظرا لم يألفوه من قبل، حيث المسلمين بزي واحد من الإحرام وهم يرفعون أصواتهم بالتلبية ويسوقون هديهم في علاماته وقلائده، في مظهر بهي لم تشهد المنطقة له مثيلا)(١).

وحذرا من غدر المشركين، وتحسبا للطوارئ حمل الجيش السلاح والسيوف والرماح، ويسير بمقدمة القافلة مجموعة الفرسان مسلحون يقودهم محمد بن مسلمة، فلما بلغ ذلك قريش داخلها الرعب فأوفدت مكرز بن حفص في نفر

---

(١) السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، ص٧٢٢ .

مـن قـريش يقـول للنبـي ﷺ: مـا عرفـت صـغيرا ولا كبيـرا إلا بالوفاء، تدخل بالسلاح الحرم على قومك وكان العهد أن لا تـدخل بغيـر السيوف فـي أغمادهـا، فيقول لـه رسـول الله ﷺ: **(لا ندخلها إلا كذلك)**، فرجع مكرز ليخبر قريش بذلك .

ووضـع رسـول الله ﷺ السـلاح خـارج الحـرم قريبـا مـن المسلمين وحوله الفرسان ينتظرون أي أمر من رسول الله ﷺ، ودخل رسول الله راكبا ناقته القصواء، والمسلمون من حولـه متوشحوا السيوف، محدقون بالرسول ﷺ يلبون بشعار التوحيد حامدين الله على فضله مثنين عليه .

وكان عبد الله بن رواحة متشحا بسيفه وآخذا بزمام ناقة رسول الله ﷺ يرتجز بشعره:

خلـوا بنـي الكفـار عـن سـبيله خلـوا فكـلّ الخيـر فـي رسـوله

يــا رب إنـــي مــؤمن بقيلـــه أعـرف حـق الله فـــي قبولـــه

بـأن خيـر القتـل فـي سـبيله أليـوم نضـربكم علـى تنزيلـه

ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

وبهذا المظهر الرائع والشكل المؤثر من تنظيم وتلبية وإحاطة بالرسول ﷺ دخل المسلمون مكة شاقين طريقهم إلى البيت الحرام وأصوات التلبية تشق عنان السماء وتملأ الآفاق حول أهل قريش .

وفي حديث أنس قال عمر: يا ابن رواحه بين يدي رسول الله وفي حرم الله تقول الشعر؟ فقال النبي ﷺ: (خل عنه يا عمر فلهو أسرع فيهم من نضح النبل). [١]

وخرج المشركون إلى جبل قعيقان-جبل شمال مكة- ليروا المسلمين وقد قالوا فيما بينهم: انه يقدم عليكم وقد وهنتهم حمى يثرب، فأمر النبي ﷺ أصحابه أن يرملوا

---

(١) سنن الترمذي، ١٣٩/٥ برقم ٢٨٤٧، والسنن الكبرى ٣٨٣/٢ برقم ٣٨٥٦ .

الأشـواط الثلاثـة، وأن يمشـوا بـين الـركنين، ولـم يمنعـه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء، وإنما أمرهم بذلك ليري المشركين قوتهم [١] .

كمـا أمـرهم بالاضـطباع (يكشـفوا المناكـب اليمنـى ويضـعوا طرفـي الـرداء علـى اليسـرى) وكـل ذلـك مـن هرولـة ورفع الصوت بالتلبية والاضطباع لإرهاب قريش وإظهار قوة المسـلمين وعـزيمتهم وتمسـكهم بـدينهم والتـأثير فـي نفـوس المشركين .

وقد قال المشركون حين رأوا ذلك: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم، هؤلاء أجلد من كذا وكذا [٢] .

---

(١) البخـاري، بـاب عمـرة القضـاء ١٥٥٣/٤ بـرقم ٤٠٠٩ وسـنن البهيقي الكبرى ٨٢/٥ برقم ٩٠٥٥ .

(٢) مسلم، كتاب الحج، باب استحباب الرمل في الطواف ٩٢٣/٢ برقم ١٢٦٦، وسنن البهيقي الكبرى ٨٢/٥ .

ولما فرغ من الطواف سعى بين الصفا والمروة، فلما فرغ من السعي وقد وقف الهدي عند المروة قال: **(هذا المنحر وكل فجاج مكة طريق ومنحر)**. [(١)]

ثم أرسل مجموعة بدل الذين أقاموا يحرسون السلاح فجاءوا وأدوا النسك

وأقام رسول الله ﷺ بمكة والمسلمون ثلاثا يطوفون بالبيت الحرام ويرفع بلال الآذان ويصلون الخمس جماعة خلف رسول الله ﷺ بمشهد وجد صدى في قلوب من شهده من أهل قريش.

- **صدى عمرة القضاء:** كان لعمرة القضاء تأثيرا كبيرا في أهل مكة ومن حولها من الأعراب .

لقد أحسوا بالرهبة وهم يشهدون صفوف المسلمين تتقدم منتظمة تلبي وتسوق الهدي، كان مشهدا سماويا أحسوا بأن هذه الصفوة كانت بينها وبين السماء رابطة فكأنهم ملائكة

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٦٣١/١ برقم ١٦٩١، والمعجم الأوسط ٧/٩ برقم ٨٩٥٧ .

تمجد الله ﷻ في الأرض يمشون والله العزيز القدير ترفرف فوقهم نسائم قوته وجلاله فتغمرهم بنور محبة وهيبة تملأ المشركين رعبا .

كانوا مملوءين صفاء وطمأنينة، ألم ينزل الله عليهم أمنا؟ ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [1] .

لقد كان وعدا من الله وعطائا فأكرم بالله سبحانه من معطي، وعدهم بالأمن، فكيف يكون حال من أمّنه الله؟ كانوا مملوءين ثقة ورجاءا وقوة.

ثم إن بينهم رسول الله ﷺ يقود خطاهم، قال ﷺ: **(رحم الله امرءا أراهم اليوم من نفسه قوة)** ثم استلم الركن وخرج يهرول ويهرول أصحابه معه .

---

(١) سورة الفتح، ٢٧.

اصطف أهل مكة أمام دار الندوة ينظرون إلى النبي ومن معه وقد اضطبع بردائه وأخرج عضده .

وقد فعل أصحابه مثله، مما ملأ قلوب قريش رعبا وخوفا فهل هذه حال من جاء مسافرا عبر الصحراء سائرا، وحشود المسلمين حول النبي ﷺ وصوت التلبية والحمد والتكبير وصوت الآذان يرتفع بمكة خمسا، وصلاة الجماعة ورجز المسلمين بين يدي النبي ﷺ كانوا يغنون للشهادة ويرقصون للموت .

لقد شعرت قريش بأن آلهتها تتساقط أمام رب محمدﷺ الواحد القهار، شعروا بصغر اللات والعزى وبقية الآلهة، لقد غزى رسول الله ﷺ قلوبهم بتلك العمرة، فمنهم من أسلم، ومنهم من همّ بذلك وصار قريبا من الإسلام، إنها عمرة فتح القلوب، ألم يسمها الله ﷻ فتحا مبينا، وهاهو خالد بن الوليد ينحاز إلى الإسلام ويعلن بعد حين بين يدي الرسول ﷺ أن لا اله إلا الله وان محمدا رسول الله، ويتبعه عمرو بن العاص، ويسلم عثمان بن طلحة حارس الكعبة.

ألسنة الثامنة للهجرة :

– **سرية مؤتـة:** (أشعل عرب الشام فتيل الصراع بين المسلمين والبيزنطيين فكانت قبيلة كلب (من قضاعة) التي تنزل في دومة الجندل تضايق التجار المسلمين وتتعرض لقوافل التجارة بين الشام والمدينة، لذلك غزاهم رسول الله ﷺ سنة(٥) للهجرة، لكنهم تفرقوا، كما إن رجالا من جذام ولخم تعرضوا لمبعوث رسول الله ﷺ دحية بن خليفة الكلبي في حسمي واستلبوا كل ما معه، فكانت سرية زيد بن حارثة إلى حسمي سنة(٦) للهجرة، ثم اعتداء قبيلتي مذحج وقضاعة على زيد بن حارثة وصحبه في نفس العام حين ذهابهم إلى وادي القرى بمهمة الدعوة إلى الله، ثم الأمر الأكثر خطورة وهو قتل الحارث بن عمير الأزدي رسول رسول الله ﷺ إلى حاكم بصرى التابع لحاكم الروم، حيث قتله شرحبيل بن عمرو الغساني ولم تجر العادة على قتل الرسل كما إن الحارث بن أبي شمر الغساني حاكم دمشق أساء استقبال مبعوث رسول الله ﷺ وهدد بإعلان الحرب على المدينة،

وبعد سنة من ذلك بعث رسول الله بسرية بقيادة عمرو بن كعب الغفاري إلى (ذات اطلاع) يدعوهم للإسلام فلم يستجيبوا لهم بل قتلوهم جميعا إلا أميرهم الذي عاد جريحا إلى المدينة يخبر بمقتل سريته. ثم إن نصارى الشام بزعامة الإمبراطورية الرومانية قاموا بالاعتداءات على من يسلم فقد قتلوا والي معان حين أسلم، كما قتل والي الشام من أسلم من عرب الشام .

إن التصرفات النصرانية العدوانية، والثأر لقتل المسلمين، وفرض هيبة الدولة الإسلامية على هذه المنطقة مما يؤمن طرق التجارة بين الشام والمدينة، وضرب رجاء المنافقين الذين ينظرون إلى الروم كاحتياطي لضرب الدولة الإسلامية، كل هذه الأسباب دعت إلى تجهيز سرية مؤتة)[١].

---

(١) أنظر السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، ص٧٣٢،٧٣٣.

وقد حشد لهذه السرية ثلاثة آلاف مقاتل، وقد امّر النبيﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة فقال إن قتل زيد فجعفر فان قتل جعفر فعبد الله بن رواحة [١] .

وأمرهم رسول الله ﷺ أن يأتوا المكان الذي قتل فيه الحارث بن عمير الأزدي ويدعوا من كان هناك إلى الإسلام فان أجابوا فبها ونعمت وان أبوا فاستعينوا بالله عليهم وقاتلوهم.

وسار الجيش وودعهم رسول الله ﷺ والمسلمون وكان بالجيش ثلاثة آلاف مقاتل، ولما وصل الجيش الإسلامي إلى معان (وهي ضمن الأردن حاليا) بلغهم أن الروم قد حشدوا مائة ألف مقاتل وانضم إليهم مائة ألف صليبي من قبائل لخم وجدام وبهراء وبلى، فصار الجمع مائتي ألف مقاتل مزودين بالسلاح الكافي.

---

(١) البخاري، باب غزوة مؤتة ٤/١٥٥٤ برقم ٤٠١٣، وصحيح بن حبان ١١/٤٥ برقم ٤٧٤١ .

ولم يتصور الثلاثة آلاف من المسلمين أن يلاقوا مثل هذا الجيش الهائل، سيل من المقاتلين مزودين بالسلاح ويرفلون بالحرير وبالذهب لينبهر المسلمون بهم وبقوتهم (فعن أبي هريرة ﷺ قال شهدت مؤتة فلما دنا منا المشركون رأيت ما لا قبل لأحد به من العدة والسلاح والكراع والديباج والحرير والذهب فبرق بصري، فقال لي ثابت بن أقرم: كأنك ترى جموعا كثيرة قلت نعم، قال انك لم تشهد بدرا، إنا لم ننصر بالكثرة). (١)

وكان موقفا صعبا ولقاءا مستحيلا فليست هناك أي نسبة بين الجيشين، وبعد التدارس فرض الرأي القائل بالقتال فإما نصر وهو خير وإما شهادة وهي خيرين، فرض نفسه وبدا أن الجميع متوجهون بحزم إلى خوض المعركة .

والتقى الجيشان لقاء لم تشهد الدنيا مثله جيش صغير بعدته كبير بإيمانه، وجيش كأنه بحر من المقاتلين تعينهم الأسلحة وتحيطهم سمعتهم كأعظم جيش لأكبر إمبراطورية

---

(١) البداية والنهاية ٤١٨/٦.

في الأرض، ويفعل المسلمون ما لا يصدق وما يفوق العقل، يتسابقون إلى الشهادة يقاتلون بضراوة يسطرون ملاحم فكان كل واحد منهم جيشا وملحمة وعنوان بطولة تستحق أن تخلد فليس على الأرض جيش بهذا العدد يقارع هذا الموج المتلاطم من المقاتلين، إن مجرد اشتراك هذه السرية بالمعركة بتلك الظروف شجاعة نادرة، أما ما سطروه فيها من ملاحم فمواقف تستحق أن يقف التأريخ لها إجلالا، فخالد بن الوليد رضي الله عنه واحد من أبطال هذا الجيش يقول (لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية)[1].

وكم في ذلك الجيش مثل خالد، إنهم نتاج المدرسة المحمدية، التي خرّجت شموسا أنارت، وطرازا من رجال كومضة لمعت، ولم يجد بمثلها الزمان.

---

(١) البخاري، باب غزوة زيد بن حارثة ٤/١٥٥٥ برقم ٤٠١٧، وصحيح ابن حبان ١٥/٥٦٣ برقم ٧٠٨٩ .

ومهما تكن نتيجة المعركة فلن تعدوا عن كونها نصرا لهذه الثلة المؤمنة بغض النظر عن قتلى الجانبين أو المقاييس الاعتيادية لقياس نتائج الحروب .

وقد ظهرت معجزة للنبي ﷺ حول هذه السرية حيث انهﷺ أخبر المسلمين حوله بتفاصيل المعركة ونعى إليهم زيد وجعفر وعبد الله وعيناه تذرفان وسمى خالد سيف الله وبشّر بالفتح على يديه، وحين قدم عليهم من يخبرهم بتفاصيل المعركة لم يزد على ما أخبر به رسول الله ﷺ من أحداثها، (فعن أنسؓ أن رسول الله ﷺ قال: **أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب، وعيناه تذرفان، حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم)**[1].

وفي أرض مؤتة حين وقف الزمن يرنو إلى ما يفعل تلاميذ رسول الله ﷺ وهم يصدون هجمات ألمائتي ألف

---

(١) البخاري، باب غزوة زيد بن حارثة ٤/١٥٥٥ برقم ٤٠١٤ .

مشرك كان زيد – حب رسول الله ﷺ – يتقدم بالراية يقاتل بضراوة (حتى شاط – توزع – في رماح القوم) [(١)] .

ويأخذ الراية جعفر ويقاتل قتال الأبطال، وتحيط به جموع الكفر، فليس حوله إلا سيوفهم من كل جانب فما تردد بل ترجّل وعقر فرسه وهجم يقاتل باندفاع أهل الإيمان إلى رضوان الله وقربه، وتقطع يمينه فيستلم الراية بشماله، فتقطع، فيشد عليها بين عضديه، كان مناه أن تبقى الراية مرفوعة فهل عرف الزمان، فيما رأى من بطولات، كهذه، ويقتل جعفر، يقول عبد الله بن عمر:(التمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى ووجدنا ما في جسده بضعا وتسعين من طعنة ورمية) [(٢)] .

وحين استشهد جعفر رضي الله عنه (كان ابن ثلاث وثلاثين سنة ولقد أثخن بالجراح إذ بلغ عدد جراحه تسعين بين طعنة

---

(١) مجمع الزوائد ١٥٩/٦ .

(٢) البخاري، باب غزوة مؤتة ١٥٥٤/٤ برقم ٤٠١٣، وصحيح ابن حبان ٤٥/١١ .

برمح أو ضربة بسيف أو رمية بسهم وليس من بينها جرح في ظهره بل كلها في صدره) [1] .

تقطع يداه ﷺ وبتر اليد يؤلم لكنه يتلقف الراية كأنه لم يشعر بالألم أو أن سقوط راية الإسلام أكثر إيلاما من قطع يده، ثم الثانية، وهمّه الراية وكل هذا الطعن في صدره فقط، أتراه لم يشعر بألم الطعنة فينفتل من الألم؟ أليس من الطبيعي أن من يطعن أو يرمى بسهم أن يستدير (لا شعوريا) من فرط الوجع، وجعفر ﷺ كالآخرين يؤذيه الطعن فلماذا ظل ثابتا ولم يحركه الم تسعون طعنة أو ما يزيد أتراه الحب الذي يسموا بالأرواح أنساه الوجع الممظ أتراه الشوق إلى الله جعل الألم يصغر أمام سيل الشوق وعظيم الحب؟ هذا والله حال العاشقين، أحبوا الله فسموا فوق كل الآلام من جوع أو قتل، ولا يعرف فعل الشوق إلا من يكابده .

---

(١) السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، ص٧٣٥ عن الصراع مع الصليبيين ص٥٨ .

كل هذا الكم من الطعنات فيما أقبل من جسده وهو محتسب يقاتل فأثابه الله جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء، ويستلم الراية عبد الله بن رواحة ويقاتل ويتحرك الحب في قلب ابن عمه فيأتيه بقطعة لحم ويقول شد بهذا صلبك فانك لقيت في يومك هذا ما لقيت فيأخذها من يده وينهش منها نهشه فيسمع جلبة وتدافع في جبهة القتال فيقول لنفسه: وأنت في الدنيا؟ يعاتب نفسه إذ يتدافع الرجال على الشهادة وهو ما زال في الدنيا فيرمي قطعة اللحم ويندفع إلى تجمّع الأعداء، فيقاتل كالأبطال ويقتل .

وهذه أمثلة وهم ليسوا متفردين، فالكل مندفع يتسابق إلى محبة الله ورضاه والوقوف مع النبيين والصديقين فلقد منّ الله عليهم بمحبته وتشرفوا بصحبة رسول الله ﷺ فشربوا من أصفى منهل وتربوا في ظل النبوة، والتقط الراية ثابت بن أقرم، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد

فاستلم الراية وقاد جمع المسلمين، وبعد أن قدر الموقف واحتمالاته ودرس ظروف المعركة بشكل وافي، اقتنع

بأن الانسحاب بأقل الخسائر هو الحل الأفضل، فقوة العدو تبلغ (٦٦) ضعفا لقوة المسلمين، لذلك سعى لانسحاب منظم يحول خلاله بين الأعداء وتعقب المسلمين، ولبلوغ هذه الغاية لابد من إيهام العدو بأن مددا وصل إلى جيش المسلمين، فصمد بالجيش حتى الليل، وفي الظلام غيّر مراكز المقاتلين في الجيش فاستبدل الميمنة بالميسرة، ومقدمة القلب بالمؤخرة، وفي أثناء ذلك اصطنع ضجة صاخبة وجلبة قوية، وعند الفجر هاجم جيش العدو هجمات سريعة متتالية، وبدى للعدو في الصباح أنهم يواجهون رايات ووجوه جديدة ، وأحسوا بهجمات عنيفة، فتأكد لهم بأن إمدادات وصلت للمسلمين وبأن جيشا جديدا نزل إلى الميدان. كما إن الروم وأمام هذا الصمود أدركوا بأنه من الصعب إحراز نصر حاسم ونهائي على المسلمين فضعف نشاطهم واندفاعهم .

حينها قرر خالد بن الوليد أن ينسحب بالجيش، وكانت عملية التراجع التي قام بها خالد من أكثر العمليات في

التاريخ العسكري مهارة ونجاحا، حيث عمد إلى سحب الجناحين بحماية القلب، ولما أصبح الجناحين بمنأى عن العدو، وفي مأمن منه سحب القلب بحماية الجناحين، إلى أن ضمن سلامة الانسحاب كليا، وتوقع الروم إن هذا التراجع يسحبهم إلى كمين فلم يتبعوا المسلمين .

وخالد بخطته تلك أنقذ الله المسلمين به من هزيمة ماحقة وقتل محقق، فكان الانسحاب قمة النصر بالنسبة إلى ظروف المعركة.(واستشهد يومئذ من المسلمين اثنا عشر رجلا، وهذه المعركة الوحيدة التي جاء خبرها من السماء، وهي الوقعة الوحيدة التي أختار لها النبي ﷺ ثلاثة أمراء على الترتيب) (١) .

وكانت هذه المعركة بداية لفتح بلاد الشام وتحريرها من الرومان بعد أن اهتزت هيبتهم وسقطوا من عيون العرب

---

(١) أنظر السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، ص ٧٣٦، ٧٣٧ .

وبينت ضعف الجنود الرومان أمام المقاتل العربي، وأزالت عن الروم تلك الهالة والغطرسة .

- **سرية ذات السلاسل:** (لم تمض أيام على عودة الجيش من مؤتة إلى المدينة حتى جهّز النبي ﷺ جيشا بقيادة عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل لتأديب قضاعة التي اشتركت إلى جانب الروم، وتجمعت اليوم تريد الدنو من المدينة، فتقدم عمرو في ديارها ومعه ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار، ولما وصل إلى مكان تجمع الأعداء تبين له كثرتهم، فأرسل إلى رسول الله ﷺ يطلب المدد فجاءه مددا بقيادة أبي عبيدة بن الجراح وفي الجيش قدماء المهاجرين كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقاتل المسلمون الكفار وتوغلوا في ديار قضاعة التي هربت وتفرقت وانهزمت ونجح عمرو والمسلمون في إرجاع هيبة الإسلام لأطراف الشام، وإرجاع أحلاف المسلمين، ودخول قبائل أخرى في حلف المسلمين، وإسلام الكثيرين من بني عبس وبنو سليم وبني ذبيان، وكذلك فزارة وسيدها عيينة بن حصن في حلف مع

المسلمين، وتبعهم بنو أشجع، وأصبح المسلمون هم الأقوى في شمال العرب وان لم يكن في بلاد العرب جميعا) [١].

لقد أصبحت مناطق غرب الجزيرة آمنة بسبب صلح الحديبية، وقامت السرايا التي بعثها رسول الله ﷺ بتأمين المناطق الشمالية من الجزيرة .

- **غزوة فتح مكة:** ورد في صلح الحديبية أن من أراد الدخول في عقد محمد ﷺ وعهده دخل فيه، ومن أراد الدخول في عهد قريش دخل ومن ينضم إلى أحد الفريقين يصبح جزءا منه، فدخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ ودخلت بنو بكر في عهد قريش وكان سابقا بين القبيلتين قتال وثارات، لكن بهذا العقد صارت كل قبيلة بأمن من الأخرى .

إلا أن بنو بكر لم يحفظوا عهدهم، (فخرج نوفل بن معاوية في جماعة من بكر في شعبان وأغاروا على خزاعة ليلا وهم على ماء يقال له الوتير، وأعانت قريش بني بكر

---

(١) السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، ص٧٤٤عن السيرة النبوية لأبي شهبة ٤٣٢/٢.

بالسلاح وبالرجال مستغلين ظلمة الليل فقتلوا منهم، والتجأت خزاعة التي لم تكن متهيئة للقتال إلى الحرم وقالوا لقائدهم يا نوفل إنا دخلنا حرم إلهك فقال نوفل لا اله اليوم، يا بني بكر أصيبوا ثأركم) [١] .

عندئذ خرج عمرو بن سالم الخزاعي بجمع من خزاعة حتى قدموا على رسول الله وأخبروه بما كان من بني بكر ومن نصرة قريش لهم وقال في حضرة النبي ﷺ شعرا يطلب من الرسول النصرة ويبين نقض عدوهم للميثاق فقال رسول الله: **(نصرت يا عمرو بن سالم)** ولما عرضت سحابة من السماء قال: **(إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب)**[٢].

وأحست قريش بسوء فعلتها فأرسلت أبي سفيان، فلما دخل المدينة جاء ابنته أم المؤمنين أم حبيبة فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه، فقال يا بنية أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟ قالت بل هو

---

(١) أنظر البداية والنهاية ٢٣/٣ .

(٢) سنن البيهقي الكبرى ٢٣٣/٩ .

فراش رسول اللهﷺ وأنت رجل مشرك نجس، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ، فخرج حتى أتى رسول الله فكلمه، فلم يرد عليه شيئا، ثم ذهب إلى أبي بكر فكلمه أن يكلم رسول الله فقال ما أنا بفاعل ثم أتى عمر ثم علي وفاطمة فلم يجره احد أو قبل أن يكلم رسول الله ﷺ في أمره.

وكان رسول الله ﷺ وكما أورد الطبراني أمر أم المؤمنين عائشة أن تجهزه قبل أن يأتيه خبر نقض الميثاق بثلاثة أيام.

وبعد أن نقضت قريش عهدها قرر النبي ﷺ أن يسير لفتح مكة جزاء غدرهم وعدم التزامهم بالمواثيق، وكانت قد تهيأت للمسلمين أمور ساعدت على إنجاح الفتح فالدولة الإسلامية قد تطورت قدراتها العسكرية، ونما اقتصادها بعد فتحت خيبر وما غنموه منها، كما إن قاعدة الإسلام قد توسعت ودخلت في الإسلام قبائل كثيرة وتحالفت أخرى مع المسلمين أضف لذلك ضعف قريش اقتصاديا وتزعزع

مكانتها بين القبائل، لكل ذلك وبعد خيانة قريش قرر النبيﷺ السير إليهم فاتحا .

وعندما تهيأ الرسول ﷺ وصحبه للخروج دعا **(اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها)**(١).

وكان رسول الله ﷺ قد استدعى علي بن أبي طالب والزبير وأبا مرثد رضي الله عنهم فقال: **(انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها امرأة من المشركين معها صحيفة من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين)** فانطلقوا ووجدوها حيث قال رسول الله ووجدوا لديها الكتاب كما قال النبي ﷺ فعادوا به (٢).

وزيادة في الإخفاء والتمويه أرسل النبي ﷺ سرية من ثمانية أشخاص بقيادة أبي قتادة بن ربعي إلى (بطن أضم) وتوجهوا باتجاه الشام لتذهب الأخبار بتوجه الجيش الإسلامي إلى ذلك الاتجاه في الوقت الذي توجه النبي ﷺ

---

(١) الطبري ١٥٥/٢، والسيرة لابن هشام ٥٢/٥ .

(٢) أنظر البخاري، باب من نظر في كتاب من يحذر ٢٣٠٩/٥ برقم ٥٩٠٤، ومسلم باب فضائل أهل بدر ١٩٤٢/٤ برقم٢٤٩٤.

بالجيش بالاتجاه المعاكس صوب مكة لتضليل الأعداء وصرف أنظارهم متخذا كل ما من شأنه أن يحيط التحرك بالسرية والكتمان، (وكان خروجه ﷺ لعشر مضين من رمضان ومعه عشرة آلاف مقاتل، فصام حتى بلغ عسفان ثم دعا بإناء فشرب نهارا ليراه الناس فأفطر حتى قدم مكة)[١]، وفي الطريق لقيه عمه العباس وقد خرج مهاجرا هو بعياله [٢].

وكان بقائه بمكة بأمر النبي ﷺ ليأتيهم بأخبار العدو، أما وقد انتهت مهمته فقد خرج مهاجرا إلى الله ورسوله .

(وفي الطريق إلى مكة جاء أبو سفيان فلما التقى بالعباس عم رسول الله أجاره وحمله معه إلى رسول الله ﷺ الذي أرجأ أمره إلى الغد، وفي اليوم التالي دخل على رسول الله ﷺ وكان يتوقع أن يوبخه الرسول أو يهينه أو يعاقبه، وكانت المفاجأة أن رسول الله دعاه إلى الإسلام، فاهتز أبو

---

(١) البخاري، باب غزوة الفتح ١٥٥٩/٤ برقم ٤٠٢٩ .

(٢) البداية والنهاية ٥٣١/٦ .

سفيان من المفاجأة وقال: بأبي أنت وأمي يا محمد ما أحلمك وأكرمك وأوصلك)[1]، فلما أسلم أبو سفيان وهمّ لينصرف قال رسول الله ﷺ:**(ياعباس احبسه بمضيق الوادي حتى تمر به جنود الله فيراها)** [2] ...

وذلك ليرى أبو سفيان قوة جيش المسلمين وما وصل إليه من عدة وعديد فيوقع في قلبه الفزع وينقله من خلاله إلى أهل مكة فتضعف همتهم عن المقاومة، فحبسه العباس حيث أمر رسول الله ﷺ ومرّت القبائل على راياتها وأبو سفيان يسأل من هذه فيقول له العباس هذه قبيلة كذا، وهذه قبيلة كذا، حتى مرّ بهم رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والأنصار، لايرى منهم إلا الحدق من الحديد، قال سبحان الله يا عباس من هؤلاء فيقول له: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، قال ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة .

---

(١) مسند أبي عوانة، ٢٨٤/١٤ برقم ٦٧٦٨ .

(٢) المعجم الكبير ١٢/٨ .

وقال العباس لرسول ﷺ الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا، فقال رسول الله ﷺ: **(من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن ألقى السلاح فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن).** (١)

(وللمزيد من التأثير في نفوس أهل مكة أمر رسول الله بإيقاد النيران، فأوقدوا عشرة الآف نار في ليلة واحدة حتى ملأت الأفق فكان لمعسكرهم منظر مهيب، كادت تتخلع قلوب المشركين من شدة هوله). (٢)

- **دخول مكة:** لما وصل رسول الله ﷺ إلى ذي طوى وكان يضع رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله من الفتح، حتى إن شعر لحيته ليكاد يمس واسطة الرحل، وزع المهام فجعل خالد بن الوليد على المجنبة اليمنى، وأمره أن يدخل مكة من أسفلها وقال: إن عرض لكم أحد من قريش

---

(١) مسلم، باب فتح مكة ١٤٠٧/٣ برقم ١٧٨٠ .

(٢) السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، ص٧٥٧ عن الطبقات لابن سعد ١٣٥/٢ .

فاحصدوهم حصدا حتى توافوني على الصفا، وجعل الزبير بن العوام على المجنبة اليسرى وكان معه راية الرسول ﷺ فأمره أن يدخل مكة من أعلاها وأن يغرز رايته بالحجون، وكان أبو عبيدة على الرجالة والحسر –الذين لا سلاح معهم– فأمره أن يأخذ بطن الوادي .

(فأما خالد وأصحابه فقد لقيتهم مقاومة فقتل من المشركين اثنا عشر وانهزم الباقون وقتل من المسلمين اثنان ،ثم أقبل خالد يجوس مكة حتى وافى رسول الله ﷺعلى الصفا، وأما الزبير فنصب راية رسول الله ﷺ بالحجون عند مسجد الفتح). [١]

وكان رسول الله ﷺ قد أعلم أهل مكة بأن من دخل داره أو دار أبي سفيان فهو آمن وهذا بمثابة إعلان بإفراغ الطرق من الناس وأن يلجأوا إلى بيوتهم ليتسنى لمقاتلي المسلمين أن يعرفوا عدوهم ويسلكوا طريقهم بدون خوف من أن يباغتهم عدو وحتى لا يضطروا إلى سفك الدماء .

---

(١) أنظر الرحيق المختوم، ص٢٣٠، ٢٣١ .

كما كان دخول مكة من أربعة محاور تصرف أضعف العدو وشتته فلم يمكنهم من التجمع لقتال المسلمين.

ودخل الجيش الإسلامي إلى أم القرى ووصلت كل مجموعة قتالية إلى المكان الذي حدده لها رسول الله ﷺ واكتملت سيطرة جيش المسلمين على مكة .

ودخل رسول الله ﷺ المسجد والمهاجرون والأنصار بين يديه وخلفه وحوله فاقبل إلى الحجر الأسود فاستلمه ثم طاف بالبيت (وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول قل جاء الحق وزهق الباطل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد). (١)

ثم دخل البيت وكبر في نواحيه ثم صلى فعن عبد الله بن عمر قال أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة هو وأسامة بن زيد وعثمان بن طلحة وبلال بن رباح فأغلقها ومكث فيها فسألت بلالا حين خرج ماذا صنع رسول الله فقال جعل

---

(١) البخاري، باب أين ركز النبيﷺ الراية يوم الفتح٤/١٥٦١ برقم ٤٠٣.

عمودين عن يمينه وعمودا يساره وثلاثة أعمدة ورائه ثم صلى وبينه وبين القبلة ثلاثة أذرع .[1]

ولقد أعطى رسول الله ﷺ مفاتيح الكعبة إلى عثمان بن طلحة قائلا له **(هاك مفتاحك ياعثمان اليوم يوم بر ووفاء)**[2].

وكان هذا ما أراد رسول الخير أن يكونه يوم هذا الفتح العظيم يوم بر ووفاء .

وحان وقت الصلاة فصعد بلال فوق الكعبة وأذن للصلاة، أذن بصوت ملأ آفاق مكة، وبعد أن كان الآذان بالأمس همسا والصلاة في الخفاء، أصبح الآذان يملأ أرجاء مكة والصلاة بالعلن جمعا خلف رسول الله ﷺ .

ووقف أهل مكة يترقبون ما عسى أن يفعل بهم، ومعلوم ما يفعل الفاتحون ثم أنهم سعوا بكل ما يستطيعون

---

(١) مسند أحمد٢/١١٣ برقم ٥٩٢٧، ومسند الروباني٢/١٦ برقم ٧٤٩.

(٢) البداية والنهاية ٦/٥٦٨ .

لأذيــة رســول الله ﷺ حتــى همــوا بقتلــه وأخرجــوه وظلــت محـاولاتهم للقضـاء عليه ومن معه، اليوم يترقبون مـا سيفعل بهم من أرادوا قتله، لكن نبي الرحمة وسيد الكرماء وإمام أهل الخير يعلنهـا ﷺ مدويـة مملـوءة كرمـا وعظمـة **(اذهبـوا فـأنتم الطلقـاء)** فـلا سبي ولا قتل ولا سلب مـال، بل رحمـة ومحبـة ودعوة للإسلام إلى النور إلى أعظم ما في الوجود.

(كـان مـن أثـر عفـو النبـي الشـامل عـن أهـل مكـة، والعفو عن بعض من أهدر دماءهم أن دخل أهل مكة رجـالا ونسـاء أحـرارا وموالي فـي دين الله طواعيـة واختيـارا، وبـدخول مكـة تحـت رايـة الإسـلام دخـل النـاس فـي ديـن الله أفواجـا، وتمت النعمة، ووجب الشكر). [1]

واجتمـع أهـل مكـة للبيعـة فجلـس رسـول الله ﷺ علــى الصفا يبايع النـاس وعمر بن الخطـاب أسفل منـه، يأخذ علـى النـاس، فبايعوه على السمع والطـاعة فيما استطـاعوا.

---

(١) السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، ص٧٦٥ عن السيرة النبوية لأبي شهبة ٢/٤٥٦ .

وبعد أن تمت بيعة الرجال أخذ بيعة النساء وهو جالس على الصفا وعمر أسفل منه يبايعهن بأمره ويبلغهن عنه فبايعهن على أن لا يشركن بالله شيئا، ولا يسرقن، ولا يزنين، ولا يقتلن أولادهن، ولا يأتين ببهتان، ولا يعصين في معروف، وقد بايعن رسول الله ﷺ من غير مصافحة فقد كانﷺ لا يصافح النساء ولا يمس يد امرأة إلا امرأة أحلها الله له أو ذات محرم منه.

(وكان رسول الله ﷺ طاف يوم الفتح وهو على راحلته وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص فجعل النبي يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه ولا أشار لقفاه إلا وقع لوجهه حتى ما بقي صنم إلا وقع). (١)

وأقام رسول الله ﷺ بمكة تسعة عشر يوما يعلمهم الإسلام ويرشدهم إلى الهدى والتقى، وهدم البيوت التي

---

(١) السيرة لابن هشام ٥/٨٠ .

أقيمت للأوثان حول مكة وأرسل السرايا لتطهير الجزيرة منها والدعوة للإسلام، وبث السرايا فحطموا العزى، ومناة، وسواع، وأمر أهل مكة بكسر الأصنام التي في البيوت وصار واضحا أن صلح الحديبية باشرة خير مكنت المسلمين من التفرغ لنشر الدين، فكان من ثمراته هذا الفتح العظيم الذي نقل المسلمين إلى صدارة الجزيرة وزعامتها فلم يبق إلا أن يأتي من لم يبايع فيبايع، ومن لم يسلم ليسلم، ويحمل الدعوة إلى العالم فقد عرف الكل أن الإسلام هو الدين الظاهر على ما سواه.

- **بعض أحداث الفتح الأعظم:** أراد فضالة بن عمير بن الملوح الليثي قتل رسول الله ﷺ غدرا وهو يطوف بالبيت فلما دنا قال رسول الله ﷺ: (أفضالة) قال: نعم فضالة يا رسول الله، قال: (ماذا كنت تحدث به نفسك) قال لاشئ كنت أذكر الله، فضحك النبي ﷺ ثم قال: **(استغفر الله)** ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه، فكان فضالة يقول: والله

ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إلي منه.[1]

وسرقت امرأة في مكة بعد الفتح ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه، فلما كلمه أسامة تلوّن وجه رسول الله فقال: (**أتكلمني في حد من حدود الله**) فقال أسامة: استغفر لي يا رسول الله. فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ خطيبا فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: **(فإنما أهلك الناس من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفس محمد بيده، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)**.[2]

---

(١) السيرة لابن هشام ٥/٨٠ .

(٢) البخاري، باب من شهد الحج ٤/١٥٦٦ برقم ٤٠٥٣، ومسند أبي عوانة ١٤/١١٧ برقم ٦٢٣٧ .

وهذا بناء تربوي وهدي نبوي يعلم رسول الله ﷺ الأمة قواعد العدل واحترام التشريع الإلهي وأن لا فرق بين قوي أو غني وضعيف أو فقير.

وعن أبي هريرة إن رسول الله ﷺ أتى الصفا فعلاه حيث ينظر إلى البيت، فرفع يديه، فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره ويدعوه والأنصار تحته يقول بعضهم لبعض أما الرجل فأدركته رغبة في قريته، ورأفة بعشيرته قال أبو هريرة: وجاء الوحي، وكان إذا جاء لم يخف علينا فليس أحد من الناس يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى يقضى، فلما قضى الوحي رفع رأسه ثم قال: **(يامعشر الأنصار قلتم :أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ،ورأفة بعشيرته)** قالوا: قلنا ذلك يا رسول الله، قالك (**فما أسمى إذا، كلا، إني عبد الله ورسوله، هاجرت إلى الله واليكم، فالمحيا محياكم والممات مماتكم)** فأقبلوا إليه يبكون ويقولون: والله ما قلنا الذي قلنا إلا

الظن بالله ورسوله، فقال رسول اللهﷺ: **(فان الله ورسوله ليصدقانكم ويعذرانكم).**[1]

- **من نتائج الفتح:** دخلت مكة تحت نفوذ المسلمين وزالت دولة الكفر وحانت فرصة القضاء على جيوب الشرك في حنين والطائف ثم في العالم أجمع، كما إن المسلمين أصبحوا قوة عظمى في جزيرة العرب لا يستطيع أي تجمع قبلي الوقوف بوجهها، وهي مؤهلة لتوحيد العرب تحت راية الإسلام ثم الانطلاق إلى الدول المجاورة للقضاء على الظلم فيها وتأمين الحرية للناس بالدخول في دين الله، كان للفتح آثار عظيمة دينية وسياسية واجتماعية تمثلت في رفق النبيﷺ بأهل مكة وما نشره فيها من قيم الحق والخير وعلاقات مبنية على العدل والمساواة وتركه ﷺ فيهم معاذ بن جبل ليعلمهم الدين ويفقههم فيه وتعيينهﷺ عتاب بن أسيد أميرا عليهم ليقيم الحق ويحكم بما يرضي الله ووفق شرعه

(١) مسلم، باب فتح مكة ١٤٠٦/٣ برقم ، ١٧٨٠وصحيح ابن حبان ٧٥/١١ برقم ٤٧٦٠ .

مما بنا نموذجا للخير أقنع العرب بأن الإسلام هو دين الخير فدخل الناس فيه أفواجا، تحقق النصر للمسلمين بعدما حققوا شروط التمكين وأتبعوا الهدي الإلهي وأتبعوا سنة رسوله وأخذوا بالأسباب وتحملوا وصبروا وتحملوا البلاء بنفس راضية والتدرج، وتغيير النفوس، فتحقق وعد الله بالنصر والفتح[١].

- **غزوة حنين:** لما فتح الله مكة على رسوله والمؤمنين، خافت هوازن وقالوا سيفرغ المسلمون لقتالنا ،فلنغزه قبل أن يغزونا وأجمعوا أمرهم (وولوا عليهم مالك بن عوف ألنصري، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها، ونصر وجشم وسعد بن بكر وناس من بني هلال، فلما سمع رسول الله ﷺ بتجمعهم سار إليهم في الخامس من شوال).[٢]

---

(١) أنظر السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، ص٧٧٨، ٧٧٩.

(٢) أنظر البداية والنهاية ٧/٥، ٧/٦ .

وكان عدد جيش المسلمين اثني عشر ألفا من المسلمين أما عدد هوازن ومن تحالف معها فكانوا ضعف عدد المسلمين أو أكثر، وحين خرج مالك بن عوف بهوازن جلب مع الجيش النساء وأطفالهم وأموالهم ونعمهم وشائهم حتى يقاتل الجيش باندفاع ولا يتراجع مخافة على أهله وأمواله من السبي، وحين بلغ ذلك رسول الله ﷺ تبسم وقال: **(تلك غنيمة المسلمين غدا إن شاء الله).** (١)

وكان البعض ممن في جيش المسلمين قد أعجبتهم كثرة عدد جيش المسلمين ودخل الإعجاب نفوسهم فقالوا: لن نغلب اليوم من قلة. (٢)

كانت عند مالك بن عوف معرفة وافية بالأرض التي ستدور عليها المعركة، فاستغل الظروف الطبيعية لصالح

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٩٣/٢ برقم ٢٤٣٣، وسنن أبي داود باب في فضل الحرس في سبيل الله ٩/٣ برقم ٢٥٠١ .

(٢) مجمع الزوائد، باب غزوة حنين ١٧٨/٦، والسيرة لابن هشام ١١٣/٥.

جيشه فأدخله إلى الوادي الذي ستدور فيه المعركة ليلا فنصب الكمائن في الطرق والمداخل والشعاب والمضايق وأمرهم أن يرشقوا المسلمين بالنبال ثم يشدوا عليهم بقوة. ولقد كادوا أن يقضوا على المسلمين لولا لطف الله وعنايته وتأييده لنبيه بالنصر .

وبالسحر عبأ رسول الله ﷺ جيشه وعقد الرايات وتقدموا صوب وادي حنين، وحين دخلوا الوادي فاجأهم العدو بسيل من النبال من كل مكان ثم شدوا عليهم بغتة فتفرق المسلمون وتشتتوا وبانت بوادر هزيمة منكرة .

وحين تشتت الجيش وانسحب وتراجع، ثبت رسول الله ﷺ وما معه إلا قلة من المهاجرين وأهل بيته، فظهرت شجاعة رسول الله ﷺ وبما يعجز عنه الأبطال ذوي البأس، فقد طفق يركز بغلته باتجاه الكفار وهو يقول:

أنا النبي لا كذب ... أنا بن عبد المطلب

وأبو سفيان يأخذ بزمام بغلته، والعباس بركابه، يكفانها أن لا تسرع، فينزل رسول اللهﷺ فيستنصر ربه قائلا: **(أللهم أنزل نصرك)**.[١]

وأمر رسول الله عمه العباس- وكان جهير الصوت- أن ينادي ألصحابه قال العباس فقلت بأعلى صوتي:

أين أصحاب السمرة؟ قال فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها فقالوا: يالبيك يا لبيك[٢]، وتلاحقت كتائب المسلمين التي كانت تركت الميدان تعود وتجالد وتقاتل واشتد القتال، فنظر رسول اللهﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم فقال رسول الله ﷺ **(هذا حين حمي الوطيس)** ثم أخذ رسول اللهﷺ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال: **(انهزموا ورب محمد)** قال: العباس فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى قال فو

---

(١) أنظر الرحيق المختوم، ص٤٠٢، ٤٠٣ .

(٢) مسلم، باب غزوة حنين٣/١٣٩٨ برقم ١٧٧٥، ومسند أبي عوانة ١٤/٢٧٦ برقم ٦٧٤٧ .

الله ماهو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى أحدهم كليلا وأمرهم مدبرا [١]، وما هي إلا ساعات بعد رمي الحصيات حتى انهزم العدو هزيمة منكرة، ولما انهزم العدو تفرقت صفوفه قسم إلى الطائف، وطائفة إلى نخلة، وطائفة إلى أوطاس، فأرسل النبي ﷺ إلى أوطاس مجموعة من المقاتلين يقودهم أبو عامر الأشعري فقاتلوهم حتى انكسر المشركون، وطاردت طائفة من فرسان المسلمين فلول المشركين الفارين إلى نخلة فدحروهم، أما فلول المشركين الذين لجأو الى الطائف فتوجه إليهم رسول الله ﷺ بعد أن جمع الغنائم،(وكانت الغنائم السبي: ستة آلاف رأس، والإبل أربعة وعشرون ألفا، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة، وأربعة آلاف أوقية فضة) [٢].

---

(١) مسلم، باب غزوة حنين ١٣٩٨/٣ برقم ١٧٧٥، وصحيح ابن حبان ٥٢٤/١٥ برقم ٧٠٤٩ .

(٢) الرحيق المختوم، ص٤٠٤ .

ثم جمعها بالجعرانة وجعل عليها مسعود بن عمرو الغفاري .

- **غزوة الطائف:** وهي امتداد لغزوة حنين (حيث فرت فلول هوازن وثقيف إلى الطائف وتحصنوا بها فسار إليهم رسول الله ﷺ وحاصرهم ثلاثين ليلة أو قريبا من ذلك، ثم انصرفوا عنهم ولم يؤذن فيهم فقدم المدينة فجاءه وفدهم في رمضان فأسلموا)[1] .

ووقعت خلال فترة الحصار مقاذفات ومراماة، ونادى منادي رسول الله ﷺ أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر، فخرج إليهم ثلاثة وعشرون رجلا فأعتقهم رسول الله ﷺ.[2]

ولما طال الحصار ولم يصار إلى حسم الموقف بسبب رشق النبال وتهيؤ أهل الحصن بخزنهم مئونة كافية ولأن المناطق المحيطة بالطائف صارت تحت سيادة الدولة

---

(١) البداية والنهاية ٧ / ٧٨ .

(٢) الرحيق المختوم، ص٤٠٥ عن البخاري ٢ / ٦٢٠ .

الإسلامية ولم يعد لهم سيطرة خارج حصنهم (استشار رسول الله ﷺ نوفل بن معاوية الديلي فقال: ثعلب في جحر، إن أقمت عليه أخذته، وان تركته لم يضرك). (١)

قال رسول الله ﷺ: (**إنا قافلون غدا إن شاء الله**) فقال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ لا نبرح أو نفتحها فقال النبي: (**فاغدوا على القتال**) فغدوا فقاتلوهم قتالا شديدا وكثر فيهم الجراحات فقال رسول الله ﷺ: (إنا قافلون غدا إن شاء الله) فسكتوا، فضحك رسول الله ﷺ.(٢)

– توزيع الغنائم: حين رجع رسول الله ﷺ من حصار الطائف مكث في الجعرانة بضع عشرة ليلة لا يقسم الغنائم ويتأنى بها يبتغي أن يقدم عليه وفد هوازن تائبين، فيحرزوا ما فقدوا، ولكنه لم يجئه أحد، وحين بدأ في تقسيم الغنائم كانت العطايا الكبيرة لحديثي العهد بالإسلام وللذين لم يسلموا

---

(١) البداية والنهاية ٧٦/٧، وتاريخ الطبري ١٧٢/٢ .

(٢) البخاري، باب التبسم والضحك ٢٢٩٥/٥ برقم ٥٧٣٦ ، وكتاب السنن ٣٦٠/٢ .

عسى أن يكون العطاء دافعا لإسلامهم ثم بعد أن يعرفوا الإسلام من الداخل ويعيشوه فعسى أن يرسخ في قلوبهم ويحسن إسلامهم، ومثل ذلك حصل قبل ذلك كثيرا، فكما روى أنس ﷺ (إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلاالدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما فيها).[١]

وهذه الطريقة كانت تفلح مع الكثير، فلكل طريقة يجذب بها إلى طريق الخير فهناك من يهتدي بالكلام وهناك من تجذبه المعجزة، وهناك من يأتي بالكرم والسخاء المعجز، وكان رسول الله ﷺ طبيب القلوب ويعطي لكلّ ما يناسبه ويقنعه، فالمهم أن يهتدوا إلى الإسلام، وهذا صفوان بن أمية يعبر عن ذلك فيقول (والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وانه لأبغض الناس إلي، فما برح يعطيني حتى انه لأحب الناس إلي).[٢]

---

(١) مسلم، باب ما سئل رسول الله شيئا ١٨٠٦/٤ برقم ٢٣١٢، وسنن البيهقي ١٩/٧ برقم ١٢٩٦٧ .

(٢) أنظر مجمع الزوائد ٢٩/١٠، والسيرة لابن هشام ١٧٦/٥ .

فأخرج رسول الله ﷺ الخمس من الغنائم وأعطاه لمن ذكرنا، فكان يعطي ألثلاثمائة من الإبل والمائتين أو المائة ثم الخمسين والأربعين، للرجل من قريش أو من قبائل العرب، ولم يعط الأنصار شيئا وهم الذين قاتلوا وضحوا وثبتوا، وصار العطاء للذين فرّوا وما نصروا، ولم يكن الجميع يعرف ما يعرفه رسول الله ﷺ، ولم يؤت أحد من الحكمة ما أوتي رسول ألله ﷺ ووجد الأنصار من ذلك في أنفسهم شيئا ولم يفهموا ما أريد من هذه القسمة، فدخل سعد بن معاذ على رسول الله وقال: يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحي من الأنصار منها شيء قال: **(فأين أنت من ذلك يا سعد)** قال: يا رسول الله ما أنا إلا من قومي، قال: (فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة) فلما اجتمعوا أتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (يا معشر الأنصار مقالة بلغتني عنكم،

وجدة وجدتموها عليّ في أنفسكم، ألم آتكم ضلالا فهداكم الله؟ وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف بين قلوبكم ؟) قالوا: بلى، الله ورسوله أمنّ وأفضل.

ثم قال: (ألا تجيبوني يا معشر الأنصار) قالوا بماذا نجيبك يا رسول الله لله ورسوله المنّ والفضل قال: (أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدّقتم، أتيتنا مكذبا فصدقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدا فآويناك، وعائلا فآسيناك، وأوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم لعاعة من الدنيا تألفت بها قوم ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم، فو الذي نفس محمد بيده لولا هجرتي لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا، لسلكت شعب الأنصار، أللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار) فبكى القوم

حتى أخضلوا لحاهم وقالوا رضينا برسول الله قسما وحظا[١].

- **وفد هوازن:** وبعد توزيع الغنائم قدم وفد هوازن وفيهم أبو برقان عمّ رسول الله ﷺ من الرضاعة ،فأسلموا وبايعوا، وقالوا لرسول الله ﷺ إن فيما أصبتم العمات والخالات، وهن مخازي الأقوام، فخيرهم النبي ﷺ بين المال وبين السبي، فاختاروا الأحساب وأن يرد إليهم نسائهم وأبنائهم، فقال: **(إذا صليت الظهر فقوموا وأظهروا إسلامكم وقولوا نحن إخوانكم في الدين، ثم قولوا: إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله أن يرد إلينا سبينا)** ففعلوا، فقال: **(أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم وسأسأل الناس)** فقال: المهاجرون والأنصار: ما كان لنا فهو لرسول الله [٢] .

---

(١) البداية والنهاية ٩٧/٧ .

(٢) أنظر روضة الأنوار، ص ٣٠٩، ٣١٠ .

(وسرّ رسول الله ﷺ بإسلام هوازن وسألهم عن زعيمهم مالك بن عوف، فأخبروه أنه بالطائف، فوعدهم برد أهله وأمواله عليه وإكرامه بمائة من الإبل إن قدم عليه مسلما، فجاء مالك مسلما فأكرمه وأمرّه على قومه وبعض القبائل المجاورة) [(١)].

وكان لهذه السياسة الحكيمة أثرها بتحول قبيلة هوازن وحلفائها إلى الإسلام حتى صاروا قوة إسلامية تحارب الوثنية والكفر.

- **عمرة الجعرانة:** لما فرغ رسول الله من تقسيم الغنائم أحرم للعمرة، فأحرم واعتمر، ورجع إلى المدينة فبلغها لثلاث بقين من ذي القعدة .

- **من أحداث السنة الثامنة للهجرة :**

مولد إبراهيم عليه السلام ابن رسول الله ﷺ من ماريه القبطية

وإسلام كعب بن زهير صاحب قصيدة (بانت سعاد) في مدح رسول الله ﷺ والاعتذار إليه .

---

(١) السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، ص ٧٩٣ .

السنة التاسعة للهجرة :

- **غزوة تبوك:** وهي آخر غزوة غزاها رسول اللهﷺ، سميت بغزوة العسرة لما ورد عن عثمان بن عفانرضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**من جهز جيش العسرة فله الجنة**).[١]

ولقول أبو هريرة رضي الله عنه:

أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله الحملان لهم إذ هم معه في جيش العسرة وهي غزوة تبوك [٢].

وسميت بالعسرة للشدة التي لاقاها المسلمون في الإعداد للغزوة، وللطريق إلى أرض المعركة، فهي وقعت في جو شديد الحرارة وقد طابت الثمار، والظلال وحسن المقام، والطريق طويل وفيه مشقة وسط صحراء لاهبة مع قلة المئونة والماء، ونقص الدواب التي تحمل المقاتلين وقلة المال الذي ينفق على الجيش .

---

(١) البخاري، ١٠٢١/٣ برقم ٢٦٢٦ .

(٢) مسلم، ١٢٦٩/٣ برقم ١٦٤٩ .

وسميت الغزوة بغزوة تبوك نسبة إلى اسم عين ماء وصلها المسلمون، فمن حديث معاذ بن جبل إن رسول الله ﷺ قال: (إنكم ستأتون غدا إن شاء الله عين تبوك،وإنكم لن تأتوها حتى يضحي النهار). [١]

وقد خرج رسول الله ﷺ فيها برجب بعد حصار الطائف بستة أشهر في ما يقرب من ثلاثين ألف مقاتل. [٢]

(وأما موقع تبوك فيقع شمال الحجاز يبعد عن المدينة (٧٧٨) ميلا حسب الطريق المعبدة في الوقت الحاضر، وكانت من ديار قضاعة التابعة لسلطان الروم آنذاك). [٣]

وكان من أسباب الغزوة أن معركة مؤتة حيث لم يتمكن فيها الجيش الروماني الكبير من الانتصار على ثلاثة آلاف من المسلمين أساءت لسمعة الجيش الروماني

---

(١) صحيح ابن حبان ٤/٤٦٩، وصحيح ابن خزيمة ٢/٨٢ برقم ٩٦٨.

(٢) أنظر البداية والنهاية ٧/١٤٥ .

(٣) السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، ص ٨٠٩ .

وأضعفت هيبته بين قبائل العرب المجاورة لهم وجعلها تفكر بالتحرر من التبعية للروم مما يهدد بالقضاء على النفوذ الروماني لاحقا في هذه المنطقة، ويقود هذه القبائل للتحالف مع المسلمين الذين فرضوا أنفسهم كقوة ضاربة في الجزيرة، لذا كانت فكرة القضاء على المسلمين تفرض نفسها كضرورة على قيصر وتزداد إلحاحا كل يوم، لذا لم تمضي على معركة مؤتة عام واحد حتى بدأ قيصر بتجهيز جيش من الرومان وقبائل العرب التابعة لهم خصوصا غسان ويتهيأ للقضاء على الدولة الإسلامية وقد بدأت أخبار هذا الحشد المعادي تصل إلى المدينة وتقض مضاجع المسلمين فهم يتوقعون في كل لحظة أن يباغتهم جيش الروم وغسان، حتى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليحدث (ونحن نتخوف ملكا من ملوك غسان ذكر لنا انه يريد أن يسير إلينا فقد امتلأت صدورنا منه، فإذا صاحبي الأنصاري يدق الباب فقال: افتح

افتح، فقلت: جاء الغساني، فقال: بل أشد من ذلك اعتزل رسول الله أزواجه).[1]

وحمل التجار الأقباط القادمون بالزيت من الشام إلى المدينة أن قيصر جمع جيشا كبيرا قوامه أربعون ألف مقاتل سلم قيادته لعظيم من عظماءهم، إضافة للقبائل المتنصرة من العرب.

ورغم صعوبة إعداد الجيش الإسلامي وتهيئته وصعوبة المسير به إلى حدود الروم، إلا انه وبالمقابل ليس من الحكمة انتظار الجيش الروماني وهو يجوب الجزيرة حتى يصل المدينة لأن أمرا كهذا سيوقظ الوثنية التي انسحقت قريبا وما زال لها جذور إضافة لقوى النفاق، حيث سيضربون مجتمعين المسلمين إن هاجمهم الروم مما يجعل المسلمين بين فكي كماشة ومحاطين بأكثر من عدو، فتضيع على المسلمين كل فتوحاتهم وغزواتهم ويضيع جهد سنين من البناء والقتال والصراع لبناء دولة الإسلام .

(١) البخاري، باب تبتغي مرضاة أزواجك ٤/١٨٦٧ برقم ٤٦٢٩.

فمـا كـان مـن رسـول الله ﷺ إلا أن أعلـن بالمسـلمين التهيؤ للمسير لقتال الروم، وكان ﷺ يكنـي عن وجهته حين يتهيأ للغزو، أما فـي هذه الغزوة فقد صـرح بجهـة المسير بسبب بعد مكان القتال ومشقة المسير، حتى يهيئ المسلمون ما يلزم لمثل هذه المسيرة ويأخذ كل منهم عدته.

فتسابق المسلمون بالتجهز للمسير والقتال لصد الخطر عن بلادهم واعلاءا لراية الحق وأخذت القبائل والبطون تهبط إلى المدينة من كل صوب ،ولم يتخلف إلا الذين في قلوبهم مرض وإلا ثلاثة نفر تخلفوا ثم تابوا فتاب الله عليهم، وبلـغ الأمر بالضعفاء والعجزة ومن أقعدتهم النفقة عن الخروج أن يبكوا شوقا إلـى الجهـاد وحسـرة علـى أن لا يكونـوا بصـحبة رسول الله ﷺ يقاتلون في سبيل الله .

وحـث رسـول الله ﷺ الموسـرين علـى تجهيـز الجـيش وإعانـة المعسرين، فتقدم كل بما مكنـه الله من خيـر، وكـان أبو بكر الصديق سباقا، فيضع كل ما يملك بين يدي رسول الله ﷺ، ويجـيء عمـر بنصـف مالـه، وعثمـان تصـدق ثـم

تصدق حتى بلغت صدقته تسعمائة بعير ومائة فرس وألف دينار نثرها في حجر النبي ﷺ ويتوالى المسلمون يدفعون الصدقات فحتى الفقراء تصدقوا بالقليل الذي يملكونه، وكان للنساء نصيب من الإنفاق ابتغاء مرضاة الله .

وتحرك الجيش يوم الخميس شمالا يريد تبوك، وكان جيشا كبيرا لم يسبق أن اجتمع للمسلمين مثله، ولم يكن تجهيزه كاملا، فكان ثمانية عشر رجلا يعتقبون بعيرا، وأكلوا من جوعهم أوراق الشجر .

(وفي بعض الطريق اشتد بالجيش العطش ،فشكوا إلى رسول الله ﷺ عطشهم فدعا الله فجاءت سحابة فأمطرت حتى ارتوى الجيش وحملوا معهم).[١]

وفي الطريق قال رسول الله ﷺ: تهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقم أحد منكم، فمن كان له بعير فليشد عقاله،

---

(١) أنظر تاريخ الطبري ١٨١/٢، والسيرة لابن هشام ١٩٥/٥ .

فهبت ريح شديدة فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبلي طي. [١]

(وفي بعض الطريق وأثناء استراحة الجيش، ضلّت ناقة رسول الله فخرج الصحابة يبحثون عنها، فقال رجل من المنافقين اسمه زيد بن اللصيت القينقاعي: أليس محمد يزعم أنه نبي، ويخبركم عن السماء، وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله ﷺ: **(إن رجلا قال: هذا محمد يزعم انه يخبركم بأمر السماء ولا يدري أين ناقته؟ واني والله لا أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني الله عليها، وهي في هذا الوادي في شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتى تأتوني بها)** فذهبوا فجاءوا بها). [٢]

ومما أورده أبو سعيد الخدري رضي الله عنه لما كانت تبوك أصاب الناس مجاعة فقالوا: يا رسول الله لو أذنت لنا فذبحنا

---

(١) مسلم، باب معجزات النبي ﷺ ١٧٨٥/٤ برقم ١٣٩٢، ودلائل النبوة للأصبهاني ١٧١/١ برقم ٢١٢ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١٩٥/٥ .

نواضحنا(إبلنا)، فأكلنا وأدمنا، فقال لهم رسول الله ﷺ: (افعلوا) فجاء عمر فقال: يا رسول الله إنهم إن فعلوا قل الظهر(الإبل التي تحملهم). ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع لهم بالبركة، لعل الله أن يجعل في ذلك، فدعا رسول الله بنطع- بساط من جلد- فبسطه، ثم دعاهم بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكف الذرة، والآخر بكف التمر والآخر بالكسرة حتى اجتمع على النطع في ذلك شيء يسير، ثم دعا عليه بالبركة، ثم قال: (خذوا في أوعيتكم) فأخذوا من أوعيتهم حتى ما تركوا من المعسكر وعاء إلا ملئوه، وأكلوا حتى شبعوا، وفضلت منه فضلة، فقال رسول الله ﷺ: **(أشهد أن لا اله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فتحجب عنه الجنة)**.[١]

- **في أرض تبوك**: نزل الجيش الإسلامي بتبوك وهو مستعد للقاء العدو متغلبين على قلة الزاد والمئونة بمحبتهم

---

(١) مسلم، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة ٥٦/١ برقم ٢٧، وصحيح ابن حبان ٤٦٥/١٤برقم ٦٥٣٠ .

لله وما أعده لهم من عظيم عطائه وهو الكريم، ثم أليس بصحبة النبي ﷺ ما ينسي الجوع والعطش والبعد عن الأهل؟ أليست محبته زاد العاشقين .

أما الرومان ومن تحالف معهم فقد أخذهم الرعب فلم يجترئوا على التقدم، فتفرقوا داخل بلادهم، فكان لذلك أحسن الأثر في سمعة المسلمين العسكرية داخل الجزيرة وخارجها، وبما يفوق ما كانوا سيحصلون عليه لو التقى الجيشان .

ومكث رسول الله ﷺ بتبوك عشرين يوما يرهب العدو ويستقبل الوفود، بعد أن أيقنت القبائل التي تعمل لصالح الرومان أن اعتمادهم على سادتهم القدماء قد فات أوانه، فانقلبوا لصالح المسلمين .

فعقد حكام المدن في أطراف الشام معاهدات صلح مع النبي ﷺ وآثروا دفع الجزية، فقد أرسل ملك أيله هدايا للنبي ﷺ وصالحه على الجزية، وكذلك فعل أكيدر ملك دومة الجندل وكتب رسول الله ﷺ معاهدات لكل من أهل جرباء

وأذرح وأهل مقنا يؤدون بموجبها الجزية كل عام ويخضعون لسلطان المسلمين .

وقد قادت هذه المعاهدات إلى تأمين الحدود الشمالية للدولة الإسلامية وإنهاء السيطرة الرومانية على هذه المناطق وتحرير قبائلها من ذل الخضوع والتبعية لسلطان الروم...

وأدت سياسة النبي هذه ﷺ إلى إيجاد فاصل بين المسلمين وبين الروم بأمارات تدين للرسول بالطاعة وتخضع لحكم المسلمين أصبحت فيما بعد نقاط ارتكاز سهلت مهمة الجيوش الإسلامية في الفتوحات ونشر الإسلام، وعاد رسول الله ﷺ ومن معه إلى المدينة يحفهم نصر الله وحفظه، واستغرقت هذه الغزوة خمسين يوما .

وكان لهذه الغزوة أثرها في نفوس أهل جزيرة العرب فأحسوا بقوة الإسلام وهيمنته على أرجاء الجزيرة، وارتفعت معنويات المسلمين، وانتهت مع انهيار النفوذ الروماني آمال المنافقين وأهل الكفر وقد أمر الله بالتشديد عليهم فنهى عن

قبول صدقاتهم أو الصلاة عليهم أو الاستغفار لهم، وأمر بهدم وكر تآمرهم الذي سموه مسجدا.

- **هدم مسجد ضرار**: بنى المنافقون مسجدا بقباء ضرارا وتفريقا بين المسلمين ووكرا لمن حارب الله ورسوله وطلبوا من رسول الله ﷺ أن يصلي لهم فيه عند خروجه للغزوة فأرجأهم لحين عودته، فلما أرجعه الله من تبوك وكان بينه والمدينة يوم أو بعض يوم نزل جبريل الأمين يخبر النبي ﷺ بأمر المسجد فبعث رسول ﷺ الله من يهدمه ويحرقه.

- **نظرة على الغزوات:**

غزوات النبي ﷺ وسراياه وبعوثه إذا حللت وفهمت وفق قوانين الحروب وخلفياتها وآثارها تقود بشكل واضح لكون النبي ﷺ أعظم قائد عسكري عرفته الدنيا وأكثر القادة سدادا وأعمقهم فراسة وفطنة وتيقظا، فلم يقم بأي غزوة إلا أن تكون أصوب وأنجح تصرف في وقتها وبما تقتضيه الحكمة

والحـزم والشـجاعة وتعبـر عـن فهـم دقيـق ورؤيـة صـحيحة لمسار الأحداث واختيار لأمثل الحلول .

- وفـي القتـال كـان أسـلوبه الأمثـل مـن حيث التعبئـة والتعيين على المراكز الإستراتيجية، وإتباع أسلوب السرية في التحـرك والمباغتـة فـي القتـال، واحـتلال أفضـل المواقـع وأصـوبها، واختيـار أفضـل خطـة لإدارة القتـال، فكـان أسـلوبه متميـز بقيـادة وفـق أسـلوب فريـد غيـر مـا عرفتـه الـدنيا فـي القـادة، أمـا فـي حنـين وأحـد، فضـعف أفـراد مـن الجـيش، أو معصـية بعـض أفـراده وعـدم التـزامهم بـالأوامر وبالتعليمـات قادت إلى ما حصل حينها .

وقد تجلت عبقريتـه ﷺ فـي هـاتين الغزوتين عند هزيمـة المسـلمين، فثباتـه، والحكمـة الفـذة بعـدم تمكـين العـدو مـن تحقيـق أهدافـه، فـي أحـد، وتغييـر مجـرى الأحـداث وقلـب الهزيمة إلى نصر في حنين، رغم ما تتركه تلك الهزيمـة من أثر ساحق على أعصاب القادة، تنمان عن عبقرية منقطعة النظير.

- هذا من حيث الإدارة والقيادة العسكرية، أما من حيث النتائج فقد استطاع بهذه الغزوات فرض الأمن وبسط السلام وإطفاء الفتنة وكسر شوكة الوثنيين وجرهم إلى المصالحة والسلام وتبليغ الرسالة إلى الناس.

- ومن حيث الأسباب فكانت الغزوات لدفع خطر المشركين الذين أرادوا القضاء على دولة الإسلام، أو لتأديب أهل الغدر المحرضين على قتال المسلمين وناقضي العهود، أو لقتال أهل الباطل الذين يحولون بين النبي ﷺ وتبليغ الرسالة، فكان الأصل والمراد هو تبليغ رسالة الله إلى عباده وبعدها فمن شاء منهم أن يؤمن ومن شاء فليكفر، فقتال النبي ﷺ لتبليغ الدعوة لكنه لم يجبر أحد على الدخول في الإسلام .

- ومن ثمار هذه الغزوات أنها خلقت نخبة من القادة تتلمذت في مدرسة النبي ﷺ حملوا رسالة الإسلام إلى كل الدنيا وتفوقوا بإدارة العمليات القتالية والتخطيط للحروب ضد جيوش الروم والفرس وسواهم ممن منعهم من إيصال الرسالة

إلى الناس وتبليغ الهدي الرباني إلى الخلق رغم أسلوب تلك الجيوش المتميز وتفوقها بالعدد والعدة وعمق خبرتها العسكرية.

– وغيّر ﷺ غاية القتال السائدة قديما من قتل وتخريب وهتك حرمات وثارات واستيلاء على الأموال ونشر الفساد، إلى جهاد لتخليص المستضعفين والدفاع عن حقوقهم وتطهير الأرض من الغدر والخيانة، كان نقلا للقتال من أسباب دنيوية تقوم على الطمع والغدر إلى قتال من أجل أسباب إلهية لتطبيق الخير والعدل والمساواة، لذلك وضع قواعد شريفة للقتال لا يسمح بالخروج عليها، فيبتدئ الجيش بدعوة الأعداء إلى الإسلام وترغيبهم بما عند الله، ثم لا غلو ولا غدر ولا تمثيل ولا قتل لوليد أو شيخ أو امرأة أو إهلاك للحرث أو النسل ولا قتل مدبر أو أسير، فالأساس في الإسلام بناء مجتمع بأخلاق فاضلة ومثل ومبادئ خير ورحمة ومعالي الأخلاق يتحلى بها المسلمون في السلم

والقتال وفي كل الظروف، الأساس خلق إنسان يؤمن بالله ويصنع للناس خيرا).[1]

- **قدوم الوفود للبيعة:** بعد انتهاء الصراع بين النبيﷺ وقريش وبعد فتح مكة، بدأت قبائل العرب تتوافد على رسول الله ﷺ مبايعة ومعلنة دخولها في الإسلام طائعة لله فكان جيش المسلمين في تبوك ثلاثين ألف مقاتل وبعد عام واحد من فتح مكة .

وقد تكاثرت الوفود بعد غزوة تبوك .

فامتدت الدولة الإسلامية من ساحل البحر الأحمر إلى ساحل الخليج العربي، ومن مناطق جنوب الأردن ومشارف الشام إلى سواحل اليمن وعمان .

وراح النبي ﷺ يدير شؤون البلاد فيرسل الدعاة وينصّب الولاة ويوفر ما تحتاجه البلاد من التنظيم .

وقد بلغت الوفود المبايعة ما يقرب من سبعين وفدا يمثل قبائل العرب...وكان دخولا للناس أفواجا في دين الله.

---

(١) أنظر الرحيق المختوم، ص٤٢٥ – ٤٢٧ .

- من أحداث العام التاسع:

وفاة النجاشي أصحمة وقد صلى عليه رسول الله ﷺ صلاة الغائب .

وفاة أم كلثوم رضي الله عنها بنت رسول الله زوجة عثمان بن عفان.

وفاة رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول .

السنة العاشرة للهجرة:

عندما نزل التكليف من الله ﷻ لنبيه ﷺ بالقيام بأعباء الدعوة إلى الله **(قم الليل إلا قليلا)** و**(قم فأنذر)** فقام، وظل قائما أكثر من عشرين عاما يحمل على عاتقه عبء الأمانة الكبرى، عبء البشرية كلها وعبء العقيدة كلها وعبء الكفاح والجهاد في ميادين شتى .

- حمل أعباء الكفاح في ميدان الضمير البشري الغارق في أوهام الجاهلية وتصوراتها، والمكبل بالشهوات وأغلالها، حتى خلص هذا الضمير في بعض صحابته فعاشوا في دنيا النور والقرب من الله متقلبين في رحمته .

- عمد إلى معارك متلاحقة في ميدان جديد مع أعداء الدعوة إلى الله المتألبين عليها وعلى المؤمنين، مع الساعين إلى قتل هذه الغرسة الزكية وعلى هدم هذا النموذج العظيم من البناء في صور الصحابة .

- ولم يكد يفرغ من معارك الجزيرة مع أهل الشر وحماية النموذج المبارك للإنسان والمجتمع الجديد، كان الرومان يتهيئون للبطش بالدولة الجديدة من تخومها الشمالية.

- وفي أثناء ذلك لم تكن المعركة الأولى، معركة محاربة الشر ونوازعه داخل النفس البشرية قد انتهت فظل يقاتل لتطهير النفوس وتصفيتها والارتقاء بها إلى دنيا الرضوان والقبول فكان مدرسة دائمة العمل لتخريج أهل الصلاح والإيمان. كان همه أن يبني الإنسان المؤمن الإنسان العابد الذي لا تثقله الشهوات.

- وحين كان ﷺ يقاتل في كل هذه الميادين كان يعاني شظف من العيش والدنيا مقبلة عليه، وهو يجهد ويكابد

والمسلمون يستروحون من حوله ظلال الأمن والراحة ،كان في نصب وتعب دائم، وفي صبر جميل على هذا كله وفي قيام لليل وعبادة لربه مستمرة، وترتيل للقرآن، وتبتل إليه كما أمره أن يفعل .

– وكان طوال أكثر من عشرين عاما وهو مضطلع بأعباء الجهاد، ما كان يلهيه شأن عن شأن، حتى نجحت الدعوة في كل الميادين وبما يحير العقول. فقد دانت الجزيرة بالإسلام وزالت الجاهلية وكسرت الأصنام، وتردد صوت الآذان للصلوات عبر فضاء الصحراء، وتوجه القرّآء بكل اتجاه يتلون آيات الكتاب ويعلمون الناس أحكامه.

وتوحدت الشعوب والقبائل المتناثرة وخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحورب الظلم وصار الكل إخوان متحابون، متمثلون بأحكامه ينشر الله فوقهم رايات المحبة وقد أذهب عنهم قيم الجاهلية فلا فضل لأحد إلا بالتقوى. وتحول قتال الأمس والسبي والثارات إلى محبة وتنافس للوصول إلى الله والفوز برضاه .

- وتحولت الجزيرة إلى نهضة مباركة ومنار للحضارة يشع على العالم ليخلص روح البشر من الوهم والخرافة والعبودية والرق والفساد والتحلل، ومن فوارق الطبقات واستبداد الحكام وأهل النفوذ والسلطة وقهر الإنسان واستعباده، فبشرت ببناء العالم على أسس من العفة والايجابية والبناء والحرية والثقة والإيمان والعدالة والكرامة وترقية الحياة.(١)

لقد نجح رسول الله ﷺ الذي توّج الله هامته بسيادة الأولين والآخرين في كل تلك الميادين ونجح فوق ما يتمنى أي من العظماء لنفسه من النجاح، فلا يمكن أن يتصور أحد ما عانى وما صنع رسول الله ﷺ وما ارتقت إليه البشرية من خير ورقي حين كان يقاتل ليبني، فجزاه الله عنا فوق ما نريد، وكما يريد، وكما يليق بكرم الله .

- **حجة الوداع:** بعد أن نشر الله دينه الحنيف وبما بلغ به النبي واستقرت دعائم الدولة الإسلامية كان النبي يحس

---

(١) أنظر الرحيق المختوم، ص٤٣٩ ، ٤٤٠ .

إن مقامه في الدنيا لن يطول، وذاك ما نحسه من قوله لمعاذ بن جبل وهو يغادر إلى اليمن **(يا معاذ، انك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي وقبري).** [١]

عزم رسول الله ﷺ على الحج، وأعلم الناس انه حاج، فتجهزوا، وذلك في شهر ذي القعدة سنة عشر للخروج معه، وسمع بذلك من حول المدينة، فقدموا يريدون الحج معه ووافاه في الطريق خلائق لا يحصون، فكانوا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، مد البصر، (وخرج من المدينة نهارا بعد الظهر لخمس بقين من ذي القعدة، وخطبهم خطبة علمهم فيها الإحرام وواجباته وسننه ثم سار وهو يلبي). [٢]

وقد جمع ﷺ بين الحج والعمرة. وكان هذا إباحة للعمرة في أيام الحج .

---

(١) صحيح ابن حبان ٢/٤١٤ برقم ٦٤٧، وموارد الظمآن ١/٦٢٠ برقم ٢٥٠٤ .

(٢) السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، ص ٨٧٠ .

أدى النبي ﷺ مناسك الحج وعلم المسلمين المناسك، و في منى يوم النحر خطب رسول الله ﷺ خطبة بليغة أعلمهم بحرمة يوم النحر وفضله عند الله، وحرمة مكة، وأمر بالسمع والطاعة لمن قادهم بكتاب الله وسنة نبيه وأمرهم ألا يرجعوا بعده كفارا يتقاتلون، ومما جاء في الخطبة عن أبي بكرة: **(إن الزمان استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادي وشعبان، أي شهر هذا؟)** قلنا الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: **(أليس ذا الحجة)** قلنا بلى، قال: **(أي بلد هذا)** قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال: **(أليست البلدة ؟)** قلنا بلى، قال: **(فأي يوم هذا؟)** قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى قلنا سيسميه بغير اسمه قال: **(أليس يوم النحر)** قلنا بلى، قال: **(فان دماءكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم،**

ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض، فليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه، ألا هل بلغت، ألا هل بلغت). (١)

ولما قضى مناسكه عاد إلى المدينة ليتم رحلة الجهاد والبناء ونشر دين الله.

السنة الحادية عشرة للهجرة:

- **بعث أسامة بن زيد:** وهي آخر بعثة للنبي ﷺ فقد أمعن الرومان بظلمهم ومحاولة ضرب الإسلام فجاءت الأخبار تحمل قتلهم لكل من أسلم في الأراضي التي يحتلوها، ولكي لا تشعر القبائل الضاربين على الحدود مع الرومان بأنها تحت رحمة الروم ومن أجل إعادة الثقة لهذه القبائل بالإسلام ومن أجل تأديب الروم جهز رسول الله جيشا كبيرا في صفر وامّر عليه أسامة بن زيد، ضم

---

(١) البخاري، باب حجة الوداع ٤/١٥٩٩ برقم ٤١٤٤، ومسلم باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ٣/١٣٠٥ برقم١٦٧٩.

المهاجرين الأولين وأمرهم بالتوجه إلى الشام وأن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين .

وانتظم الناس في الجيش، حتى خرجوا ونزلوا على بعد فرسخ من المدينة إلا أن الأخبار حول مرض رسول الله أجبرتهم على التريث والانتظار.

- **طلائع الفراق:** استشعر النبي الكريم قرب انتقاله إلى قرب ربه وبان ذلك من بعض تصرفات استلمتها قلوب بعض الصحابة الذين فهموا التلويح والتلميح والإشارة في بعض الآيات والأحاديث والأحداث .

ففي حجة الوداع قال ﷺ: **(خذوا عني مناسككم لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا)**. (١)

ويوم عرفة قال ﷺ: **(أيها الناس إني والله لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد يومي هذا بمكاني هذا)**. (٢)

---

(١) السنن الكبرى ٢/٤٢٥ برقم ٤٠١٦ .

(٢) سنن الدارمي ١/٨٦ برقم ٢٢٧.

وحين ودع ﷺ معاذ بن جبل في ذهابه إلى اليمن قال:ﷺ **(يا معاذ انك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي وقبري) فبكى معاذ .**(١)

كما إن نزول **(إذا جاء نصر الله والفتح ...)** أواسط أيام التشريق فعرف رسول الله ﷺ انه الوداع. (٢)

وكذلك فهم الصحابة إن هذا نعي النبي .

وفي أوائل صفر خرج النبي ﷺ إلى أحد فصلى على الشهداء كالمودع للأحياء والأموات ثم انصرف إلى المنبر فقال: **(إني فرطكم على الحوض وان عرضه كما بين آيلة وجحفة، إني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها وتقتتلوا فتهلكوا كما**

---

(١) صحيح ابن حبان ٤١٤/٢ برقم ٦٤٧، وموارد الظمآن ٦٢٠/١ برقم ٢٥٠٤ .

(٢) البداية والنهاية ٦/٨ .

هلك من كان قبلكم) يقول عقبة بن عامر- راوي الحديث - فكانت آخر ما رأيت رسول الله ﷺ على المنبر.[1]

وفي رواية البخاري قال: **(إني فرطكم، واني شهيد عليكم، واني والله لأنظر إلى حوضي الآن، واني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض واني ما أخاف أن تشركوا بعدي ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها).** [2]

وخرج ليلة إلى البقيع فاستغفر لهم وقال: **(السلام عليكم يا أهل البقيع، ليهن لكم ما أصبحتم فيه، لو تعلمون ما نجاكم الله منه أقبلت فتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها)**[3].

وخطب بأصحابه فقال: **(عبد خيّره الله أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده)** فبكى أبو بكر وبكى

---

(١) مسلم، باب إثبات حوض رآه ﷺ وصفاته ١٧٩٦/٤ برقم ٢٢٩٦.

(٢) البخاري، باب أحد جبل يحبنا ونحبه ١٤٩٨/٤ برقم ٣٨٥٧ .

(٣) المستدرك على الصحيحين ٥٧/٣ برقم ٤٣٨٣، ومجمع الزوائد، باب تخييره ﷺ بين الدنيا والآخرة ٢٤/٩ .

فقال فديناك بآبائنا وأمهاتنا، فكان رسول الله هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا به، وقال رسول الله ﷺ: **(إن آمن الناس عليّ في ماله وصحبته أبو بكر ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبو بكر خليلا ولكن اخوّة الإسلام،لا يبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر).** [(١)]

وعن أم المؤمنين عائشة قالت دعا النبي ﷺ فاطمة عليها السلام في شكواه الذي قبض فيه فسارها بشيء فبكت ثم سارها بشيء فضحكت فسألناها عن ذلك فقالت سارني النبي ﷺ أن يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت ثم سارني فأخبرني أني أول أهل بيته يتبعه فضحكت.[(٢)]

- **بداية المرض:** في اليوم التاسع والعشرين من شهر صفر سنة (١١) للهجرة – وكان يوم الاثنين – شهد رسول الله ﷺ جنازة في البقيع فلما رجع – وهو في الطريق– أخذه صداع في رأسه واتقدت الحرارة حتى إنهم كانوا يجدون

---

(١) مسلم، كتاب فضائل الصحابة ١٨٥٤/٤ برقم ٢٣٨ .

(٢) البخاري، باب مرض النبي ووفاته ﷺ ١٦١٢/٤ برقم ٤١٧٠ .

سورتها فوق العصابة التي تعصب بها رأسه. وقد صلى النبيﷺ بالناس وهو مريض (١١) يوما، وجميع أيام مرضه كانت (١٣) أو (١٤) يوما .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك فقلت يا رسول الله انك لتوعك وعكا شديدا، قال: **(أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم) قلت ذلك بأن لك أجرين قال: (أجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيب أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها).** (١)

وثقل رسول الله ﷺ المرض فجعل يسأل أزواجه **(أين أنا غدا؟ أين أنا غدا؟)** ففهمن مراده، فأذن له يكون حيث شاء، فانتقل إلى عائشة يمشي بين الفضل بن عباس وعلي بن أبي طالب، عاصبا رأسه تخط قدماه حتى دخل بيتها فقضى عندها آخر أسبوع من حياته .

---

(١) البخاري، باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأول فالأول ٢١٣٩/٥ برقم ٥٣٢٤ .

- **الأيام الأخيرة:** ويوم الأربعاء قبل الوفاة بأيام، اتقدت الحرارة في بدنه واشتد به الوجع تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها اشتد وجعه ﷺ فقال: **(أهريقوا علي من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن - جمع وكاء ما يشد به رأس القربة- لعلي أعهد إلى الناس)**، فأقعدناه في مخضب -ما يغسل به الثياب- لحفصة زوج النبي، ثم طفقنا نصب عليه حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتن ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم .[1]

- **آخر الوصايا:** وجاء في خطبته ﷺ: **(لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)**[2]

و**(لا تجعلن قبري وثنا لعن الله قوما اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد)**.[3]

---

(١) البخاري، باب مرض النبي ﷺ ووفاته ٤/١٦١٤ برقم ٤١٧٨ .

(٢) المصدر السابق ٤/١٦١٤ برقم ٤١٧٧ .

(٣) مجمع الزوائد ٤/٢، ومسند أبي يعلى ١٢/٣٣ برقم ٦٦٨١ .

ثم عرض نفسه للقصاص فقال: **(من كنت جلدت له ظهرا فهذا فليستقد منه، ومن شتمت له عرضا فهذا عرضي فليستقد منه، ومن كنت أخذت منه مالا فهذا مالي).** [1]

ثم أوصى بالأنصار خيرا

وفي الخميس قبل وفاته ﷺ بأربعة أيام وكان يغمى عليه عدة مرات، ومع ذلك أحب أن يفارق الدنيا وهو مطمئن على أمته أن لا تضل من بعده فأراد أن يكتب لهم كتابا مفصلا ليجتمعوا عليه ولا يتنازعوا، فلما اختلفواعنده عدل عن كتابة ذلك الكتاب وأوصاهم بأمور ثلاثة ذكر الراوي منها اثنين: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفود بنحو ما كنت أجيزهم به.[2]

---

(١) المعجم الأوسط ٣/١٠٤ برقم ٢٦٢٩ .

(٢) البخاري، باب جوائز الوفد ٣/١١١١ برقم ٢٨٨٨، ومسلم ٣/١٢٥٨ برقم ١٦٣٧ .

(ورغم شدة المرض كان ﷺ يصلي بالمسلمين حتى إذا كان يوم الخميس– قبل الوفاة بأربعة أيام – صلى بالناس المغرب فقرأ فيها بالمرسلات عرفا، وعند العشاء زاد ثقل مرضه بحيث لم يستطع الخروج إلى المسجد، قالت عائشة فقال النبي ﷺ **(أصلى الناس)** قلنا لا يا رسول الله، وهم ينتظرونك، قال: **(ضعوا لي ماء في المخضب)** ففعلنا فاغتسل، فذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: **(أصلى الناس)** ووقع ثانيا وثالثا ما وقع المرة الأولى من الاغتسال ثم الإغماء حينما أراد أن ينوء فأرسل إلى أبي بكر أن يصلي بالناس، فصلى أبو بكر تلك الأيام (١٧) صلاة).(١)

ومثل هذا ورد في حديث أم المؤمنين عائشة أن رسول الله ﷺ قال: **(مروا أبا بكر أن يصلي بالناس).** (٢)

---

(١) الرحيق المختوم، ص ٤٤٩ .

(٢) مسلم، باب استخلاف الإمام ٣١٣/١ برقم ٤١٨، والبخاري ٢٣٦/١ برقم ٦٣٣ .

وقد أوصى بحسن الظن بالله فقد روى جابر انه سمع النبي ﷺ قبل وفاته بثلاث يقول: **(لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن بالله الظن).** (١)

ويوم السبت أو الأحد وجد رسول الله ﷺ في نفسه خفة فخرج بين رجلين لصلاة الظهر، وأبو بكر يصلي بالناس فأجلساه إلى يساره فكان أبو بكر يقتدي بصلاة رسول الله ﷺ والناس يقتدون بتكبير أبي بكر.

ويوم الأحد أعتق النبي ﷺ غلمانه وتصدق بسبعة دنانير كانت عنده ووهب سلاحه للمسلمين، وجاء الليل فأرسلت عائشة رضي الله عنها بمصباحها إلى امرأة وقالت: أقطري لنا في مصباحنا من عكتك السمن، وكانت درع النبيﷺ مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من الشعير .

---

(١) مسلم، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى ٢٢٠٥/٤ برقم ٢٨٧٧، وصحيح ابن حبان ٤٠٤/٢ برقم ٦٣٨ .

- **آخـر يـوم:** روى أنـس ﷺ أن المسـلمين بينـا هم فـي صـلاة الفجـر يـوم الاثنـين وأبـو بكـر يصـلي بهـم ففاجـأهم النبـيﷺ كشـف سـتر حجـرة عائشـة فنظـر إلـيهم وهـم فـي صـفوف الصـلاة، ثـم تبسـم، فـنكص أبـو بكـر علـى عقبيـه، ليصــل الصــف، وظــن أن رســول الله ﷺ يريــد أن يخــرج للصلاة، وهمّ المسلمون أن يفتتنوا في صـلاتهم فرحـا برسـول الله ﷺ، فأشـار إلـيهم بيـده ﷺ أن أتمـوا صـلاتكم، ثـم دخـل الحجرة وأرخى الستر، وتوفي في ذلك اليوم . (١)

ثم لم يأت على رسول الله ﷺ صلاة أخرى .

ودعـا بفاطمــة رضــي الله عنهـا وودعهـا ثـم الحســن والحسين فقبلهما وأوصى بهما خيرا، ودعا أزواجـه فوعظهن وذكّرهن .

وطفق الألم يشتد ويزيد وقد ظهر أثر السم الذي أكلـه بخيبر حتى كان يقول ﷺ **(يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام**

---

(١) البخاري، باب من رجع القهقرى في الصلاة١/٤٠٣ برقم ١١٤٧.

الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم). [1]

وعن أم المؤمنين عائشة قولها: رأيت رسول الله ﷺ وهو يموت وعنده قدح فيه ماء يدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول: **(أللهم أعني على سكرات الموت).**[2]

وعن أنس رضي الله عنه آخر وصية الرسول ﷺ حين حضره الموت **(الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم)** وما زال يغرغر بها في صدره وما يفيض بها لسانه .

وتقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها شخص بصر النبي ﷺ ثم قال: **(في الرفيق الأعلى في الرفيق الأعلى في الرفيق الأعلى).** [3]

---

(١) الرحيق المختوم، ص٤٥٠ .

(٢) المستدرك، على الصحيحين ٣/٥٨ برقم ٤٣٨٦، والسنن الكبرى ٤/١٣٤١ برقم ٧١٠١ .

(٣) البخاري، ٣/١٣٤١ برقم ٣٤٦٧ .

وتسرب النبأ، وأظلمت على المدينة أرجاؤها وآفاقها قال أنس (ما رأيت يوما قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله ﷺ، وما رأيت يوما كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله ﷺ).(١)

وانقطع عن الأرض الوحي، وزال عن الدنيا نور أنار الجبال والصحارى والنفوس والقلوب، وغرب جمال يحمل كل أشكال السعادة لم تشهد له الدنيا مثيل، فأدمى القلوب، وسحق بفرقته الأرواح، ويا لقوة الصحابة كيف تحملوا ألم الفراق، كانوا عشاقا ولقد تفنن الفراق في تعذيبهم، يقول رسول الله ﷺ: **(إذا أصاب أحدكم مصيبة، فليذكر مصابه بي، فإنها من أعظم المصائب)**.(٢)

---

(١) الرحيق المختوم، ص٤٥١ .

(٢) سنن الدارمي، باب وفاة النبي ﷺ ١/٥٣ برقم ٨٤ .

وبعد أن بلّغ النبي الأمين ﷺ رسالة ربه وأرسى دعائم دولة لم يعرف التاريخ مثلها نشر بربوعها قيم الخير والمحبة والصلاح، وربّى رجالا تكاملت فيهم أخلاق الإسلام العظيمة.

انتقل يوم الاثنين١٢ من شهر ربيع الأول للسنة الحادية عشر للهجرة إلى جوار ربه خير الخلائق وأمام الأنبياء وسيد الرسل حبيب الله محمد بن عبد الله ﷺ.

جزاه الله عنا خير ما جزا نبياً عن أمته .

الملحق الاول

زوجات النبي أمهات المؤمنين ... وأبنائه

صلى الله عليه وسلم

١. أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها:

أول زوجات النبي ﷺ. تزوجها وعمره ٢٥ سنة توفيت سنة عشرة للنبوة ولم يتزوج ﷺ عليها في حياتها.

وأنجبت له:

القاسم، زينب، رقية، أم كلثوم، فاطمة، عبد الله .

توفيت رضي الله عنها بمكة في رمضان سنة عشر من النبوة ولها ٦٥ سنة .

٢. أم المؤمنين سوده بنت زمعه رضي الله عنها:

الكريمة المهاجرة .

تزوجها النبي ﷺ بعد وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها بنحو شهر سنة عشرة للنبوة .

توفيت رضي الله عنها بالمدينة في شوال ٥٤ للهجرة.

٣. أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها:

الصديقة بنت الصديق المبرأة من فوق سبع سماوات من حادثة الإفك .

تزوجها النبي ﷺ في شوال سنة إحدى عشرة من النبوة وهي بنت ستة سنين بسنة عشرة للنبوة ودخل بها بعد ثلاثة سنوات ... بعد الهجرة بسبعة أشهر .

وهي من أفقه نساء الأمة .

توفيت في رمضان سنة ٥٧ أو ٥٨ للهجرة ودفنت رضي الله عنها بالبقيع .

٤. أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنها:

تزوجها النبي ﷺ سنة ٣ للهجرة .

توفيت بالمدينة في شعبان سنة ٤٥ للهجرة ودفنت رضي الله عنها في البقيع.

٥. أم المؤمنين زينب بنت خزيمة الهلالية رضي الله عنها:

تزوجها النبي ﷺ سنة ٤ للهجرة .

وكانت تسمى في الجاهلية أم المساكين لإطعامها إياهم

توفيت في ربيع الآخر بعد زواجها به ﷺ بعدة أشهر سنة ٤ للهجرة ودفنت بالبقيع .

٦. أم المؤمنين أم سلمه هند بنت أمية رضي الله عنها:

تزوجها النبي ﷺ سنة ٤ للهجرة.

وتوفيت سنة٥٩ للهجرة ودفنت بالبقيع .

٧. أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها :

زوّجها الله سبحانه وتعالى بالنبي ﷺ من فوق سبع سماوات في ذي القعدة سنة ٥ للهجرة .

وكانت من اعبد النساء وأعظمهن صدقة

توفيت سنة ٢٠ للهجرة ودفنت في البقيع، وهي أول أمهات المؤمنين وفاة بعد وفاة النبي ﷺ وكان مسلم قد أورد برواية عائشة أم المؤمنين وأبن حبان والمستدرك على الصحيحين أن رسول ألله ﷺ قال لأزواجه ﴿**أسرعكن لحاقا بي أطولكن يدا**﴾ وقد تبين بعد وفاة أم المؤمنين زينب بنت جحش أن مراد النبي ﷺ بطول اليد كثرة الصدقة لأنها رضي الله عنها كانت تعمل بيدها وتتصدق .

٨. أم المـؤمنين جويريـة بنـت الحـارث سـيد بنـي المصطلق رضي الله عنها:

تزوجها النبي ﷺ في شعبان٥ للهجرة .

كانت أعظم النساء بركة على قومها لأن صداقها من زواجها بالنبي ﷺ كان عتق قومها الذين أسرهم المسلمون في غـزوة بنـي المصـطلق أو المريسـيع . إضـافة لتشـريفهم بمصاهرة النبي ﷺ.

توفيت سنة ٥٥ للهجرة .

٩. أم المؤمنين أم حبيبة رمله بنت أبي سفيان رضي الله عنها:

خطبها ﷺ وهي بالحبشة مهاجرة بعد أن ارتد زوجها وتوفي متنصرا وثبتت على إسلامها

وتزوجها ﷺفي ربيع الأول ٧ هجريه، بعد رجوعه من خيبر.

١٠. أم المؤمنين صفيه بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها :

بنت سيد بني النظير، نسبها يمتد إلى نبي الله إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام .

تزوجها النبي ﷺ سنة ٧ هجرية .

١١. أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها :

تزوجها النبي ﷺسنة ٧ هجريه في عمرة القضاء.

وهي آخر زوجاته ﷺ.

وأختلف في ريحانة بنت زيد أنها كانت من أزواجه أو سراريّه ﷺ.

وكانت له ﷺ سريّه واحدة هي ماريه القبطية أهداها له ألمقوقس وكانت من بنات الملوك وهي أم إبراهيم ولد النبيﷺ.

لم تحظ بشرف لقب أم المؤمنين، لكنها حظيت بشرف أمومتها لإبراهيم ولد النبي ﷺ، وشرف الزواج والصحبة

وقد مات ﷺ عن تسع من زوجاته وهن:

سوده بنت زمعة، عائشة بنت أبي بكر، حفصة بنت عمر بن الخطاب، أم حبيبة بنت أبي سفيان، زينب بنت جحش، أم سلمه هند بنت أمية، ميمونة بنت الحارث، جويرية بنت الحارث، صفية بنت حيي.

رضي الله عنهن .

أبناء النبي ﷺ

القاسم، زينب، رقية، أم كلثوم، فاطمة، عبد الله، إبراهيم

القاسم :

اكبر أبنائه وبه يكنى ... توفي وهو ابن سنتين .

زينب :

أكبر بناته ﷺ...ولدت بعد القاسم.

أدركت الإسلام وهاجرت وكانت أول بنات النبيﷺ زواجا، تزوجها أبو العاص بن الربيع بن خالتها هالة بنت خويلد وولدت له علي وإمامة.

توفيت بالمدينة سنة ثمان للهجرة .

رقية:

ولدت بعد زينب سنة ثلاث وثلاثين من عمر النبيﷺ.

خطبها عتبة بن أبي لهب وفارقها قبل أن يدخل بها ثم تزوجها عثمان بن عفان وولدت له في الحبشة عبد الله الذي توفي صغيراً

توفيت بالمدينة يوم بدر .

أم كلثوم :

خطبها عتيبة بن أبي لهب ﴿أخو عتبة الذي خطب أختها رقية﴾ ولم يدخل بها.

زوّجها النبي ﷺ إلى عثمان بن عفان بعد وفاة أختها رقية، ولم تلد له .

توفيت بالمدينة سنة تسع للهجرة .

فاطمة:

أصغر بناته ﷺ وهي سيدة نساء أهل الجنة .

تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه وولدت له حسن وحسين ومحسن (ألذي توفي صغيرا) وبنتين: زينب وأم كلثوم .

توفيت بعد النبي ﷺ بستة أشهر .

وهؤلاء الخمسة رضي الله عنهم ولدوا قبل أن يكرم الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بالنبوة والرسالة .

عبد الله :

آخر أبنائه ﷺ من خديجة رضي الله عنها، توفي وهو صغير .

إبراهيم :

ولد بالمدينة من سريته ماريه القبطية سنة تسع للهجرة.

توفي وهو بن ثمانية عشر شهرا .

الملحق الثاني

ألإعجاز العلمي والتاريخي

في حديث النبي

صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

كل ما في النبي ﷺ معجزة، أخلاقه، أفعاله، عبادته، أقواله...كلها مملوءة إعجازا يحار العقل في إدراك كمالها اللا متناهي... إنها شاهدة على اللطف الإلهي الذي خص الله سبحانه وتعالى به حبيبه .

وكلام سيد الخلائق ومصطفى الرحمن من خلقه معجزة في اللغة لا يعلوها إلا القرآن .

فصلى الله على نبيه الأمي الذي أعجزت علومه الأولين والآخرين، النبي الذي أوتي جوامع الكلم ولا ينطق عن الهوى علمّه شديد القوى.

النبي الذي فاضت أحاديثه إعجازا وجمالا فأدهشت العقول بعلمها وأخذت مجامع القلوب بلغتها .

فكل كلمة كل مفردة في حديث النبي ﷺ تم اختيارها بعناية ودقة عجيبة ورتبت بأسلوب بلاغي لم يبلغه أي مبدع أو أديب في زمن النبي ﷺ أو ما تبع .

وبعض الأحاديث الشريفة تناولت بمضامينها علوما طابقت اكتشافات اليوم، أو أخبارا ماثلت أحداثا ووقائع جاءت بعد عصر النبي ﷺ بقرون.

وفي هذا الموجز تشخيص ومحاولة لتأشير جزء عسى أن يتكاثر بجهود الخيرين من هذه الأحاديث .

الأعجاز التاريخي في الحديث الشريف

– عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه أنهم حين خرجوا لغزوة تبوك أن الرسول ﷺ صلى بهم المغرب والعشاء جمعاً ثم قال: ﴿**إنكم ستأتون غدا إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحي النهار فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئا حتى آتي**﴾ فجئناها وقد سبقنا إليها رجلان والعين مثل الشراك (سير النعال والمقصود ماء قليل جدا) تنبض (تسيل) بشيء من ماء فسألهم رسول الله ﷺ: ﴿هل

مسستما من مائها شيء﴾ قالا نعم وقال لهما ما شاء أن يقول، ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلا قليلا حتى اجتمع في شيء، وغسل رسول اللهﷺ فيه يده ووجهه ثم أعاده فيها فجرت العين بماء منهمر حتى استسقى الناس .

وقد قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل: ﴿**يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد مليء جنانا**﴾. (١)

كانت منطقة تبوك والوادي الذي تجري فيه العين حينها جرداء لا نبات فيها، وعندما تفجر الماء وتدفق، أخبر النبي الصادق ﷺ أن زيادة الماء وتدفقه غزيرا لن يكون لسد حاجة الجيش الإسلامي فقط بل سيستمر وستكون في هذه الأرض القاحلة بساتين وأشجارا وخضرة لاحقا .

وقد تحقق ما أخبر به الصادق الأمين بعد فترة، ولا زالت تبوك لليوم تمتاز بجنانها وبساتينها ونخيلها وتمورها

---

(١) مسلم، كتاب الفضائل، باب معجزات النبي ﷺ ٤/١٧٨٤ برقم ٧٠٦، وابن خزامه في صحيحه ٢/٨٢ برقم، وصحيح ابن حبان ١٤/٤٧٥ برقم ٦٥٣٧ .

تخبر بصدق النبي وصدق نبوته وانه ﷺ لا ينبئ بشيء إلا تحقق .

- في الطريق إلى غزوة تبوك تخلف عن رسول اللهﷺوجيش المسلمين من لم يشأ الله إن يلحقه بركب النور ..فقيل للنبي ﷺ قد تخلف أبو ذر وأبطأ به بعيره فقال: ﴿**دعوه فان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وان يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه**﴾ وتمهل بأبي ذر بعيره فلما أبطأ به أخذ متاعه فحمله على ظهره ثم خرج يتبع أثر الرسولﷺ ماشيا على قدميه .

ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازله فنظر ناظر المسلمين فقال يا رسول الله إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده فقال رسول الله ﷺ:

﴿ **كن أبا ذر**﴾ (وهذا لفظ بمعنى الدعاء .. أرجو أن تكون أبا ذر)

فلما تأمله القوم قالوا يا رسول الله هو والله أبو ذر فقال رسول الله ﴿ **رحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده**﴾ .

ومضى الزمان وجاء عصر عثمان ﷺوسيّر أبو ذر إلى الربذة فلما حضرته الوفاة أوصى امرأته وغلامه :

إذا مت فاغسلاني وكفناني ثم احملاني فضعاني على قارعة الطريق فأول ركب يمر فقولوا هذا أبو ذر .

فلما مات فعلوا به كذلك فطلع ركب به ابن مسعود في رهط من أهل الكوفة فقال ماهذا قيل جنازة أبي ذر فاستهل ابن مسعود يبكي، فقال صدق رسول الله ﷺ: ﴿يرحم ألله أبو ذر يمشي وحده ويموت وحده، ويبعث وحده﴾.[١]

وفي هذا دلالة على صدق النبوة فالإخبار بما سيقع معجزة وتكريم من الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ .

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٥٢/٣ برقم ٤٣٧٣، والسيرة النبوية ٢٠٢/٥، والبيان والتعريف ١١٣/٢.

- حين بعث رسول الله ﷺ بكتابه مع عبد الله بن حذافه السهمي ﷺ الى عظيم البحرين ليدفعه إلى كسرى، فلما قرأه مزقه وقال يكتب إلي هذا وهو عبدي.

فلما بلغ رسول الله ﷺ أنه مزق كتابه قال:

﴿ **مزق الله ملكه** ﴾ (١)

وحدث كما قال المصطفى ﷺ.

انهزم جيش الفرس أمام جيش الروم هزيمة منكرة، وانقلب عليه ابنه (قباذ) الملقب شيرويه فقتله سنة ٦٢٨م وهو ذليل وأخذ ملكه، واستمر التمزق فلم يعش شيرويه الا ستة أشهر، وتوالى على العرش عشرة ملوك في ستة أشهر، حتى استولى الجيش الإسلامي على بلاد فارس فاتحا، في

(١) تاريخ الطبري ١٣٣/٢، وأورد البخاري في كتاب المغازي باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى ١٦١٠/٤ برقم ٤١٦٢: فحسبت إن ابن المسيب قال فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق.

زمن الخليفة عمر رضي الله عنه عام ٦٣٧ م منهيا حكم الدولة الساسانية، بعد ثماني سنين من قول المصطفى ﷺ بذلك.[١]

- قال رسول الله ﷺ: ﴿ **إذا تطاول رعاء ألبهم في البنيان فذاك من أشراطها**﴾ [٢]

حين قيل هذا الحديث الشريف كان رعاة الإبل يجوبون الصحراء بحثاً عن الكلأ بيوتهم خيماً يسهل حملها، وما كانوا ليستوطنوا أرضاً أو يثبتون بمكان، وما كان لهم سكن مستقر.

واليوم ... مجتمعات الرعاء تبني ناطحات السحاب، والرعاء أنفسهم بنو عالي البيوت ... باتوا يتطاولون في البناء، فصلى عليك الله أيها الصادق المصدوق .

---

(١) السيرة النبوية، عرض وقائع و تحليل أحداث، ص٧١٩ عن السيرة النبوية للندوي .

(٢) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإحسان ٣٩/١ برقم ٩، وصحيح ابن حبان ٣٩١/١ برقم ١٦٨.

- عن البراء بن عازب الأنصاري ﵁ قال: لما كنا حيث أمرنا رسول الله ﷺ أن نحفر الخندق عرض لنا في بعض الجبل صخرة عظيمة شديدة لا تدخل فيها المعاول فاشتكينا ذلك إلى رسول الله ﷺ فجاء رسول الله ﷺ فلما رآها أخذ المعول وألقى ثوبه وقال: بسم الله، ثم ضرب حصول فكسر ثلثها وقال:﴿**الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام إني لأبصر قصورها الحمر الساعة**﴾

ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر فقال:

﴿ الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض﴾

ثم ضرب الثالثة فقال بسم الله فقطع بقية الحجر وقال:

﴿ الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله إني لأبصر أبواب صنعاء﴾.(١)

---

(١) مصنف بن أبي شيبة، باب غزوة الخندق ٣٧٨/٧ برقم ٣٦٨٢٠، ومسند أحمد ٣٠٣/٤، ومسند أبي يعلى ٢٤٤/٣ برقم ١٦٨٥ .

هذا حديث المصطفى ﷺ وهو والمدينة والمسلمون محاصرون والإسلام والدعوة في خطر شديد وكل الأسباب والمعطيات تقود إلى أن الإسلام والمسلمون إلى زوال، أو يكادون، وبلغت قلوب الكثير من المسلمين الحناجر خوفاً .

في هذا الجو المملوء خوفاً والذي يفيض رعباً يبشر الصادق الأمين بأن الله العزيز الجليل سبحانه وتعالى سيفتح له الشام وفارس واليمن .

ويتحقق ما أنبأ به المصطفى ﷺ الذي لا يقول إلا صدقاً وان كانت الأحداث تلوح باستحالة ذلك أو صعوبة حدوثه، فصلى الله عليك يا سيد الأولين والآخرين .

- بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد بجمع من فرسان المسلمين من تبوك، والنبي ﷺ بها في آخر غزوة غزاها، وقال لخالد انك ستجد أكيدر ملك دومة الجندل يصيد البقر.

فمضى خالد حتى إذا كان من حصنه بمبصر العين في ليلة مقمرة أقام منتظراً هو وفرسانه بين الأشجار، فجاءت بقر الوحش حتى حكت قرونها بباب القصر، فخرج أكيدر

في جماعة من خاصته يطلبونها، فتلقتهم جند رسول الله ﷺ، فأخذوا أكيدر وأتوا به إلى الرسول ﷺ فحقن دمه وصالحه على الجزية. (١)

ودومة الجندل أسم محل وهي كما جاء في السيرة النبوية لأبن هشام موضع معروف بمشارق الشام بينها وبين دمشق خمس ليال ويبعد عن المدينة خمس عشرة ليلة. وأكيدر هو أكيدر بن عبد الملك الكندي .

وقد قال في ذلك بجير بن بجرة وهو رجل من طيء يذكر قول رسول الله ﷺ لخالد انك ستجده يصيد البقر (وذلك مستحيل في وقت الحرب)، وما صنعت البقر تلك الليلة حتى أخرجته لتصديق قول النبي ﷺ:

تبارك سائق البقرات إني رأيت الله يهدي كل هاد
فمن يك حائداً من ذي تبوك فانا قد أمرنا بالجهاد

---

(١) سبل السلام ٦٦/٤، ودلائل النبوة للاصبهاني ١٤٤/١ برقم ١٥٧.

فتبارك الذي أرسل الأبقار تخرج أكيدر المتحصن بقلاعه وقصره وقت الحرب، تخرجه ليصيده المسلمون تصديقاً لما قاله النبي ﷺ .

- ذكرت قريش للنبي ﷺ خوفها من انقطاع معاشها بالتجارة مع الشام والعراق إذا فارقت الكفر ودخلت في الإسلام خلاف ملك الشام والعراق.[1]

قال أبو هريرة إن النبي ﷺ قال:

﴿ هلك كسرى ثم لا يكون كسرى بعده، وقيصر ليهلكن ثم لا يكون قيصر بعده، ولتقسمن كنوزهما في سبيل الله﴾[2]

وهلك كسرى فلم يكن بأرض العراق كسرى يثبت له أمر بعده، وهلك قيصر فلم يكن بأرض الشام قيصر بعده

---

(١) سنن البيهقي الكبرى – باب إظهار دين النبي محمد ﷺ ١٨١/٩.

(٢) البخاري كتاب الجهاد والسيرة باب الحرب خدعة ١١٠٢/٣ برقم ٢٨٦٤، ومسلم باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ٢٢٣٧/٤ برقم ٢٩١٨، وصحيح ابن خزيمه ٤٦/٣ برقم ١٥٩٧.

وقطع الله الأكاسرة عن العراق وفارس، وقيصر ومن قام بالأمر بعده عن الشام .

– عن عدي بن حاتم أن النبي ﷺ قال :

﴿ **يا عدي هل رأيت الحيرة** ﴾ قلت لم أرها وقد أنبئت عنها قال: ﴿**فان طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله** ﴾ قلت: فيما بيني ونفسي فأين دعار طيء الذين قد سعروا البلاد ﴿**ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى**﴾ قلت كسرى بن هرمز، قال:﴿ **كسرى بن هرم**﴾. (١)

كانت جزيرة العرب تعج بالدعار وبقطاع الطرق حينها وكانت عصابات السطو والسرقة تجعل السفر بلا حرس وسلاح ورفقة، مستحيلة فلم يكن ثمة نظام ولا أمان، فالفوضى والقتل والسرقة منتشرة في كل أنحاء الجزيرة وطرقها .

---

(١) البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ١٣١٦/٣ برقم ٣٤٠٠ .

والنبي ﷺ أنبأ عدي في حديثه بان هذا القتل السائد والسرقة المنتشرة سينقلب أمناً، وان أهل الجزيرة المنقسمون طوائف وقبائل متناحرة، المستضعفون الذين لم يجتمعوا على كلمة أو رأي، سيغزون فارس إحدى القوتين العظيمتين في العالم والتي تمتد سيطرتها على بقاع شاسعة من العالم، وسيدخلونها فاتحين غانمين.

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه غداة بدر حين اقبل جيش المشركين إن رسول الله ﷺ قال: هذا**﴿ مصرع فلان﴾** ويضع يده على الأرض ﴿**هاهنا وهاهنا**﴾

قال فما ماط احدهم عن موضع يد رسول الله. [1]

وتحدث الأخبار أن ما تجاوز أحدهم مكان مصرعه الذي حدده النبي ﷺ، وما نجا احد قال النبي ﷺ انه سيصرع.

---

(١) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر ٣/١٤٠٤ برقم، ١٧٧٩، وصحيح ابن حبان ١١/٢٥ برقم ٤٧٢٢ .

- عن أبا بكرة ﷺ انه قال: اخرج النبي ﷺ ذات يوم الحسن فصعد به على المنبر فقال:

﴿ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين﴾.(١)

وبعد ما يقرب من أربعين عاماً وبعد أن جيّش معاوية جيشا كبيرا لقتال جيش الخليفة الإمام الحسن بن علي ﷺ وقبل أن يلتقي الجيشان بادر الإمام الحسن ﷺ وبما عرف عنه من زهد في الدنيا وزخرفها، وإيثارا لما عند الله سبحانه وتعالى على الملك والسلطة، وحقناً لدماء المسلمين، بادر إلى عقد صلح مع معاوية تنازل فيه عن الملك، وأصلح الله سبحانه وتعالى به بين فئتين من المسلمين.

- عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺقال:

﴿ليأتين على الناس زمان لا يبقى فيه أحد إلا أكل الربا فان لم يأكله أصابه من غباره﴾. (١)

---

(١) البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة ١٣٢٨/٣ برقم ٣٤٣٠، والأحاديث المختارة ٢٢٢/٥ برقم ١٨٥١ .

وهذا ما تحقق اليوم بعد انتشار المعاملات المالية الربوية وبعد شيوع البنوك والمصارف الربوية في اغلب البلدان الإسلامية، إضافة إلى تعامل الكثير من الدول رسمياً بالربا.

- من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿**تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله** ﴾.(٢)

---

(١) المستدرك على الصحيحين في البيوع ٢/١٣ برقم ٢١٦٢، وسنن البيهقي الكبرى في البيوع، باب ما جاء من التشديد في تحريم الربا ٥/٢٧٥ برقم ١٠٢٥٢، ومسند أحمد ٢/٤٩٤ برقم ١٠٤١٥.

(٢) مسلم، كتاب الفتن واشراط الساعة، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال ٤/٢٢٢٥ برقم ٢٩٠٠، وسنن ابن ماجه في الفتن باب الملاحم ٢/١٣٧٠ برقم ٤٠٩١ .

وتحقق بفضل الله ما كان شبه مستحيل، فحتى أكثر المسلمين تفاؤلاً ما كان ليحلم بأن يمتد سلطان القبائل العربية المتناثرة والمتناحرة رعاء ألبهم، ليشمل دولة فارس وارض الروم أقطاب الأرض بسلطانهم الواسع وجيوشهم المنظمة والمدججة بأنواع السلاح، والذين كانت اغلب قبائل العرب تبعاً لهم وتسعى لإرضائهم .

لكن المصطفى ﷺ قالها فصدقتها القلوب وآمنت بها العقول فهو الصادق الذي لا ينطق عن الهوى .

– عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أمّر في غزوة مؤتة زيد بن حارثة على الجيش وعقد له لواء ابيض، دفعه إلى زيد. (١)

وقال عليه الصلاة والسلام:﴿ **إن قتل زيد، فجعفر، وان قتل جعفر فعبد الله بن رواحه**﴾ .(٢)

---

(١) – مختصر سيرة الرسول، ص٣٢٧ .

(٢) – البخاري، كتاب المغازي، غزوة مؤتة من أرض الشام ٤/١٥٥٤ برقم ٤٠١٣، والمستدرك على الصحيحين في المغازي

ووصل الجيش الإسلامي الذي يضم ثلاثة ألاف مجاهد إلى مؤتة والتقى جيش الروم الذي يبلغ تعداده مائتي ألف مقاتل .

وكانت معركة طاحنة جسّد فيها المسلمون أروع أشكال البطولة والتضحية ورسموا أجمل صورة لأعظم دعاة إلى النور والهدى والخير، شرّف الله سبحانه وتعالى فيها قادة الجيش بالشهادة وخصّهم بلقائه.

وكان استشهادهم رضي الله عنهم كما رتب النبيﷺ أسمائهم، لم يسبق احدهم ترتيب النبي ﷺ، ولا تأخر.

الإعجاز العلمي في الحديث الشريف

- قال النبي ﷺ:﴿ **كل بن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خُلق ومنه يُركّب** ﴾. [1]

والسرايا ٤٢/٣ برقم ٤٣٤٨، وصحيح ابن حبان ٤٥/١١ برقم ٤٧٤١ .

(١) مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين ٢٢٧١/٤ برقم ٢٩٥٥، وصحيح ابن حبان فصل في أحوال

وهذا ما تطابق مع علم الأجنة الحديث .

فعجب الذنب، وهو عظم في نهاية سلسلة الظهر، يتكون منها الإنسان لاحقاً حيث ينشأ منها الجهاز العصبي بعد سلسلة من الانقسامات الانشطارية والتشكل والتخصص حيث يظهر الجهاز العصبي بصورته الأولى **﴿الميزاب العصبي ثم الأنبوب العصبي ثم الجهاز العصبي﴾** .

كما تتركز به الجينات التي تحمل صفاته ... ومنه يعاد خلقه يوم القيامة .

- قال ﷺ:﴿ **لا تعذبوا صبيانكم بالغمز من العذرة ، وعليكم بالقسط** ﴾. [1]

والغمز هو الضغط بالأصابع، والعذرة التهاب اللوزتين وتضخمهما.

الميت في قبره، باب ذكر الأخبار بأن الناس يبلون في قبورهم إلا عجب الذنب ٤٠٧/٧ برقم ٣١٣٨ .

(١) البخاري، باب الحجامة من الداء ٢١٥٦/٥ برقم ٥٣٧١ .

والإعجاز أن القسط نبات يحوي مادة helenin هيلينين وهي مادة من أقوى المطهرات .

إضافة لاحتوائها على حمض البنزوات benzoique acide وهو قاتل للجراثيم ومذيب للبلغم .

- قال النبي ﷺ:

﴿ إن كان في شيء من أدويتكم خير ففي شرطة محجم، أو شربة من عسل، أو لذعة بنار، وما أحب أن أكتوي ﴾ .[١]

والعسل لقد بين العلم الحديث ومن خلال البحوث المختبرية إن العسل مبيد للجراثيم، حيث تم زرع أنواع الجراثيم المسببة لأمراض كالتيفوس والتيفوئيد وحمى الأمعاء والالتهابات الرئوية والمكورات العنقودية والمكورات العقدية والزحار.

---

(١) مسلم، كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي ١٧٢٩/٤ برقم ٢٢٠٥، والبخاري باب الدواء بالعسل ٢١٥٢/٥ برقم ٥٣٥٩.

زرعت هذه الجراثيم في عسل صافي فقضى عليها ما بعد عدة ساعات إلى بضعة أيام والعسل يحوي جميع المعادن اللازمة والضرورية لبناء الجسم، وهو مانح مثالي للطاقة إضافة لاحتوائه على الفيتامينات وبكميات تفوق ما موجود في أنواع الفواكه والخضار، إضافة لمحافظته على هذه الفيتامينات وعدم فقدها وبوقت أطول مما تحتفظ به الفواكه والخضار بتلك الفيتامينات .

كما إن العسل لا يحتاج إلى تبديل كيميائي في الأمعاء بتأثير الخمائر، مما يسهل هضمه لدى المرضى المصابين بضعف الهضم، أو التي تنقص عصارات الهضم لديهم خميرتا القابلين invertase وخميرة الشعير Anelase اللازمتان لهضم السكر .

- قال النبي ﷺ:

﴿ كلوا الزيت وادهنوا به فأنه من شجرة مباركة﴾[1]

وقد تبين حديثاً وبعد التجارب وتطور وسائل التحليل إن زيت الزيتون له الكثير من المنافع والفوائد في انخفاض ضغط الدم وسكر الدم والكولسترول .

كما يستخدم كمضاد للامساك، زيادة على استخدامه في أمراض تصلب شرايين القلب.

إضافة إلى المرونة التي يكسبها للجسم إذا دلك به .

– عن أبو هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال:

﴿ في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام﴾[2]

والسام هو الموت .

---

(١) المستدرك على الصحيحين، باب تفسير سورة النور ٢/٤٣٢ برقم ٣٥٠٤، وسنن الترمذي، باب ما جاء في أكل الزيت ٤/٢٨٥، برقم ١٨٥١ .

(٢) مسلم، كتاب السلام، باب التداوي بالحبة السوداء ٤/١٧٣٥ برقم ٢٢١٥، والبخاري، باب الحبة السوداء ٥/٢١٥٤ برقم ٥٣٦٤، وسنن الترمذي ٥/٣٨٥ برقم ٢٠٤١ .

وقد تبين للعلماء حديثاً الكثير من الفوائد والمنافع للحبة السوداء .

حيث إن لها تأثير في الشفاء من الزكام، وتقتل الدود، وتنفع في حالات ضيق النفس، وإدرار الطمث المحتبس، وإدرار البول وزيادة اللبن، وإزالة اليرقان.

وقد أجرى بعض علماء أميركا المسلمين ومنهم د. محمد قنديل تجارب بينت الدور الايجابي للحبة السوداء في رفع قدرة الجسم على مكافحة الجراثيم .

– من حديث عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

﴿ الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء﴾. [١]

وهذا ما يقول به الأطباء اليوم .

فكمادات الماء البارد تذهب خطر الحمى أو تقلله من خلال تأثيرها في خفض درجة حرارة الجسم .

---

(١) مسلم، كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي ١٧٣١/٤ برقم ٢٢٠٩، والبخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار ١١٩١/٣ برقم ٣٠٩١.

- عن أبي موسى ﷺ قال إن النبي ﷺ قال:

﴿ **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً** ﴾ وشبّك أصابعه. [1]

وقد تبين في علم الهندسة المدنيّة إن البناء يعمل ككتلة واحدة متماسكة.

فإذا أصيب البناء بالخلل، يعيد البناء توزيع الأوزان من جديد على الأقسام غير المتضررة Redistribution of stresses.

- قال عليه الصلاة والسلام :﴿ **ما عام بأمطر من عام**﴾. [2]

---

(١) البخاري، كتاب أبواب المساجد باب تشبيك الأصابع في المسجد ١/١٨٢ برقم ٤٦٧، وباب نصر المظلوم ٢/٨٦٣ برقم ٢٣١٤، وسنن البيهقي الكبرى باب نصر المظلوم ٦/٩٤ برقم ١١٢٩١.

(٢) سنن البيهقي الكبرى، باب كثرة المطر وقلته ٣/٣٦٣ برقم ٦٢٧٣، والمستدرك على الصحيحين، باب تفسير سورة الفرقان

وهذا يطابق ما يذهب إليه العلماء اليوم .

فعناصر تكوّن الأمطار ثابتة، حيث أن الشمس ثابتة الحرارة، ومقدار بخار الماء متساوي، لذلك فكميات الأمطار النازلة على مستوى الكرة الأرضية ثابت في كل الأعوام، لكن توزيعه في أقطار الأرض متغير.

- عن ابن عباس ﵁ إن رسول الله ﷺ قال: ﴿**من أطعمه الله طعاماً فليقل: اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه، ومن سقاه الله لبناً فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه. فليس شيء يجزيء عن الطعام والشراب إلا اللبن**﴾.[١]

وهذا ما توصل إليه علماء التغذية اليوم .

٤٣٧/٢ برقم ٣٥٢٠ وبنص: (ما من عام أمطر من عام ولكن الله يصرفه حيث شاء) .

(١) سنن الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ماذا يقول إذا أكل طعاما ٥٠٦/٥ برقم ٣٤٥٥، والسنن الكبرى ٧٩/٦ برم ١٠١١٨ .

فاللبن كغذاء منفرد يحوي جميع عناصر ومكونات الغذاء الكامل التي يحتاجها الإنسان لحفظ التوازن المعدني داخله والتي لا نقصا غذائياً بها .

وهو يعوض غذائياً من حيث تكامل المحتويات عن مجموعة أغذية كاملة الفائدة .

- عن عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه إن رسول الله ﷺ قال: ﴿**من سمع بالطاعون بأرض فلا يقدمن عليها، ومن كان بأرض وقع بها فلا يخرج فراراً منه** ﴾. (١)

الشطر الأول من الحديث يمنع دخول الأصحاء إلى الأرض الموبوءة مخافة أن يصابوا بالمرض، والشطر الثاني من الحديث الشريف يمنع مغادرة الأرض التي بها المرض. وهذا يتطابق مع إجراءات الوقاية الحديثة التي يحظر خروج الناس من مكان الوباء خوفاً من نقلهم العدوى للآخرين

---

(١) البخاري، كتاب الحيل، باب ما يكره من الاحتيال في الفرار من الطاعون ٢٥٥٧/٦ برقم ٦٥٧٣، وسنن أبي داود باب الخروج من الطاعون ١٨٦/٣ برقم ٣١٠٣ .

خصوصــاً وان هنــاك أشخاصــا يحملــون المــرض دون أن يصابوا به فيكونون ناقلين للعدوى .

- عن أبي هريرة ﷺأن النبي ﷺقال:

﴿ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء ﴾ . (١)

وهــذا مــا نجــده اليــوم، حيــث إن جميــع الأمــراض المستعصية والتـي يصعب علاجها لا يلبث أن يكتشف لها عـلاج، بعد أن يـتم عـزل الفيـروس أو الجـراثيم المسببة لـه وإيجاد المضادات له. وأصبح اليقين السائد بأن ليس ثمة داء بـلا دواء، وان ما يبدو كمرض مستعصـي فان إيجاد دوائـه مسألة وقت .

---

(١) البخاري، باب ما أنزل الله من داء إلا وأنزل له شفاء ٥/٢١٥٠ برقم ٥٣٥٤، ومسند الشهاب باب ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء ٢/١٧ برقم ٧٩٦، ومسلم كتاب السلام، باب استحباب وضع يده على موضع الألم ثم الدعاء ٤/١٧٢٩ برقم ٢٢٠٤ وبنص لكل داء دواء، فإذا أصيب برأ بإذن الله ﷻ.

النبي
في عيون الصحابة
وصفه ﷺ وقبسات من نور أخلاقه الشريفة

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبيﷺ أصحهما قول الله ﷻ في إبراهيم: رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني .

وقال عيسى عليه السلام: إن تعذبهم فإنهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم .

فرفع يديه وقال أمتي أمتي وبكى.

فقال الله ﷻ يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك. فأتاه جبريل ﷺ فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال وهو أعلم .

فقال الله يا جبريل اذهب إلى محمد فقل:

إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك.[١]

---

(١) رواه مسلم ١/١٩١ برقم ٢٠٢.

ويسألون ... لماذا تحبون رسول الله ؟

سؤال يلح به من لا يعرفك يا سيدي يا رسول الله، يعجبون من حبنا، ونعجب من قلته، فمهما عظم حبك في قلوبنا فلن نوفيك حقك، فكل الحب أمام قدرك يا عظيم القدر قليل .

أفلا تحن إلى مثلك يا سيدي القلوب، ألا تمتلئ الأرواح بالشوق إلى لقائك وأنت الذي أعلاك ربك فأعطاك الكمال بكل خلق وزاد .

وسأورد للسائلين حادثة واحدة ،ومع انها ليست الأكبر، فكل ما فيك يا سيدي كبير، إلا إنها قد تلقي في قلب من لم يلتقيك يا سيد الناس بعض ما قد يقربه من معرفتك – وان كانت معرفتك يا رسول الله لطف من الله وفضل –

خرج النبي ﷺ إلى الطائف وهي تبعد عن مكة نحو ستين ميلا، سارها ماشيا على قدميه جيئة وذهابا ومعه مولاه زيد بن حارثة، يدعو أهلها لما فيه خيرهم في الدنيا

والآخرة، ذهب إليهم يدعوهم إلى النور والهدى إلى عبادة الله سبحانه، ومكث فيهم ﷺ عشرة أيام لم يدع أحد منهم إلا جاءه وكلمه وعرض عليه الإسلام، فكان جوابهم أن قالوا له: أخرج من بلادنا، وأغروا به سفهائهم وعبيدهم، يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس يرمونه بالحجارة وبكلمات سفيهة، ورجموا قدميه حتى اختضب نعلاه بالدماء وطاردوه ثلاثة أميال .

ويجلس بعدها ﷺ في بستان، يملؤه حزن عليهم ألا يهتدوا رغم الذي فعلوه به وهو يدعوهم إلى الجنة .

وبعد كل هذه الشدة وهذا الألم تحدّث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال:

(فانطلقت – وأنا مهموم – على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن المنازل– فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك. وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال،

فسلم علي، ثم قال: يا محمد ان الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال قد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين (وهما جبلا مكة والجبل الذي يقابله) قال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله ﷻ من أصلابهم من يعبد الله ﷻ وحده لا يشرك به شيئا).(١)

فهل يتخيل أحد أن هناك هذا القدر من العفو أو هذا القدر من المحبة أو هذا القدر من العظمة، أفلا يحق للأرواح أن تهيم في محراب حبك سيدي وأنت تكابد ما تكابد وتعاني من الألم ما لا يطاق لتخرجنا من الكفر بإذن الله إلى الإيمان وكلما ازدادوا في إيذائك ازددت عفوا ومحبة.

وهل سيظلون يسألون لماذا نحبك يا سيدي يا رسول الله ﷺ .

---

(١) صحيح مسلم، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ٣/١٤٢٠ برقم ١٧٩٥ .

التعلق بالحبيب ﷺ

أوتي النبي ﷺ جمال في الخلقة وكمال في الأخلاق أورثه حباً انعكس في القلوب تعلقاً وعشقاً وإجلالا، فهام بحبه كل من عرفه حتى ملك قلوبهم والعقول .

أحاط به الرجال إحاطة المحبين بالمحبوب... تعلقت قلوبهم بجميل نوره، فحفظوا كل ما قال وكل حركة وكل فعل... تركوا بيوتهم وأولادهم ولازموه، فما كانت النفوس تسكن إلا إليه والأرواح تعيش في حضرته عيشة سلام وصفاء .

فهذا الصحابي زيد بن الدثنة رضي الله عنه الذي أسره الكفار هو والصحابي خبيب رضي الله عنه وباعوهما لقريش ليقتلوهما، يقف لحظة إعدامه والسيوف مشرعة لقتله يجيب على أبي سفيان الذي سأله: أيسرك أن محمداً عندنا نضرب عنقه وانك في أهلك

فيقول: لا والله ما يسرني إني في أهلي وان محمداً في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه .

يقول أبو سفيان ما رأيت في الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمداً . (١)

فأي حب وأي عشق يقبل راضياً أن يقتل دون أن تصيب شوكة قدم الحبيب المصطفى ﷺ.

فهل عرف التأريخ مثل هذا الحب لأحد .

وهذا عروة بن مسعود الثقفي الذي وفد على النبي ﷺ مفاوضاً في الحديبية يصف لقريش علاقة الصحابة رضي الله عنهم بالنبي قائلاً: أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً .

والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم أمراً ابتدروا أمره وإذا توضأ

---

(١) تاريخ الطبري، باب ذكر الأخبار في السنة الرابعة للهجرة ٢/٧٩، والسيرة النبوية، باب ذكر يوم المرجيع ٤/١٢٦

كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيماً له .[1]

يقول أنس بن مالك ﵁: دخل علينا النبي فقال عندنا (قال من القيلولة) فعرق، وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ النبي ﷺ فقال يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين، قالت هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب . [2]

كان حبه ﷺ لغة الوجود، اتسع قلبه الشريف للكل فأحبه الكل. ولم يكن حب النبي ﷺ مقصورا على البشر .

فمن حديث الحسن عن انس بن مالك رضي الله عنهما قال:

كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة إلى جنب خشبة يسند ظهره إليها .

---

(١) البخاري، كتاب الشروط، باب في الجهاد والمصالحة ٩٧٦/٢ برقم ٢٥٨١، وسنن البيهقي الكبرى ٢٢٠/٩ .

(٢) مسلم، باب طيب النبي ﷺ والتبرك به ١٨١٨/٤ برقم ٢٣٣١ .

فلما كثر الناس قال ابنوا لي منبراً، فبنو له منبراً له عتبتان .

فلما قام على المنبر ليخطب حنة الخشبة إلى رسول الله ﷺ فقال انس وأنا في المسجد الخشبة حنة حنين الولد، فما زالت تحن حتى نزل إليها رسول الله ﷺ فاحتضنها فسكنت .

وكان الحسن رضي الله عنه إذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال: يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه مكانه من الله فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه.[1]

---

(١) البخاري، كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ١٣١٤/٣ برقم ٣٣٩٢، والأحاديث المختارة ٣٩٣/٣ برقم ١١٩٢، وصحيح ابن حبان ٤٣٦/١٤ برقم ٦٥٠٧.

صفة النبي ﷺ:

قال جابر بن سمرة رضي الله عنه:

رأيت رسول الله ﷺ في ليلة أضحيان وعليه حلة حمراء فجعلت أنظر إليه والى القمر فلهو كان أحسن في عيني من القمر.[١]

وعن الحسن بن علي رضي الله عنه قال سألت خالي هند بن أبي هالة التميمي وكان وصافاً عن حلية النبي ﷺ فقال:

كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع واقصر من الشذب، عظيم الهامة، رجل الشعر إن انفرقت عقيصته (الشعر المظفور) فرق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة اليسرى إذا هو وفره، أزهر اللون واسع الجبين، أزج الحواجب (مرققهما مع تقوس وغزارة شعر) سوابغ (كاملات) قرن بينهما عرق يدره الغضب (يحركه نافرا الغضب فيمتلئ دماً)، أقنى العرنين (مرتفع أعلى الأنف) له نور يعلوه يحسبه من يتأمله أشم (مرتفع

---

(١) سنن الدارمي، باب في حسن النبي ﷺ ١/٤٤ برقم ٥٧.

قصبة الأنف) كث اللحية (رقيقة وغير طويلة وعظيمة) سهل الخدين (مابهما نتوء وارتفاع) ضليع الفم (عظيم الفم) أشنب (عذب الأسنان بهما بياض وبريق) مفلج الأسنان (بين أسنانه تباعد) دقيق المسربة (شعر الصدر) كأن عنقه جيد دمية (عنق مصور) في صفاء الفضة معتدل الخلق بادن (مملوء الجسم) متماسك سواء البطن والصدر، عريض الصدر بعيد مابين المنكبين (عريض الظهر). (١)

وعن البراء ﵁: كان رسول الله ﷺ رجلاً مربوعاً بعيد ما بين المنكبين عظيم الجمة إلى شحمة اليسرى عليه حلة حمراء ما رأيت شيئاً قط أحسن منه ﷺ. (٢)

ومن حديث الإمام علي ﵁ يصف النبي ﷺ:

إذا مشى تقلع كأنما يمشي في صبب، وإذا التفت التفت معاً بين كتفيه خاتم النبوة وهو خاتم النبيين، أجود الناس كفاً وأشرحهم صدراً وأصدق الناس لهجة والينهم

---

(١) المعجم الكبير ١٥٥/٢٢ برقم ٤١٤ .

(٢) مسلم، باب صفة النبي ﷺ ١٨١٨/٤ برقم ٢٣٣٧ .

عريكة وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله. (١)

وقد سأل رجل البراء ﷺ أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف قال لا، مثل القمر. (٢)

وعن أنس ﷺ انه قال:

ما مسست حريراً ولا ديباجاً الين من كف النبي ﷺ، ولا شممت ريحاً قط أو عرفاً قط أطيب من طيب أو عرف النبي ﷺ. (٣)

وقال البراء ﷺ يصف النبي الكريم ﷺ:

كان رسول الله ﷺ أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ .

---

(١) سنن الترمذي، باب ما جاء في صفة النبي ﷺ ٥٩٩/٥ برقم ٣٦٣٨، والسيرة النبوية ٤٨/٢ .

(٢) سنن الترمذي ٥٩٩/٥ برقم ٣٦٣٦ .

(٣) البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ ١٣٠٦/٣ برقم ٣٣٦٨.

إذا مشى تكفأ، ولا مسست ديباجة ولا حريره ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله ﷺ. (١)

وقالت أم معبد الخزاعية تصف النبي ﷺ لزوجها حين مر بخيمتها مهاجراً :

ظاهر الوضاء مليح الوجه في اشفاره وطف (شعر أجفانه طويل) وفي عينيه دعج وفي صوته صهل (بحة) غصن بين غصنين، لا يتشنى من طول ولا تقتحمه عين من قصر، لم تغبه ثجلة (ضخامة) ولم تزر به صعلة (صغر الرأس) كأن عنقه إبريق فضة، إذا نظر علاه البهاء وإذا صمت فعليه الوقار.

كلامه كخرز النظم أزين أصحابه منظراً وأحسنهم وجهاً، له أصحاب يحفون به إذا أمروا تبادروا إليه، فإذا نهوا

---

(١) مسلم، كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي ﷺ ولين مسه ١٨١٥/٤ برقم ٢٣٣٠ .

انتهوا ثم نهيه. [١]

ومن حديث أبو هريرة يصف النبي ﷺ إذا مشى مع أصحابه:

ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ كأنما الشمس تجري في وجهه .

وما رأيت أسرع في مشيته من رسول الله ﷺ كأن الأرض تطوى له، إنا لنجهد أنفسنا وانه لغير مكترث . [٢]

وحين سئل أبو هريرة عن صفة النبي ﷺ قال:

أحسن الصفة وأجملها، كان ربعة إلى الطول ماهو بعيد ما بين المنكبين (عريض أعلى الظهر)، أسيل الخدين (ليس فيهما نتوء أو ارتفاع) يخلو الشعر أكحل العينين أهدب الأشفار (الرموش)، إذا وطيء بقدمه وطيء بكلها ليس لها أخمص (لا يلصق)، إذا وضع رداءه عن منكبيه

---

(١) مجمع الزوائد ٢٧٩/٨ ، والمعجم الكبير ١٠٥/٧ .

(٢) مسند أحمد ٣٨٠/٢ برقم ٨٩٣٠ .

فكأنه سبيكة فضة، وإذا ضحك كاد يتلألأ، لم أر قبله ولا بعده مثله. [١]

عن مخرش الكعبيرضي الله عنه قال:

رأيت رسول الله ﷺ خرج من الجعرانه ليلاً فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة، فاعتمر وأصبح بها كبائت . [٢]

قال البراء رضي الله عنه:

ما رأيت من ذي لمة أحسن في حلة حمراء من رسول الله ﷺ.

شعره يضرب منكبيه بعيد ما بين المنكبين ليس بالطويل ولا بالقصير.[٣]

---

(١) الجامع لمعمر بن راشد، باب صفة النبي ﷺ ٢٥٩/١١، والجامع الصغير للسيوطي ٢٧/١ برقم ٩ .

(٢) السنن الكبرى ٤٧٤/٢ برم ٤٢٣٤، ومصنف أبي شيبة ٢٣١/٣برقم ١٣٧٣٠.

(٣) مسلم، كتاب الفضائل باب صفة النبي ﷺ ١٨١٨/٤ برقم ٢٣٣٧.

وقفة ... مع أخلاقه الشريفة

أخلاق النبي ﷺ بلغت الكمال في كل خير،أدب أثنى عليه رب العزة في قرآنه .

فحبب ﷺ إلى النفوس وتعلقت به القلوب وصار قائداً استنار بنور ربه، فهوته الأفئدة وتبعه الرجال إلى دين الحق حتى صار الدخول فيه أفواجا.

ولا يذكر من خلق النبي ﷺ إلا ومضات تنبئ عن مظاهر كمال ومجد لا يستطيع وصفه الواصفون على حقيقته، أو الإحاطة بكماله العالمون.

فهو أعظم من عرفه الوجود وسيد الخلائق ومصطفى الرحمن ... انه عين الكمال الذي خص به الرحمن حبيبه .

اتسع قلبه للجميع، واتسع صدره للكل، وفاض على الجميع بسيل حب واحترام وتقريب، الكل مقرب في حضرة المصطفى ﷺ حتى إن الصحابي عمرو بن العاص وغيره يسألون النبي ﷺ أي الناس أحب إليك.(١)

---

(١) صحيح ابن حبان ٣٢٦/١٥ برقم ٦٩٠٠، وفتح الباري ٢٦/٧ .

فالكل كان مقرب عند الرسول ﷺ ومحبوب .

كان الكل يعتقد أن له الحب الأكبر في القلب النبوي الشريف وأن الحب الذي يلقاه في قلب الرسول لا يمكن أن يكون فوقه حب لشدة عطفه ﷺ وحنانه .

كان عليه الصلاة والسلام يفيض حباً وحناناً ورحمة شملت حتى الكفار الذين كاد يذهب نفسه الشريفة حسرة عليهم ألا يؤمنوا .

ويوم خيبر حين أخبر النبي ﷺ انه سيعطي الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فتطاول لها الجميع كما يقول سعد[١] ...

وبات الناس ليلتهم أيهم يعطى وغدوا كلهم يرجونه.[٢]

كان للجميع متسع في القلب الشريف.

---

(١) مسلم، باب فضائل الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ١٨٧١/٤ برقم ٢٤٠٤ .

(٢) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من أسلم على يديه رجل ١٠٩٦/٣ برقم ٢٨٤٧ .

أولم يقل ﷺ: (**بعثت لأتمم صالح الأخلاق**) [١]

بلغ من حلمه واتساع صدره ما يحدث به انس رضي الله عنه حيث يقول:

(خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي افاً قط، ولا قال لي لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا).[٢]

ويقول عنه خادمه: كان رسول الله أحسن الناس خلقاً.[٣]

ويقول البراء رضي الله عنه:

كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً، وأحسنهم خلقاً.[١]

---

(١) المستدرك على الصحيحين، كتاب آيات رسول الله ﷺ التي هي دلائل النبوة ٢/٦٧٠ برقم ٤٢٢١ .

(٢) مسلم، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا ٤/١٨١٨ برقم ٢٣٠٩ .

(٣) نفس المصدر السابق ٤/١٨٠٥ .

وحين سال سعيد ابن هاشم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقال:

يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ، قالت:أليس تقرأ القرآن. قال بلى. قالت فان خلق نبي الله ﷺ القرآن.[٢]

كان عليه الصلاة والسلام رءوفا رحيماً يختار لأمته أهون السبل وأيسرها في الحلال ويقول عليه الصلاة والسلام: **إنما أنا رحمة مهداة .** [٣]

---

(١) البخاري، كتاب المناقب باب صفة النبي ﷺ ٣/١٣٠٣ برقم ٣٣٥٦.

(٢) المستدرك على الصحيحين، كتاب آيات رسول الله ﷺ التي هي دلائل النبوة ٢/٦٧٠ برقم ٤٢٢٢ .

(٣) المستدرك على الصحيحين ١/٩١ برقم ١٠٠، وسنن الدارمي ١/٢١ برقم ١٥ .

تقول الصديقة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ما خيّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اخذ أيسرهما، ما لم يكن إثما. فان كان إثما كان ابعد الناس عنه .

وما أنتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها.(١)

ولما دخل ﷺ فاتحاً بإذن الله منصورا.أطلقها ﷺ مع الذين آذوه وقتلوا أحبابه واجتهدوا ليقتلوه أطلقها مدوية مملوءة رحمة ومحبة لا يؤتها إلا من بعثه الله رحمة وهدى: اذهبوا فأنتم الطلقاء.(٢)

---

(١) البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ ١٣٠٦/٣ برقم ٣٣٦٧، ومسلم باب مباعدته للآثام واختياره من المباح أسهله ١٨١٣/٤ برقم ٢٣٢٧ .

(٢) سنن البيهقي الكبرى، باب دخول النبي ﷺ من أعلى مكة ١١٨/٩، وفتح الباري ١٨/٨ .

يالعظمــة الخلــق النبــوي الكــريم الــذي أدهــش العقــول بكرمـه، بـل انـه ﷺ لم يجعل من متـاعهم شيئاً قليلاً أو كثيراً فيئاً. (١)

وعنـد الحـديث عـن الكـرم، تسـموا أخلاقـه ﷺ فـوق مـا يتصور المرء من حسن الكرم أو يتخيل فهل يعقل أن إنسـانا لم يقل لسائل لا طول حياتـه ... إن هذا وحده معجزة تشـهد بأنه نبي .

يقول جابر ابن عبد الله رضي الله عنه: ما سئل رسول الله ﷺشيئاً قط فقال لا. (٢)

ويقـول انـس رضي الله عنه محـدثا عـن كـرم رسـول الله: أن رجـلا سأل النبي ﷺ غنماً بين جبلين، فأعطاه إياه.

---

(١) الـرد علـى سيرة الأوزاعـي، بـاب المسـلم يـدخل دار الحـرب بأمـان ١/١٠٨ .

(٢) مسلم، بـاب مـا سئل رسـول الله ﷺ شيئا قط فقال لا وكثرة عطائـه ٤/١٨١٨ برقم ٢٣١١ .

فأتى قومه قال أي قوم أسلموا فوالله لان محمداً ليعطي عطاء من لا يخاف فقرا . (١)

فهذا البدوي الذي ألف الكرم واعتاده في نفسه وقومه يعجب من كرم النبي ﷺ ويعتبره اعجازاً حتى عند أهل الكرم وأرباب السخاء .

يقول ابن عباس رضي الله عنهما:

كان رسول الله أجود الناس بالخير .

وكان أجود ما يكون في شهر رمضان، إن جبريل عليه السلام كان يلقاه في كل سنة في رمضان حتى ينسلخ فيعرض عليه ﷺ القرآن. فإذا لقيه جبريل كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة. (٢)

---

(١) مسلم، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال لا ٤/١٨١٨ برقم ٢٣١٢ .

(٢) مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال: لا ٤/١٨١٨ برقم ٢٣٠٨ .

أما شجاعته ﷺ فكان صناديد المسلمين وفرسانهم الذين ولدوا في ساحات الوغى وعاشوا، وامتهنوا القتال والغزو كانوا يحتمون بالنبي إذا حمي الوطيس.

فهذا أسد المشارق والمغارب الأمام علي ابن أبي طالب الذي يخشى الرجال في الوغى بأسه يقول رضي الله عنه:

كنا إذا حمي البأس، ولقي القوم القوم، إتقينا برسول الله ﷺ فلا يكون أحد منا أدنى إلى القوم منه . (١)

وعن البراء رضي الله عنه:

كنا والله إذا حمي البأس نتقي به، وان الشجاع منا الذي يحاذي به . (٢)

يقول أنس رضي الله عنه :

كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس. (٣)

---

(١) المستدرك على الصحيحين ١٥٥/٢ برقم ٢٦٢٣ .

(٢) مصنف أبي شيبة، باب غزوة حنين ٤١٦/٧ برقم ٣٦٩٨٣ .

(٣) مسلم، باب في قتال جبريل وميكائيل عن النبي ﷺ يوم أحد .

ويكفي من شجاعته ﷺ ورباطة جأشه مما لا يستطيعه الرجال بقائه ﷺ في مكة حين هاجر المسلمون إلى الحبشة فراراً من أذى قريش، بقائه وحيداً يجاهر بالدعوة إلى الله ويعبد الله أمام الجميع ووسط قريش .

ورغم هذه الخصال الشريفة، والكمال الذي بلغه في كل خير، كان عليه الصلاة والسلام شديد التواضع شديد الحياء. فهذا أبو سعيد ألخدري رضي الله عنه يصف النبي ﷺ وحيائه:

كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها .

وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه . (١)

كان وجهه الشريف مرآة صافية لما في أطهر قلب وأزكى روح، وجه صادق ككل الذي في النبي الصادق ﷺ.

يقول كعب ابن مالك رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر. (١)

---

(١) مسلم، كتاب الفضائل، باب كثرة حياء النبي ﷺ ٤/١٨٠٩ برقم ٢٣٢٠ .

وكان ﷺلا يسمي رجلاً ذكر عنه شيء يكرهه، بل يقول ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا، ويشير إلى الخطأ إشارة ولا يسمي الفاعل. وما عرف للنبي إلا الخير ﷺ متوجهاً إلى الله سبحانه بعبادة لا يعرف كنهها إلا الله، ... كل حياته لله وللدعوة إليه سبحانه، وفي ذات الوقت متوجهاً بكليته إلى الخلق يعلمهم ويربيهم ويفيض عليهم نوراً ومحبة، يقودهم إلى رضوان من الله ورحمة، فكان العبد المنقطع لله، والمربي الذي يقود أحبابه إلى جنة عرضها السماوات والأرض .

أللهم صلّ على سيدنا محمد وأنزله المنزل المقرب منك يوم القيامة .

وأجزه اللهم عنا خير ما جزيت نبياً عن أمته...

ولك الحمد يا ألله كما تريد، وفوق ما نريد،...

حمداً يرضيك وترضى به عنا .

---

(١) البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ ٣/١٣٠٥ برقم ٣٣٦٣، ومسلم كتاب التوبة باب توبة كعب ابن مالك وصاحبيه.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
الأحاديث المختارة: أبو عبد الله محمد ابن عبد الواحد ابن احمد الحنبلي المقدسي مكتبة النهضة – مكة المكرمة الطبعة الأولى تحقيق: عبد الملك ابن عبد الله ابن دهيش.
٢. أخبار مكة: محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي، دار خضر– بيروت الطبعة الثانية ١٤١٤،تحقيق: د. عبد الملك عبد الله دهيش .
٣ . البداية والنهاية: الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن عمر ابن كثير القرشي الدمشقي، هجر للطباعة والنشر– مصر، الطبعة الأولى،١٩٩٧، تحقيق: د. عبد الله عبد المحسن الترك.
٤. البيان والتعريف: إبراهيم ابن محمد الحسيني، دار الكتاب العربي – بيروت، تحقيق: سيف الدين الكاتب.

٥. تاريخ الطبري: محمد ابن جرير الطبري، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى.
٦. الترغيب والترهيب: عبد العظيم ابن عبد القوي ألمنذري، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى١٤١٧، تحقيق: إبراهيم شمس الدين.
٧. الجامع لأحكام القرآن(المشهور بتفسير القرطبي):أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي– بيروت.
٨. الجامع لمعمر ابن راشد: معمر ابن راشد الأزدي، المكتب الإسلامي– بيروت، الطبعة الثانية تحقيق: حبيب ألأعظمي.
٩. دلائل النبوة للأصبهاني: إسماعيل ابن الفضل التيمي الأصبهاني، دار طيبة–الرياض، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد محمد الحداد.
١٠. الرحيق المختوم: الشيخ صفي الرحمن المباركفوري. دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الثانية.

١١. الـرد علـى سـيرة الأوزاعـي: يعقـوب ابـن إبـراهيم الأنصاري. دار الكتب العلمية – بيروت، تحقيق: أبو ألوفا الأفغاني.

١٢. الرسول ﷺ هو القدوة: دار ابن حزم للطباعة والنشر.

١٣. روضة الأنوار في سيرة النبي المختار: الشيخ صفي الرحمن المباركفوري.

وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة– المملكة العربية، السعودية– الطبعة الأولى.

١٤. سبل السلام: محمد ابن إسماعيل الصنعاني الأمير، دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة الرابعة، تحقيق: محمد عبد العزيز الخولي.

١٥. سنن ابن ماجة: محمد ابن يزيد أبو عبد الله القزويني، دار الفكر– بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٦. سنن أبي داود: سليمان ابن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي. دار الفكر– بيروت تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.

١٧. سنن الترمذي: محمد ابن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي. دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: احمد محمد شاكر وآخرون.

١٨. السنن الكبرى: احمد ابن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي. دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري – سيد كسرون حسن.

١٩. السنن الكبرى للبيهقي: احمد ابن الحسين ابن علي ابن موسى أبو بكر البيهقي. مكتبة ابن ألباز– مكة المكرمة١٤١٤– ١٩٩٤، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

٢٠. السيرة النبوية: عبد الملك ابن هشام ابن أيوب الحميري المعافري دار الجبل– بيروت، الطبعة الأولى تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.

٢١. السيرة النبوية: أبو الحسن الندوي. دار التوزيع والنشر الإسلامية – القاهرة الطبعة السابعة ١٩٨٧.

٢٢. السيرة النبوية دروس وعبر: د . مصطفى السباعي. أنوار دجلة – بغداد، ٢٠٠٥ .
٢٣. السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث: د. محمد علي الصلابي دار المعرفة – بيروت– الطبعة الثالثة.
٢٤. صحيح ابن حبان: محمد ابن حبان احمد التيمي البستي. مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
٢٥. صحيح ابن خزيمة: محمد ابن اسحق ابن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري المكتب الإسلامي – بيروت، ١٩٧٠. تحقيق د. محمد مصطفى ألأعظمي.
٢٦. صحيح البخاري: محمد ابن إسماعيل أبو عبد الله البخاري. دار ابن كثير– بيروت، الطبعة الثالثة تحقيق: د. مصطفى ديب البغا .
٢٧. صحيح مسلم: مسلم ابن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري. دار إحياء التراث العربي– بيروت. تحقيق: د. محمد فؤاد عبد الباقي .

٢٨. الطب الشعبي: د. أمين رويحه – طبعة عتيقة مخرومة الأوائل.
٢٩. فتح الباري: احمد ابن علي ابن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي. دار المعرفة – بيروت ١٣٧٩، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي– محب الدين الخطيب.
٣٠. فضائل الصحابة: احمد ابن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٣.

تحقيق: د. وصي الله محمد عباس.

٣١. كتاب السنن: أبو سعيد بن منصور الخراساني. الدار السلفية – الهند، الطبعة الأولى١٩٨٢، تحقيق: حبيب الرحمن .
٣٢. مجمع الزوائد: علي ابن أبي بكر الهيثمي. دار الريان للتراث / دار الكتاب العربي، القاهرة /بيروت ١٤٠٧
٣٣. مجموعة محاضرات الأستاذ عمرو خالد .

٣٤. محاضرات تاريخ الأمم: الشيخ محمد الخضري بك.المكتبة التجارية الكبرى بمصر، الطبعة الثامنة.
٣٥. مختصر سيرة الرسول: الشيخ عبد الله ابن محمد النجدي. المطبعة السلفية، الروضة بمصر، ١٣٧٩.
٣٦. المستدرك على الصحيحين: محمد ابن عبد الله أبو عبد الله الحاكم لنيسابوري. دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
٣٧. مسند أبي عوانة ١: أبي عوانة يعقوب بن اسحاق الاسفرائيني. دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي.
٣٨. مسند أحمد: الأمام أحمد ابن حنبل أبو عبد الله الشيباني. مؤسسة قرطبة - مصر.
٣٩. مسند الروباني: محمد ابن هارون الروباني. مؤسسة قرطبة - القاهرة، الطبعة الأولى، تحقيق: أيمن علي أبو يماني.

٤٠. مسند الشهاب: محمد ابن سلامة ابن جعفر أبو عبد الله القضـاعي. مؤسسـة الرسـالة – بيـروت، الطبعـة الثانية

تحقيق: حمدي عبد المجيد السلف.

٤١. مصنف أبي شيبة: أبو بكر عبد الله ابن محمد ابن أبـي شـيبة الكـوفي. مكتبـة الرشـد – الريـاض، الطبعـة الأولى. تحقيق: كمال يوسف الحوت.

٤٢. مصنف عبد الرزاق: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني. المكتب الإسلامي– بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.

٤٣. المعجـم الأوسـط: أبـو القاسـم سـليمان بـن احمـد الطبرانـي. دار الحـرمين– القـاهرة، ١٤١٥، تحقيـق: طارق بن عوض الله، عبد المحسن إبراهيم الحسيني.

٤٤. المعجم الكبير: سليمان بن احمد بن أيوب أبو القاسم الطبرانـي، مكتبـة العلـوم والحكـم – الموصـل، الطبعـة الثانية ١٩٨٣، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي.

٤٥. المـنهج الحركـي للسـيرة النبويـة: منيـر الغضـبان مكتبة المنار – الأردن، الطبعة الثالثة ١٩٩٠.
٤٦. نيل الأوطار: محمد ابن علي ابن محمد الشوكاني. دار الجبل– بيروت، ١٩٧٣.

المحتويات